

د. أحمد خالد توفيق

www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^

الآن نفتح الصندوق

الكويت

2007

www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^



د. أحمد خالد توفيق

لم يترك لنا الدكتور
(محفوظ) إلا هذا
الصندوق في قبه
داره .. الصندوق
يحتوي مذكرات
وملاحظات عن تلك
التخصص الغريبة التي
مرت به في حياته..
تعالوا نفتح
الصندوق الآن..
تعالوا نشعل شمعة
تبدد ظلام القبه
ونطالع واحدة من
تلك التخصص ..



DIAMOND BOOKS
إصدارات دايمنوند

قبل أن نفتح الصندوق...

«الحياة صندوق من الشيكولاته .. لا تعرف أبداً ما قد تظهر به».. هذه هي العبارة المحورية الساخرة في فيلم (فورست جامب)، والتي تلخص أهم مخاوف طفولتي .. الصندوق المغلق .. كم هو ساحراً.. كم هو غامضاً!.. كم هو مخيفاً!.. ماذا ينتظرنا لو فتحنا الصندوق؟.. تتكرر هذه التيمة كثيراً في قصص ألف ليلة وليلة وفي الأدب عامة .. حتى شكسبير نفسه لم يفت من سحر الصندوق المغلق في مسرحيته (تاجر البندقية)...

كل شيء قد يوجد في الصندوق المغلق أو لا يوجد .. كنز من الياقوت والعقيق .. أسرار القنبلة الذرية .. جنة متحلة .. يد مومياء .. قلادة (قلاد) .. صور مصفرة حال لونها .. وثائق وعقود لم تعد لها قيمة .. صرصور .. عنكبوت .. لاشيء ..

لهذا .. عندما كتبت هذه المجموعة من القصص القصيرة .. اخترت لها صيغة الصندوق المغلق .. لقد تولي الدكتور (محفوظ) أستاذ الأدب الإنجليزي الحكيم واسع التجارب، فلم يترك .. كما هي عادة هؤلاء المحترمين في كل مكان وزمان .. أي مال لأهله .. فقط ترك مجموعة من الأوراق البالية تحكي خبراته المرعبة مع عالم الميتافيزيقا .. الحكماء واسعو الخيال سوف يجدون ميراً مهماً في الصندوق .. الأشخاص الطبيعيون سوف يتخلصون من هذه الأوراق في أقرب صندوق قمامة وهم يسيرون ويلعنون الفجر والغباء معاً ..

ماذا يوجد في الصندوق؟.. أردت في البداية ألا يوجد في الصندوق إلا مجموعة من القصص المثيرة أو الحركة للخيال، لكن وسواس المعلم الذي يغلبني أحياناً قهرني، وجعلني أفضل أن أقدم مزيجاً من القصة والمقال التثقيفي القصير، وبهذا لا أشعر أنني أضعت وقت القارئ في مجرد خيالات ابتدعتها .. في كل مرة هناك كلام عن ظاهرة غريبة، ثم تأخذ الأحداث مجرى قصة، إن مقاييس القصة القصيرة لا تنطبق بدقة على هذه المجموعة، لكنها نوع خاص من الفن ربما أطلق عليه اسم (مقرواية) أو (حقال) أو أي اسم يجمع بين القصة والمقال معاً ...

ماذا نعرف عن عالم ما وراء الطبيعة؟.. لاشيء في الواقع .. كل هذا قد يكون حقيقياً وكل هذا قد يكون وهمًا من عقول هستيرية.. سنموت دون أن نعرف الإجابة، وتلك هي المأساة الحقيقية .. وقد حرصت في كل هذه القصص على أن تبقى علامة الاستفهام تحوم حولنا في النهاية .. ربما نعم .. ربما لا ...

لقد مات د. (محفوظ) دون أن يعرف إلا أنه جابه أشياء غريبة حقاً .. نحن كذلك سنموت دون أن نعرف، ولنسوف نشعر بهذا الشعور مضطجماً قبل الأوان بعد قراءة هذه المجموعة من الأوراق .. عندها سوف تغلق عينيك وتجيئ عن السؤال المهم: هل استمتعت بالقراءة؟.. هل حركت هذه القصص خيالك؟.. هل أخذتك من يدك إلى دهاليز مظلمة لم تجترها من قبل؟....

لو كانت الإجابة (نعم) فانا قد نجحت، وهذا هو ما يهم في الوقت الحالي ...

الآن تعالوا نشعل شمعة تبديد ظلام القيو ..

تعالوا نفتح الصندوق معاً ...

تأثير الفراشة

يطلق عليه العلماء اسم (تأثير الفراشة) نسبة لقصة (راي برادبوري) الشهيرة عن الرجل الذي عاد إلى الماضي ليقتل الديناصورات.. لقد تم ترتيب كل شيء والديناصورات التي سيقتلها هي فقط تلك التي تم وضع علامة مضيئة عليها لأن هذه ساعة موتها على كل حال؛ أي أن قتلها لن يحدث أي تغيير في مجرى الزمن.. هكذا عاد الرجل وراح يتسلى بإطلاق الليزر على تلك الوحوش، لكن حدث خطأ ما جعله يطأ فراشة وسط الأوحال، وبدا هذا تأقها.. حينما يعود لزمنا يكتشف أن كل شيء تغير وحتى شكل المباني ولون السماء.. إن الفراشة التي سحقها ربما كانت ستتطور إلى شيء أكبر.. وتراكت التغييرات على مدى ملايين السنين لتصير هائلة..

يطلقون عليه اسم (تأثير الفراشة) وهناك فيلم سينمائي شهير بذات الاسم، فلا تعتقدوا أنني سرقت قصته من فضلكم.. إن مصطلح (تأثير الفراشة) لم يحتكره أحد..

يطلقون عليه اسم (تأثير الفراشة) لكنه يتمشى مع تعبيرنا العربي الخالد (ومعظم النار من مستصغر الشرر)..



كنت منطلقاً بسيارتي على الطريق السريع.. تعرفون أنني أسوأ سائق في العالم ربما بسبب ضعف البصر أو لأنني تعلمت القيادة في سن يفضل الناس أن يموتوا فيها.. إنه الليل وصوت أم كلثوم ينبعث من قناة إذاعية مجهولة.. هذا يجعل وزن جفنيك طناً... هكذا نمت.. ليس بوسعك أن تقسم أنني نمت لكنني أعرف أن هذا حدث لجزء من الثانية ثم فتحت عيني على الجحيم..

فتحت عيني لأجد أن الطريق زلق.. زلق أكثر من اللازم.. وضغطت الفرملة فقط لأكتشف أن هذا مستحيل.. السيارة تواصل طريقها بحماس مشبوب... رحت أضغط وأرفع قدمي.. ذلك العمل الذي يصفه الميكانيكية بأنه (المكاركة).. لكن (المكاركة) كالعادة تقلح معهم ولا تفلح معي..

وداعاً.. (محفوظ).. كانت معرقتك لطيفة وكان وجهك في مرآتي يطمئنني على أن الكون بخير..

السيارة تنقلب مرة.. ثم مرة.. ثم وجدت أنها ملقاة على جانبها الأيمن،
وأنتي أتحمس الباب وأنا أشعر أن هناك من يبق مخي بيد (الهاون)..
هناك شخص متحمس ما فتح الباب وشدني للخارج.. وفي النهاية
وجدت أنني ملقى تحت جذع شجرة وأن حوالي خمسة أشخاص
يسكبون على وجهي الماء.. ربما يبصقون أيضاً..
قال لي أحدهم:

«حصل خير والحمد لله.. لقد كان الطريق مبتلاً.. سيارات المطافئ
أغرقت كل شيء والمشكلة هي أن حرائق البنزين صعبة..
رحت أحاول استجماع ما حدث.. مطافئ وحرائق بنزين؟.... لم أر
شيئاً من هذا.. ثم نهضت.. إنني سليم لم يتحطم شيء.. فقط هي
الصدمة العصبية لا أكثر.. أعتقد أن أنفي نزف بغزارة لكن هذه الأشياء لا
تستمر.. ونظرت لبعيد.. بالفعل هناك محطة بنزين عند الأفق.. ومن
الضوء الراقص أقدر أن هناك حريقاً.. سيارات إطفاء.. فوضى عارمة..
صراخ.. أنظر للوراء فأرى كافتيريا وصيدلية عند ذلك الجسر الذي
يستخدمه من يعبرون الطريق السريع راجلين..

مشيت مترنخاً إلى حيث كان الزحام في محطة البنزين..

القصة واضحة... توجد سيارة لوري عملاقة تقف وسط المحطة
والدخان ينبعث منها لعنان السماء.. واضح أن جهود السيطرة بدأت تفلح
، لكن النتيجة كانت فوضى عارمة.. الطريق كله زلق مبلل والدخان يجعل
من الصعب أن ترى يدك.. وهناك عدد من المارة المتطوعين ورجال
الشرطة يقفون حاملين الكشافات ليجعلوا السيارات القادمة على الطريق
السريع تهدئ سرعتها.. طبعاً هذه الأساليب تنجح مع الجميع ما عداي..
دنوت أكثر وبرغم القوضى العامة وضعت يدي على كتف أحد عمال
محطة البنزين وسألته عما حدث..

كان شاباً أسمر مذعوراً قال وهو يجفف عرقه ويسعل من فرط الدخان:

«السيارة اللوري كانت مشتعلة.. كانت محملة بأجولة القطن.. وقد
وثب سائقها منها هارباً.. عندها واصلت طريقها لتقتحم المحطة.. لولا
رحمة الله لتحولنا إلى بخار..»



ثم اشار إلى رجل يقف وسط الزحام وقال :

«هو ذلك الأحمق .. لن يتركوه»

وعلى بعد خطوات وجدت السائق اليابكي معزق الثياب متورم الوجه من كثرة الضرب، يقول لضابط متشكك متحمس :

«أقسم بالله يا باشا .. لم أعرف كيف حدث هذا .. فقط نظرت في المرأة فوجدت ان حمولتي كلها تحترق .. هكذا وثبت من السيارة ولم أعرف أنها ستدخل المحطة .. لم أفكر وقتها إلا في النجاة ..»

هنا تدخل رجل قصير القامة يضع عوينات سميقة ليقول :

«الحق ما قال يا حضرة الضابط .. لقد مرت سيارته تحت الجسر هناك .. أنا كنت في سيارتي وراءه ورايت المشهد .. رأيت رجلاً يقف فوق الجسر يلقي بلفافة تبغ مشتعلة ... ثم اشتعلت النيران في القطن بسرعة وساعد الهواء على ذلك .. حتى لما بنغ هذا الموضع كانت حمولته كلها تحترق .. لقد أصيب المسكين بالذعر ووثب من السيارة غير مقدر خطورة الأمر ..»

قال الضابط في غيظ :

«ومن المخبول الذي يلقي لفاقة تبغ على أجولة قطن؟»

«ومن الذي لا يفعل ذلك؟ ... إن الاستهتار هو الموضة هذه الأيام ..»

بالفعل من العسير اليوم أن تجد ذلك الرجل التقى الحكيم الذي يرى سيارة لوري محملة بالقطن فلا يلقي لفاقة تبغ على حمولتها .. لو قابلت هذا الرجل يا ابنتي العزيزة فلا تتركيه للأبد .. إن القصة قد انتهت وهي موجهة اليمين، وهذه الأجسام المتفحمة الواقعة وسط الدخان هي نصب تذكارية للاستهتار .. لكن لنحمد الله على أنه لا توجد جنث ..

نهضت مفكراً في سيارتي البائسة .. لا بد من إعادتها إلى وضعها الطبيعي فهل تتحرك عندئذ؟ .. ما مدى ما أصابها من دمار؟ .. تمكنت مع بعض المتطوعين من تقويمها وأدرت المحرك فسووني أنه ما زال يعمل .. حتى ام كلثوم لم تنه أغنيتها بعد .. هناك أشياء طيبة في هذا العالم برغم كل شيء .. هكذا انطلقت بسرعة السلحفاة أبتعد عن المشهد ..

مشيت بسيارتي بضعة أمتار حتى بلغت الجسر العرضي الذي



يصعد له من أراد عبور الطريق السريع .. وهذا شعرت بأنني بحاجة إلى قدح قهوة قبل أن أواصل رحلتي الرهيبة .. لا مزيد من النوم خلف عجلة القيادة .. هكذا دخلت الكافتيريا شبه الخالية الغافية تحت أقدام الجسر ، وطلبت من النادل قهوة سوداء مركزة .. رأى حالي فأحضر لي منشفة متسخة مبللة أزيل بها الدم عن صدر قميصي .. وسألني عما إذا كنت قد أصبت في حادث الحريق فقلت له إنني أصبت لكن بشكل غير مباشر .. أصبت بسبب الماء لا النار .. فقال :

«يقولون إن هناك رجلاً القى لفافة تبغ على اللوري ..»

«هذا ما يقال ..»

قال النادل وهو ينظر حوله :

«هذا صحيح على الأرجح .. بيني وبينك يا سيدي .. أنا رأيت ذلك الرجل ..»

«رأيت ؟»

«نعم .. كانت هناك فتاة حسناء تجلس هنا .. في كافتيريا كهذه وساعة كهذه لا بد أنها تنتظر رجلاً .. ظلت تنتظر طويلاً .. ربما ساعة أو أكثر .. قلت لنفسني من الأحق الذي يعطي موعداً لهذه الفتاة ثم لا يأتي قبلها بشهر ؟ .. ثم ظهر رجل طويل له شارب كث وجلس معها .. يبدو أنهما كانا يتشاجران .. واضح أنه تأخر كثيراً على مواعدها وهي لم تقبل أية أعذار .. وفي النهاية نهضت في عصبية وألقت بورقة مالية على المنضدة وغادرت المكان أما هو فظل جالساً بعض الوقت .. بعدها اشعل لفافة تبغ في عصبية .. انصرف فلم اعترض لأن الفتاة دفعت .. رأيت يصعد درجات الجسر ومن الواضح أنه وقف فوقه يرمق الطريق شاردًا بعض الوقت ..»

«هل تعني أنه ؟»

«ضع نفسك مكانه .. متضايق حزين .. ينهي لفافة التبغ ثم يتخلص

منها غير عالم أن ما يمر تحته هو سيارة لوري محملة بالقطن ..»

كانت القهوة سيئة .. كما أحبها بالضبط .. هكذا نقدت الغنى ماله ودست قرصين من الأسبيريدين في فمي كي أقضي على هذا الصداغ ، ثم شكرته واتجهت إلى الباب ، وفجأة سمعته يصيح :

«هذا هو يا أستاذ»

هذا رجل طويل القامة صاحب الوجه له شارب كث.. لا يوجد كثيرون بهذه الأوصاف.. لقد دخل إلى الكافتيريا فهرع النادل نحوه وصاح وهو يمسك بتلابيبه:

«هل تعرف ما سببته؟»

بدأ الرجل محاصراً.. من الواضح أننا لن نتركه.. ولم يبذل أي جهد لينكر أو يكذب.. إنه يعرف بالضبط حدود الضرر الذي سببه عن غير عمد وهو يحترق نداماً.. هكذا طلب أن تسمح له بالجلوس ثم بدأ يتكلم.. قال:

«لنقل إن المودة كانت تربط بيني وبين تلك الأنسة التي...»

قال النادل في نفاد صبر:

«كنت تحبها.. وكان هذا موعداً بينكما.. دعك من الحذقة فلسنا طفلي الأمس..»

نظر له الرجل وابتلع ريقه وقال لنا إنه كان ينتظر هذا الموعد منذ دهر، لكنه تأخر عنه.. وهكذا رحلت حبيبته.. لقد كان متجهاً إلى موعداً قبله بنصف ساعة، لكن تعطلت سيارته.. والسبب هو أن بنزينها نفذ.. هكذا اضطر إلى المشي حتى يلحق بالموعد وقد بلغه متأخراً ساعة كاملة.. الأمر الذي لن تغفره أية فتاة في العالم..

«لقد ظلت جالسة كل هذا الوقت كي تنفث غضبها في وتهينني وترحل..»

قلت له متمهلاً:

«ما دام الأمر مهماً بالنسبة لك لهذا الحد فلماذا لم تستقل سيارة أجرة؟.. لا يبدو لي وقتاً مناسباً لتتحلى بفضيلة الاقتصاد..»

قال في خجل:

«لأنني لم أكن أملك أجرة التاكسي.. وبالطبع لم أكن أملك ما يكفي ثمن البنزين»

قلت مغتاضاً:

إذن ماذا كنت تنوي عمله في موعدك؟.. تطلب كوبين من الماء؟.. من حسن حظك أنها غضبت وألقت بثمن ما شربته وإلا لقضيت ليلتك في المطبخ..

«لم يكن هذا ضمن خطتي.. كان معي ما يكفي من مال.. وخرجت من داري مفعماً بالأمل، ثم شمعت رائحة الشواء تنبعث من مطعم.. كان عندي متسع من الوقت وأنا لم أكل شيئاً طيلة اليوم من فرط الترقب واللهفة.. هكذا قررت أن أتناول وجبة سريعة.. لكنني حينما دخلت المطعم لم أستطع التحكم في شهيتي وأكلت كثيراً جداً.. وفوجئت بأن ما معي من مال يكفي فاتورة الحساب بالضبط ويبقى جنيهان ربما يكفيان لتفقاتها.. هكذا دفعت وخرجت وأنا أمل أن يكون في السيارة ما يكفي من بنزين.. طبعاً اتضح أن أملي كاذب.. لقد تعطلت السيارة في أسوأ وقت.. هكذا قررت أن أمشي.. ويبدو لي أنني مشيت قروناً..»

رحت أفكر في الأمر.. يا للعاشق الشره المفلس!.. فيما مضى كنت أحسب أن الحب يملأ المعدة حتى بدأت أحسب المعدة والقلب يشتركان في تجويف واحد، لكن هذه القاعدة لا تنطبق هنا في مصر.. الحب يفتح الشهية، وقديماً تكلم الساخر العظيم (أحمد رجب) عن (الغدة الأكلوغرامية) التي تفرز هرمون (الطفاسين) وقت اللقاء العاطفي..

تأثير الفراشة.. هذا هو ما يمكن أن نسمي به هذا التفاعل المتسلسل من الأحداث.. هو جاع فأكل كالمحرومين فنقد ماله.. هكذا نفذ البنزين وتأخر عن مواعده.. من ثم فقد حبيبته.. في غل القى بلفافة تبغ من فوق الجسر.. اشتعلت السيارة.. اقتحمت محطة البنزين.. أنزلت سيارتي على الأسفلت المبتل..

كل هذه السلسلة الجهنمية كان يمكن قطعها بتغيير واحد.. لو لم يأكل الكباب.. لو بقي بعض البنزين في السيارة.. لو لم تسقط اللفافة على اللوري.. لو لم يختر اللوري وجهته بدقة.. لو لم أتم أنا..

قلت له في شيء من سخرية لم يفهمها:

«لو لم تغلبك رائحة الكباب لما تهشم أنفي أنا.. هل تتصور هذا؟»

لكنه نظر لي في غباء ولم يستوعب حرفاً.. أعتقد أنه لم يسمع قط عن تأثير الفراشة.

www.lilias.com/vb3
^RAYAHEEN^

أسرة لطيفة

الورقة الثانية التي خرجت من الصندوق تقول

لأسباب يطول شرحها انعقدت صداقة بيني وبين آل (هالبروك)

أنتم تعرفون أنني أدرس الأدب الإنجليزي، وكان المستر (إدوارد هالبروك) رب الأسرة يعمل مع إحدى الجامعات الخاصة المصرية للفرض ذاته أي أننا التقينا لنفس الأسباب التي يلتقي بها التجارون والسباكون وقبيلو التبريد في كل مكان المهنة الواحدة

إنني يمكننا أن ندرك أن إقامتهم كانت رائعة في مصر، وكان لهم بيت لطيف في (المعادي) زرقته مرة أو مرتين من قبل زوجته تدعى (مارثا) وهي امرأة في الثلاثين مهذبة بشوش، ولهم ابن في العاشرة من العمر له مزايا وعيوب أي صبي إنجليزي آخر

أسرة لطيفة هي لكن لماذا أرتجف أحياناً حينما أتعامل معهم؟

تلقيت دعوة العشاء في يوم عيد ميلادي بانضبط. أعني أنني تلقيتها عشية عيد ميلادي لأني من مواليد الأول من نوفمبر ولما كنت لم أنجب وزوجتي مسافرة لزيارة والدتها المريضة، فقد خطر لي أنه من اللطيف أن ألبى هذه الدعوة. من الجميل أن تجد من حولك بشراً في اليوم الذي ولدت فيه أما أن تجلس وحيداً في الدار تشاهد التلفزيون، فقد بدا لي هذا آخر شيء ممكن..

أقف أمام مدخل البيت في التاسعة مساءً، حيث تلك الحديقة المهندمة التي تعوج منها روائح نباتات غريبة. إنه الخريف بكل ما يحمله من شجر. ليل الخريف الذي يحمل رائحة ما لا أعرف من شيء، لكنها كانت تثير الرعب في نفسي أيام المدرسة مع الخريف تنتهي سلطة النهار الطويل لتبدأ سلطة الليل تنتهي سلطة اللهو لتبدأ سلطة المدرسة دعك من رائحة الحوافة التي تنبعث من كل شيء!.. لكم أمقتها!

قلت للمستر (هالبروك) وهو يفتح لي الباب

حتصور أن عيد ميلادي غداً..

أعرف.. ليس غداً بل بعد ثلاث ساعات»

ويتنحي لي لأدخل، وأنا أتساءل عن المناسبة التي ذكرت له عيد ميلادي فيها متى؟ بصراحة لا أنكر لكنني بالتأكيد أخبرته لأنني كنت من المشاهير ولا أعتقد أن تاريخ ميلادي مذكور في دوائر المعارف 'مشي وسط الحديقة...'

على باب الدار أرى تلك القرعة التي تم إحداث تجويف في موضع عيين والفم فيها، مع إشعال شمعة داخلها هذا المنظر المألوف (حاك مي نصباح) كما يطلقون عليها لها مشهد موجس شيطاني كأنها عفريت يكشر عن أنيابها، مع تلك الصحكة الوقحة الشريرة الشبيهة بصحكات الجماجم

ظهرت له ضاحكاً مقار

«لا تنس أن هذه الليلة بالذات هي (الهالوين) إننا في الحادي والثلاثين من أكتوبر،

نسيت هذا طبعاً. إن احتفالات الهالوين لا تعمل أي جزء من تراثنا طبعاً. لكنهم يحتفلون بها، ومن عاداتهم أن يصنعوا القرع العسلي. اليقطين. على أبواب الموت.. قال لي ضاحكاً.

«كنا معشر الأوروبيين نستعمل اللفت قديماً. لكن بعضنا نزح إلى الولايات المتحدة حيث لم يجد لفتاً ذا حجم مناسب لهذا اضطروا لاستعمال اليقطين إن هذه العادة (أحياء لقصة قديمة عن شاب يدعى (حاك) منحه الشيطان مصباحاً في ثمرة لفت مفرعة».

هزرت رأسي موافقاً على الأقل أنا أعرف عادات الغربيين في هذا الصدد الأطفال يجولون حول البيت لابسين أقنعة مرعبة ويطرقون بابك قائلين حلوى أم حيلة؟ بمعنى أن عليك أن تعطيهم كيساً مليئاً بالحلوى وإلا أزعحوك، وأطاروا النوم من عينك

على الباب رحبت بي الزوجة مسرّ (هالبروك)، وكانت متأنفة بحق.. واقتادتني إلى داخل الشقة المريحة..



أسرة لطيفة هي . لكن لماذا لا أشعر براحة وأنا بينهم؟



العاشرة مساء..

لقد انتهى العشاء أو كاد ونحن نثرثر كأنوا قد قضوا في مصر عام
أو أقل ورأيهم هو الرأي المعتاد الناس ودودون ظرفاء. الطقس جميل،
لكنكم تضيعون الكثير من الوقت..

تعود الزوجة من المطبخ حاملة صحفة عليها بعض حلوى التفاح
والبندق. وتقول ضاحكة

«طقوس الهالوين تقضي بالتهام البندق وحلوى التفاح. إنها
اللمسات التي أضافها الرومان إلى هذا العيد»

ضحكت بدوري وملات كفي بالبندق، وبحثت عن كسارة في مكان
ما هنا رأيت للمرة الأولى ذلك الوجه المظلم علي حيث علق على الجدار
إنه قناع أثري غريب الشكل..

رأى الزوج نظراتي فقال مفسراً:

«إنه يدعى (ساوين). أحد أصنام قبائل الكلت. إله الشمس عندهم
إذا شئت الدقة أنت تعرف أننا قادمون من (ويلز)، وقد كان (ساوين)
يُعبَد هناك. هذا القناع أصلي وأراه جميلاً..»

هزئت رأسي في سخرية فقال:

«مارلت متصلب الرأي. ما زلت لا تصدق تلك القصص أنت
تعنبرها خزعيلات. وأنا أرى أن منطقك هذا هش جداً. نتحدث بثقة عن
أشياء لا نفقه فيها حرفاً..»

حكنا ذلك الرجل.. فأنت أيضاً لا تعرف الكثير عن هذه الأشياء..

كلاش ش¹. هذا طبعاً هو صوت تهشم البندق.

قال لي (هالبروك) وأنا أملا فمي بالبندق

«إن الهالوين في الأصل عيد كانت تحتفل به قبائل الكلت. لفظة
هالوين هي اختصار لعبارة All Hallows.. even أي (الليلة التي تسبق يوم

كل القديسين) وهي ليلة الحادي والثلاثين من أكتوبر لقد كانت عيداً
كلتياً ثم قرر البابا (حريجوري الرابع) عام 834 ميلادية بلمسة ذكية لا
شك فيها. احتواء هذا العيد ليضعه إلى المسيحية وبهذا لم يظل عيداً
وثنياً.. وصار مناسبة لتذكر القديسين..»

بعد دقائق سمعت من يزوم فنظرت للوراء مجعلاً.

كان هذا الشبح الذي يليس ملاءة سوداء ويضع على رأسه قناعاً يشبه
الجمجمة، يدنو مني فإردأ كفه ليقول بصوت طفولي المعترض أنه مخيف
«حلوى أم حيلة»

مددت يدي إلى حلوى التفاح فقبضت على معصها ودسستها في كف
أصغير عندها أطلق زئيراً واتجه نحو الباب.

من جديد واصل (هالبروك) معاصرتي

«هذه عادة أوروبية أخرى اسمها (الترويع) كانوا يمرون على
القرى المجاورة يتسولون (كعكة الأرواح) فإذا كنت سخياً معهم
وعدوك بأن يصلوا أكثر كي يرحم الله أقاربك الموتى. وإذا لم تعطهم
لعنوك مورست هذه العادة لفترة طويلة، لكن جملة (حلوى أم حيلة) لم
تظهر على الساحة إلا عام 1950 في قصيدة نشرتها جريدة أمريكية»

قلت له باسماً

«أي أنه نوع من التسول المقنع غير أنني أرى أن المتسول الذي يلعن
من لا يعطيه طريف حقاً..»

وضحكت وضحكوا..

أسرة لطيفة هي.. لكن لماذا أشعر بهذه العصاة في خلقي؟

منتصف الليل...

نظرت لساعتي وتنحنحت معلناً رغبتني في الانصراف بكل المقاييس
لم تكن سهرة سيئة.. لكن (هالبروك) هر رأسه ونظر لساعته بدور، ثم
قال في إلحاح.

«ليس قبل أن نحتفل بعيد ميلادك إن هذا سيضايق السيده جدًا»

ونظرت بجانب عيني فوجدت زوجته قائماً ترتدي ما يشبه عباءة طويلة سوداء، وتحمل كيساً من البلاستيك، وقد بدا عليها الاستعجال كدت أقول شيئاً مازحاً بصدد العباءة، لكني حفت أن تكون هذه موصلة العام.. أنا لا أهتم شيئاً في ثياب النساء .
قالت له :

«مفتصف الليل.. هيا»

هنا نظرت إلى باب الردهة لأرى الصبي قائماً وهو يلبس عباءة معاتلة، وكان ذهولي شديداً عندما رأيت (هالبرول) يأخذ من الكيس الذي تحمله زوجته عباءة أخرى، فيضعها على كتفيه.

قلت لهم في تهكم

«هل هذا حفل تنكري؟»

قال بلهجة لا مراح فيها.

«كلا تفسير هذا يستغرق وقتاً» .

ثم أخرج من سترته مظروفاً مغلطاً وقال وهو يناولني إياه

«اقرأ هذا بعد انصرافنا سوف نعود سريعاً مع المفاحاة . صدقني
إن هذا مرتبط بعيد ميلادك» .

وسرعان ما أشار لزوجته وأمنه فاسطلقوا مفاديرين البيت وجلست وحدي كالأبله في البيت الخالي فجأة انقطع التيار الكهربائي فوجدت نفسي في الظلام لم أرتكك كثيراً لأنني وجدت شمعة على منصبة الطعام فأشعلتها بقداحتي . وجلست أمامها

أخذت نفساً عميقاً وفتحت الرسالة فوجدتها مكتوبة بخط نصيد امين
«عزيزي د. حجازي»

«أعرف أنك ستعصب علي لهذا التصرف العريب، لكن الأمر مهم فعلاً بالنسبة لنا لن تستغرق وقتاً طويلاً حتى تدرك أنك وحيد تماماً في المنزل وأنه لا سبيل لمغادرته لأن النواهد مدعمة بالحديد والأبواب

موصدة دعك من أنك لا تستعمل الهاتف المحمول وخطوط الهاتف مقطوعة هنا..

«لم أحدثك عن عقيدتي الخاصة إننا نستعي إلى العقيدة (الدرويدية Druidic) التي يسب لها البريطانيون كل عادة غير مفهومة لديهم بالتحالي نحن نمارس الهالوين بذات الطريقة التي كان أجدادنا الكلت يمارسونه بها يقال إن (ساوين) كان يستدعي أرواح الموتى جميعاً في هذا اليوم ليتولي تنسيقها كان الكلت يهايون هذه الليلة ويستعدون لها بالنيران في الحلاء والأقنعة وربما بعض الأضحيات البشرية إنها مناسبة لهم لا تعزل عيد (ساوين) محسوب، بل نهاية الصيف الجميل وقدم الشتاء البرهيب الكئيّب يقال أيضاً إن أرواح الدين ماتوا في العام الماضي تخرج بحثاً عن أجساد حية تسكنها في هذه الليلة بالذات تتلاشى الحواجز بين العالمين، ويصير الموتى قادرين على اقتحام البيوت..»

وابتلعت ريتي ونظرت حولي إلى الشقة المظلمة ثم واصلت القراءة

«كان الكلت يطفئون النيران في ديارهم، ليجعلوا بيوتهم باردة غير مريحة للأرواح، ويلبسون أكثر الأقنعة إفزاعاً الأقنعة التي يمكن أن تحيف الأشباح ذاتها الآن أنت تفهم ما فعلناه ولماذا عاودنا الدار بهذه اللهفة على أننا تركنا للموتى هدية هي قربان مشري أنت قربان فريد لأنك مولود في الأول من نوفمبر.. وهذا يجعل (ساوين) راصياً عنا وهذا ما قمناه به في كل بلد ارتحلنا إليه من قبل، لكنها المرة الأولى التي فعلها في بلدكم الجميل سامحتني وأعرف أنك لن تحقد علي بإحلاص..

إدوارد هالبروك

ما إن فرغت من قراءة هذه الكلمات حتى هرعت أنكدم مما قال.. بالفعل لا توجد طريقة لمغادرة هذا البيت.. جربت كل الأبواب على ضوء الشمعة هزيت السوافذ.. استعملت الهاتف لأسمع لا شيء.. صوت البلاستيك إن كان له صوت..

هذا الرجل يمرح هذه دعامة قاسية سمجة.. لا شك في هذا

قال «سامحني لن تحقد علي». يا له من أحق!.. لو قابلته لهشمت رأسه.

هنا سمعت الصوت .

هناك من يعيث في الباب الحلفي هناك باب خلفي للمطبخ في هذه الدار..

جريت على ضوء الشمعة إلى المطبخ. وقفت خلف الباب فسمعت الصوت صوت أنين . صوت عواء مكتوم.. بينما هناك من يداعب القفل بيده.. يدخل فيه أشياء...

كانت هناك شراعة صغيرة فجذبت مقعداً ووقفت عليه واختلست نظرة إلى الخارج.. إلى الحديقة الخلفية للدار. كان الطلام دامساً بالفعل لكنني رأيت ثلاثة أربعة أشخاص مدثرين بالأيض يقفون وراء الباب ويحاولون فتحه في لهفة أبيض. أكلان؟

ترجلت وركضت نحو الباب الأمامي. الشمعة انطقت لابد من لحظة كي أشعلها. هناك من يعيث به هذا أكيد.. هناك من يدخل جسماً معدنياً فيه .

في هذه الليلة بالذات تتلاشى الحواجز بين العالمين، ويصير الموتى قادرين على اقتحام البيوت..

الطابق العلوي

نسيت أن هذه الدار ذات طابقين

أنظر لأعلى إلى مصدر الصوت فأسمع ذات الصوت هناك من هو أت من الطابق العلوي وهو يثني بلا انقطاع . ثمة شعلة تتوهج. أراها تتحرك ببطء قادمة من أعلى .

أركض إلى الباب الأمامي واقف وراءه أصغي لمحاولات الاقتحام.

ثمة نافذة مطلة على الحديقة تنفتح ببطء. أرى يداً تدخل منها.. لن تستطيع الدخول لأنها مدعمة بالحديد..



لكن .

أركض نحو المائدة التي كنا نأكل عليها . أبحث عن سلاح ما في نهاية أقرر أن أزحف تحتها مخدباً . كم سيطول الوقت حتى يحدوني؟؟ لن يطول . هذا نوع من قرار الفأر من القط في غرفة محقة

ها سمعت صوت الانفجار إذ انفتح الباب الأمامي للدار .
انفتح مرة واحدة...

أخرجت رأسي من تحت المائدة ونظرت..

هذا رايتهم يقفون في فرجة الباب . كانوا مسرلين بالملاءات لكنهم لم يكونوا موتى كانوا أصدقائي في العمل حوالي عشرة منهم وكانوا يصحكون أحدهم يحمل تورتة عليها شموع وأحر يلتقط لي صورة بالفلش حيث تواريت تحت المائدة .

وسمعت الإنشاد:

«هبي بيرث هاي تويو»

و(هالبروك) يقول وهو يوشك على فقدان وعيه من حرط الضحك.

«دعابة قاسية أنا أسف» . لكنك أقنعتني بشجاعتك.. أنت بالفعل عقلاسي لا تؤمن بالمراهات على الإطلاق»

وأخرجت من تحت المائدة وأنا الهث . كانت دعابة محكمة فعلاً ولا أنكر هذا

تسألني عن أسرة (هالبروك)؟

أسرة لطيفة هي.. لكني لسبب ما قطعت كل علاقة لي بها منذ تلك الليلة

www.illias.com/vb3
RAYAHEEN

دقات

توك.. توك . توك!

دقات لكنها تختلف عن أية دقات أخرى ولهذا قصة أحكيها لكم الآن..

قد تختلف معي في الأمر، لكن لا تنكر أن الفترة التي قضيتها في جمعية البحوث الروحانية البريطانية هي فترة من أمتع فترات حياتي.. ربما كان الأمر كله هراء لكنه هراء مسل ومثير أعترف أن التفاوت بين البشر موجود في كل شيء أنا لا أستطيع تحريك أذني لكي أعرف أكثر من عشرة أشخاص يقدرون على ذلك بطل العالم في التمس ليس سوى رجل مثلي ومثلث لكننا نعتقد أنه خارق. وهذا يشعل الحواس ذاتها.. زرقاء اليمامة رات الجيوش المعادية بينما قومها لم يروا شيئاً وحسبوها تخرف د (إيمانويل بييمان) كان يسمع صوت اللفظ على قلب طفلة قبل أن يسمعه زملاؤه الأطباء بأسبوع كامل، وكان من السهل عليه لو أراد أن يدعي امتلاكه لقدرة الاستنصار.. أعتقد أن المتعمقين بالقدرات الخارقة للحواس يمكنون قدرًا أكبر من الإدراك. إنهم (يحركون آذانهم) على نطاق أوسع .

ثم ذات الرجل الذي دعاني للجمعية د (جيمس ماتيسون) ألا تراه طريقاً بقامته القصيرة وعصبية وعينية النافذتين؟.. وماذا عن البناية العتيقة التي تعود لعام 1882 تذكر أن هذا الباب الذي تجتازه اجتازه من قبل علماء كبار مثل الفيزيائي (كروكس) وأدباء أكبر مثل (كونان دويل) مؤلف (شيرلوك هولمز) وخبراء روحانيات محترمون مثل (دوجلاس هيوم) لا تنس كذلك أن تعبير الإدراك الفائق للحواس Extrasensory perception هو من ابتكار هذه الجمعية، وهو ما صرنا مختصره بحرف إي إس بي ESP ربما قابلت هذه المواضيع تحت مسمى الباراسيكولوجي الذي يختصره كتاب الخيال العلمي إلى Psi. أو psionics ..

ألا ترى معي أن هذا كله مثير؟

لأن أدخل في تفاصيل أنت تعرف موضوع زيارتي لبريطانيا وكيف تعرفت .. (جيحس ماتيسون) إنه .. كما تعرف .. طبيب نفسي لكنه من أعضاء الجمعية البارزين .. وكان هو نفسه يملك بعض الحيل لطريقة التي تلعها من الیوجین .. لكنه كان يتدهش من إبهارك بها، ويقول في تواضع إنها مزيج من السيطرة المطلقة على العقل وقليل جداً من حفة اليد

قلت له

«كيف وأنت رحل علم تؤمن بهذه الترهات؟»

قال بطريقته العصبية التي تقتضب الكلمات اقتضاباً

«أنا لا أؤمن بها لكي أجرب .. أنا متعادل منذ البداية لهذا لا أطلق عليها ترهات ما لم أؤكد بطريقة علمية صحيحة من أنها ترهات .. ثم استطرده قائلاً:

«هنا ندرس الإدراك الفائق للحواس وندرس التحريك عن بعد .. هناك أنواع عدة من الإدراك الفائق للحواس، منها التحاطر أو قراءة الأفكار أو قراءة العواطف، وهناك تحريك المادة عن بعد .. والاستبصار وهو رؤية المستقبل ورؤية أشياء ليست أمامك وسماع أشياء بعيدة أما السايكومتري فهو قدرة الإحساس بمن لمس الشيء .. هناك كذلك عوثة التواجد في مكانين في الوقت ذاته .. ثم القدرة على إشعال لحرائق ذهنياً .. والقدرة على إحضار الماديات إليك ..»

«وتعتقد أن هذا كله ممكن؟»

«أنا لا أعتقد .. أنا أدرس وهذا هو ما لا تريد فهمه،

ثم اقتادني إلى مختبر (حانتسفلد) الذي تم إنشائه عام 1974، والمعروف عن أية مؤثرات بصرية أو صوتية، حيث يجلس من يدعون ويتساءلون عن قدرتهم على الإدراك الفائق للحواس .. هناك يكفون عن اعتبارهم بشراً ويعتبرونهم (مواضيع) كان (الموضوع) يجلس معصوب العينين أمام عالم يمتحنه .. ترى العالم يمد يده إلى مجموعة من البطاقات عددها خمس وعشرون بطاقة .. ثم يرفع إحداها في

الهواء ويطلب من (الموضوع) أن يخمن محتواها. هذه البطاقات تدعى بطاقات (زينر) وعليها رسوم **مختلفة** مثل الصليب والدائرة والموجة والنجم.. الخ ..

إذا استطاع الموضوع تخمين ست إلى عشر منها فهو يملك تلك القدرة إنه مشروع وسيط أو على الأقل يملك **الحاسة السادسة**..
«لماذا هذا الرقم بالذات؟»

«هذا نتيجة دراسات إحصائية مرهقة وضعها العالم الأمريكي (جوزيف بانكس راين).. وهي طريقة لاستبعاد عامل الصدفة. إن النتائج مبهمة لكنها غير قابلة للتكرار (الموضوع) الذي ينجح عشر مرات في تجربة قد ينجح خمس مرات فقط في التجربة التالية بينما صفات الظاهرة العلمية الصحيحة يجب أن تتضمن قابليتها للتكرار .. هنا جاء أحد العلماء بخمر (ماتيسون) أنهم مستعدون للتحرك جميل لقد حان الوقت.. لكن تحرك إلى أين؟»

كان الليل قد بدأ يجتاح المدينة وفي السيارة المتجهة إلى ذلك البيت الريفى خارج (لندن) أخبرني (ماتيسون) أنهم في الطريق لتطبيق عملي لخبرات الإدراك الخارق للحواس من حسن حظي أن أكون موجوداً أثناء التحري . هذا يعطيني فكرة أفضل عما يقومون به هنا..

القصة هي البساطة ذاتها وهي التكرار بعينه

في هذا البيت تعيش **أختان** عباسان (إميلي) و(جين) . كل العواصم الإنجليزيات **اسمهن** (إميلي) ويبدو أن هذه عادة استثنائها (إميلي برونتي).. ولم يعكس صفو **الأختين** شيء طيلة حياتهما **النعسة** **السعيدة** حتى انتقلنا إلى هذا البيت منذ عام وهذا بدأ أشياء غريبة تحدث

الأخت الكبرى مخيفة في حد ذاتها . يصعب أن تصدق أن شيئاً يمكن أن يخيف هذه المرأة وهي تلبس ثياباً لا تمت لهذا العصر دعت من أحداثها الذي يدركك بحذاء (الطنيبوري) في تراثنا. لكنها تتحدث في رعب عن كليهما إنه هي أسوأ حالاته النفسية منذ جاء هنا. وهو يرفض **بشعم** أن يدخل قطاعات بعينها من البيت الردهه مصرمة



عليه مواضع بعينها في الحقيقة . الكرار .. إنه يغف هناك متصلاً
ويصدر صوتاً يثير الشفقة . أما لو حاولت أن تدخله مرعته فإن شعر
عنقه يتصلب ويزوم بتلك الطريقة المندرة بالويل، والتي تسبق تمزيق
حنجرتك

الأخت الصعري مثيرة للتوجس . إنها تحكي عن صوت الدقات
التي تدوي في أرحاء البيت ليلاً . دقات لا يمكن معرفة مصدرها .. إنها
قادمة من كل مكان ولا مكان . وهذه الدقات لا تحدث إلا وهما
موجودتان أي أنها لم تحدث قط لشخص منفرد في المنزل . هيماء عدا
هنا هناك شهود محترمون

إلام تفضي هذه الدقات؟..

قال د. (ماتيسون)

«هذه هي القصة المعتادة . حسب كلام المؤمنين بهذه الأشياء غالباً
ما تشير اندقات يعناد إلى مكان في الجدار .. هذا المكان نجد فيه جثة
سدوءة عند عقود . طبعاً روح صاحب الجثة هي التي كانت تدق ..»

سألته في تهكم مهذب

«وكلام غير المؤمنين بهذه الأشياء».

«يطلقون على هذه الدقات اسم Rappings . إنها نوع من قدرات
سحريك عن بعد لكنه لا إرادي أي أن الشخص الذي يعاني هذه
صاهرة يقصي أسود ليالي حياته غير عالم . الأحمق . أنه هو من يحرك
أشياء بعقله لتصدر هذا الصوت . هناك جزء من نفسيته يتصرف
شكل مستقل عنه . ونحن نرى هذه الظاهرة بكثرة في سن المراهقة
لها سن ظهور هذه القدرات . قديماً قيل إن المراهقة هي سن المس
شيطاني لكننا اليوم نقول إنها سن التحريك عن بعد دون علم
برصوع»

هكذا بدأت السهرة . لا أزعم أنني أهم كل ما قاموا به لكنهم بحثوا
عن مكبرات صوت حفية .. وقاموا بالنقاط عدة صور عادية وبالأشعة
حس الحمرء ، ثم قاموا بتوصيل كاميرات وأجهزة تسجيل هناك
خبره لا أعرف ما تقوم به لكنها جعلت الأمر أقرب إلى حرب القصاص



الخلاصة إنني أيقنت أن الشبح البائس سيصاب بهلع لو فكر في دخول البيت الآن .. لا أحب أن أكون مكانه ..

على منصة جلس (ماتيسون) يلعب الورق مع أحد رفاقه، أما الاختار الشمطاوان فقد راحتا تتسليان بالحياسة على مقعديهما المفضلين. هناك عالم نام وآخر موشك على النوم، والكلب يقعي جوار الاختين، وأنا المصري أحلس أراقب كل هذا هل كان هذا منتصف الليل؟ .. اعتقد ذلك ..

توك .. توك .. توك !

بدأت الدقات ومعها وشب الجميع يجب أن أقول إن الرعب شلني ففقدت التحكم في قدمي تماماً . لم أعد قادراً على الوقوف .. هذا الصوت يأتي من كل مكان ولا مكان إنه الكل الذي نص فيه صوت غريب لم أسمع مثله من قبل أما عن حال الكلب البائس فحدث ولا حرج ..

تدور أحيرة التسجيل. ويصيح (ماتيسون)

«صوروا الاختين! أريد أن أرى كل جزء منهما في المختبر تأكدوا من أنه لا توجد حبال أو حيل ما. لا دقات خفية تحت المضدة»

لكن الأمر كان واضحاً . إنهما جالستان في الوضع ذاته لم يتغير شيء إلا ابتسامة من طراز (الم - نقل - لكم -) الدقات عالية مستمرة موحشة كأنه الموت ذاته قادماً على عكاز وقدم خشبية .

ومن أعلى جاء صوت أحد العلماء.

«سلي لا يوجد شيء في العلبة لا يوجد أشخاص مختبئون»

قال د. (ماتيسون) في حيرة

«وهذا ليس تحريكاً عن بعد إذ لا شيء يتحرك»

ثم نظر لي في حماس وهتف

«هل من تعليق ما؟.. ليس من رأى كمن سمع»

لكنني كنت قد بدأت استعيد قدراتي العقلية. هكذا نهضت ونظرت حولي ثم أشرت إلى الأخت الكبرى (إميل) وقلت لها أمراً غريباً لم تفهمه لذا طلعت من (ماتيسون) أن يكرر الأمر:

«إنزعي حذاءك!»

بدأ عليها الغيظ المصحوب بالدهول هذه إهانة لكنني كررت الطلب

هكذا اجبت وانتزعت حذاء (الطنفوري) الشهير ودعني أؤكد لك أن قدميها لم تكونا ساحرتين. قدم لم يراف بها القرس والتهاب لعظام المفصلي، دعت من نظافتها الشخصية

لكننا الآن نرى قدميها عاريتين. ومدرك للمرة الأولى الحقيقة لقد توقفت الدقات!

ظلت تنظر لنا ونمظر لها في تحد. توطئة لأن يسألني (ماتيسون) كاشي أكبر مغفل عرفه:

«هل لك أن تفسر لي ما يحدث؟»

قلت وأنا أبهض لأزيل عني كل هذا التوتر

«الأمور سهل. كنت قد قرأت عن قصة الأخوات (فوكس) الشهيرات في أمريكا في أوائل القرن العشرين. إنها تشبه هذه القصة جداً ثلاث شقيقات هن كن يتحاطبن مع الأرواح في بيتهن. وذلك عن طريق إحداث خبطات معينة، فكانت الأرواح ترد بشفرة معاكسة وعن طريق هذه الرسائل المتبادلة عرفن أن هناك قتيلاً دفن في جدران منزلهن. عمت شهرة الأخوات الثلاث ربوع البلاد، ومن هنا ظهرت فكرة التحاطب مع الأرواح وتكومت جمعيات في كل مكان من العالم لجرب الشيء ذاته. لكن حب الشهرة يحرك المرء دوماً وأحياناً يعترف المجرم بجريمته ليقتخر بعبقريته مفضلاً السجن على السكتمان. هكذا اعترفت إحداهن. وتدعى (مارجريت فوكس). بأن لصوت الرهيب الذي كانت تحدثه الأشباح أحدثته هي بمعاصل

قدمها « وقد أحدث صوت (الدقات الشبكية) أمام 2000 متفرج مذهول في مسرح كبير وقد قالت بعد هذا الاعتراف كل موضوع الوساطة الروحية هذا نصب في نصب لكنه نصب على أعلى طرار ويحتاج إلى تدريب شاق »

كانت هذه ضربة قوية جداً لعلم الوساطة الروحية وقد رفض كثيرون من علماء البارسيكولوجي الاعتراف بهذه الهزيمة ثم أشرت إلى الأخت الكبرى وقلت

« نحن نرى أنه لم يتحرك شيء فيها لكن لماذا ترتدي هذا الحذاء العتيق » بمسألة لأنه يخفي حركة أصابع قدميه، وهي أصابع أصداها النفوس. من ثم صارت تحدث هذا الصوت الصاخب المحيف القادم من لا مكان. ومن الطبيعي أن حلع حذائهم جعل الأمر مفضوحاً إن هذه الأنسة ليست إلا باحثة عن الشهرة والاهتمام »

نظر (ماتيسون) إلى المرأة التي راحت تلمس حذاءها، فقامت في صيق

« أنتم مخرفون ضيقو العلم وإني لأطالبكم بمغادرة داري حالاً »

نظر (ماتيسون) إلى الرجال وقال

« هذا ما سيفعله حالاً يا أنسة اجمعوا أحبايتكم يا شباب »

ثم نظر لي باسمًا وقال

« كما قلت لك مقياسها هو التجريب لن تكون هذه الامسية الأولى ولا الأخيرة التي تذهب هباء »

مرت أعوام كثيرة، وتطايرت أوراق التقويم في الهواء كما يحدث في أعلام (توجو مزلحي) القديمة..

لقد اتصل بي د (ماتيسون) منذ أسبوع، ورحباً تتذكر تلك الأيام التي لن نعود ضحكاً كثيراً جداً. وحكى لي عن تحاربه مع الفقير الهندي الذي سحبه تحت الأرض أسبوعين ذكرته في تشف بقصة



الأختين . لقد استطاعتا خداع أساطين علم القدرات العالقة، لكنهما لم
تخدعاني . ربما لأبني احتفظت بها عيش واسع من الشك أكثر منهم
قال لي إن كبراهما ماتت منذ عام أما الأخرى فقد عادت البيت ولا
يعرف أحد مكانها. أما المنزل فقد هدم .

وقال وهو ينهي المكالمه

«على فكرة . كانت هناك جثة امرأة مدفونة في جدار الردهة لا بد
أنها موجودة هناك منذ مائة عام على الأقل . لكنني معجب بعقلك العلمي
لمرتب .. معجب به جداً..»

قد تحلّفت معي في الأمر، لكن لا تنكر أن الفترة التي قصيتها في
جمعية البحوث الروحانية البريطانية هي فترة من أمتع فترات حياتي
ثم أن لك رأياً آخر؟

www.illias.com/vb3
ARAYAH EEN

إنها تأتي ليلاً

وحيداً في عربة القطار ..

لم أعتد أن أركب هذا القطار بالذات في ذلك الموعد المتأخر، لكن الظروف خاصة وجدت أن علي أن أمضي ليلتي في الإسكندرية وهكذا وجدت نفسي ألحق به قبل قيامه بدقيقة

وحيداً في عربة القطار ..

كنا في يوم ميت من أيام الأسبوع، وفي ساعة يلفظ فيها اليأس أنفاسه . لا إجازات داية ولا هو موعد عوده موظف أو طلاب . لم أندش كثيراً حينما وجدت أنني الشخص الوحيد الموجود في هذه العربة ..

مربي المحصل، وهو رجل بدين وقور يدلي عويناته على قصبة أنه ليتمكن من النظر فوقهما كأنه صفر يترصد فريسته . وقد تفحصت تذكرتي دون أن ينظر لي نظرة واحدة ثم واصل مهمته انغماسه ترى هل العربات الأخرى بالحالة ذاتها ؟ لا اعرف ثم إنني موله بالوحدة، وهي هبة يصعب أن تجدها في بلدي أحياناً يخطر لي أن من المستحيل أن تجد نفسك وحيداً في أي مكان . (الجحيم الآخرون) . قالها (سارتر) يوماً ويبدو أنني بدأت أميل إلى هذا الرأي مؤخراً . أنا الآن وحدي .. وحدي ..

فتحت الكتاب الذي أحمله معي كلما سافرت، والذي أتوق إلى أن أطالع حرفاً واحداً فيه بعد صفحة 34 التي قراتها منذ أربعة أشهر وبدأت محمّاس غرو الصفحة رقم 35 لكنني نسيت عدواً آخر غير الآخرين . هذا العدو الذي أغرته بالقدوم العربة الدافئة وإرهاق اليوم الطويل وصوت ارتطام العربات المنتظم الرتيب المعاس

بدأ حفاي يشغلان حتى صار وزن الواحد طناً وبدأت بعض الأحلام السحيقة تتداخل مع سطور الكتاب فقط يدوي صوت ما من أن لآخر لأصحو من النوم مذعوراً وأنا أساءل عما يريده (أدولف هتلر) من زوج حالتي . ثم أدرك من أنا وأين أنا فأعود إلى صفحات الكتاب

ظهرت هي للمرة الأولى بعد ربع ساعة ..

لم أشعر بها في البداية لأنني كنت مغمض العينين، لكنني رأيت فيما يرى ابنائكم كياناً أسود بارداً يمر بجوارني ففتحت عيني مدعوراً
فرايتها تجلس على مقعد يتقدمني بصفين . المقعد المجاور للردهة على
جانب الآخر .. لهذا صرت أراها بوضوح ..

إسها فتاة لا يد أنك خجعت هذا . في العشرينات من العمر . أعتقد
بـ على شيء من الحمال إذا حكمت من جانب وجهها الأيسر وهي
ترتدي ثوباً أسود يوحي بالحناء ..

عدت لقراءة كتابي ونجاح تام انتقلت إلى صفحة 36 .



بعد قليل بدأت المشاكل ..

رأيتها تبحث في حقيبتها ثم تخرج هاتفاً محمولاً . كنا في منتصف
تسعينات ولما يصير هذا الاختراع (هي يد الجميع) بدا لي إنها
معجزة حقيقية أن تجري مكالمات في قطار، ورجحت أنظر لها
عصرون تام شبه وقع

كانت تضع الهاتف على أذنها، وتتكلم بشيء من العصبية،
صوت عال لا يمكن أن تتجاهله

« لا يا (عادل) ، أسلوبك هذا لا يريحني وإنني لأطالبك باتخاذ قرار
سريع »

بدائي أن الأمر مسر، فأغلقت الكتاب المنكوب بعد ما شئت صفحة
3 أعرف ولع الفتيات بمناقشة مشاكلهن العاطفية بصوت عال في
مكان عامة إن هذا يمنحهن نوعاً من الرضا عن النفس إن لهن
موضوع (وخلافات عاطفية الخ لسن مندوبات ولا منسيات
كر لويل لك لو ظهر ما يدل على أنك تتنصت

« أعرف أنك تتعذب . أعرف أنك تعاني لكن لا تتوقع لحظة أن أقبل
كعدرت نهائي نعم .. ماذا ؟ » أنهم هذا أنا قد جرسته قلن مصيف

المعلوماتي شيئاً ..

العتى متردد حبان يحتلق الأعذار وهي تقبعه بشيء ما ربما يتعلق الأمر بمصارحة أهله أو الاعتراف لروحة لا يحبها صلياً انطلاقاً أو المهم أن هذا الفيلم العربي الذي أسمعه بالقوة سوف يسليني في هذه الرحلة، ما دمت غير قادر على التركيز فيما أقرأ .

ظلت تصغي قليلاً ثم قالت :

« الأمر سهل .. غلبة أقراص منومة كاملة .. دعك من أساليب الأطفال لا تبتلع قرصين ثم تقول إنك حاولت وقششت لا لا ليس البر إنه يعوق الامتصاص ! سوف يبدو الأمر كأنه النعاس صدقتي تذكر ما مررت أدا به . تذكر أنني لم أحتر هذه الطريقة الناعمة الجبابة . »

هنا سقط الكتاب من يدي .. عم تتكلم هذه الفتاة بالصبيط ؟

كانت تواصل الكلام .

« يقولون إن المرأة تفضل أن تقتل نفسها بالسم أما الرجل فيستعمل طرقاً عنف .. من المضحك أن تنقلب الآية، وأن تكون المرأة هي البديئة ثم يجبن الرجل بعد رحيلها ! »

ثم راحت تضحك بطريقة هستيرية شبيهة تمثيلية، مطوحة برأسها إلى الوراء ..

« هاها . » لكنني سأعرف كيف أقنعك ! ، أنت تعرف (ميادة) عندما ترمع شيئاً ؟ »

الآن بدأت أقعد روعي .. جلست على حافة المقعد حتى أوشكت أن أجلس على الأرض ثممة شيء ما خطأ هنا شيء ما خطأ بلا شك

قالت الفتاة بعد دقيقة صمت :

« لم يكن الأمر ممتعاً .. الوحدة .. الطلام .. الرطوبة .. صوت مياه أوى يتردد في أرجاء المكان المقفر فوق رأسك بالذات .. ثم تخرج تلك الشياطين من تحت الأرض لتعتصرك .. دعك من الجسد الممرق الذي

تعرف أنه جسدك .. هذا هو العذاب بعينه .. لكنك اتخذت قراراً ولا بد من تنفيذه . أعطيتني عهداً وقد حان وقت الوفاء به . وأنت تعرف أن (ميادة) لا يمكن خداعها . سوف تجدني وراءك في كل مكان أيها الصبي صدقني . سوف تتعنى الموت للفرار مما أنت فيه . لكن موت هو ما أريده بالذات لك .. عندها نكون معاً إلى الأبد .

عند هذا الحد قررت أن الوقت قد حان للنهوض .

كلام هذه الفتاة لا يوحى براحة نفسية . أعرف أنني أخطأت المهم أعرف أن استراق السمع إلى محادثة يعطيك فكرة غير دقيقة عن محتواها . لكن هناك بعض العبارات التي لا أجد لها تفسيراً، والتي تشعرني بأن عربة القطار هذه باردة فعلاً، واسعة فعلاً مقعرة فعلاً .

أعتقد أن الوقوف ما بين العربتين سيكون أفضل . ولم أجرو على اتهام نفسي بالجبن، لذا قررت أنني بحاجة إلى لفافة تبغ . هكذا مشيت مترنحاً عبر الممر متجهاً لطرفه الذي لا يضطرنني إلى المرور جوارهما ..

هناك بين العربتين وقعت . أغلقت الباب ورحت أنظر لطرف كتفها من النافذة التي تتوسط الباب . أنا لست حلقاً . لقد جئت هنا كي أشعر لفافة تبغ . ثم تذكرت أن هذا العذر واه لأنني لا أدخن .

ونظرت لساعتي . نصف ساعة أو أكثر قليلاً حتى (سيدي جابر) . لن أنتظر الوصول إلى (محطة مصر) . سأترحل وأجد أية مواصلة . (ميادة) هنا ؟

سمعت الصوت من خلفي فأجفلت واستدرت .. كان هذا أحد محصلي القطار . رجل فارغ الطول أشيب الشعر له عين يعمي تظللها سحابة . وكان ينظر إلى العربة الحالية من النافذة إياها ويتمتم بالبسملة ..



نظر لي مرأى تو تري قال وهو يشعل لفافة بئج

«لا تحف .. هي لا تؤذي أحدًا لكنها تظهر عندما تكون العربة
حالية . فقط لا تستغرها وتظاهري أنك لم ترها طبعًا لا ماع من
تلاوة أية آيات قرآنية تحفظها ..»

لم أفهم مغزى ما يتكلم عنه فقلت همسًا .

«هذه الفتاة مخبولة تمامًا .. إنها ..»

وحركت أناملتي جوار صدغي في حركة مألوفة، لكنه قل في جدية
مقلقة

«لا عند أشهر كانت وحدها في هذه العربة بالدات ثم لسبب لا
نعرفه اتحمت إلى الباب فأزاحت المزلج ووثبت من القطار المسرع»
أطلقت شهقة فاردف هامسًا

«أنت تعرف هذه المشاكل النفسية والعاطفية التي تعلا عقول
المضاييل منذ ذلك الحين لم تكف عن الطهور في عربة القطار هذه
كلما كانت خالية ليس منا من لم يرها إنها تسبب ذعر من
يتصادف أن يقابلها لكنها لم تؤذ أحدًا قط . وسرعان ما تختفي .»

رأى النظرة على وجهي فابتسم ابتسامة خفيفة وقال

«طبعًا لا أطالك بالعودة إلى هذه العربة يمكنك أن تذهب إلى أية
عربة أخرى بقية الرحلة ..»

كان هذا لا يحتمل المناقشة ثمة احتمال أن يكون الرجل يتلاعب
بني، لكن ما سمعته من الحادثة مريب حقًا الفتاة انتحرت وتوقعت
أن يلحق بها حبيبها على طريقة (رومي وحوليت) الشهيرة، لكنه لم
يفعل وهي تطلبه من عالمها مستعملة الهاتف المحمول شبح
عصري جدًا كما ترى ..

هكذا استدرت لأقصد العربة المجاورة فجاء شعرت بتيار هوائي
بارد .. إن الباب خلفي معنوح ..

وفي اللحظة التالية شعرت بيد قاسية باردة كالتج تعسك بيدي
استدرت مدعوراً فوجدتها هي . هي ذاتها . عيناها متسعتان
وهي تنظر لي في توحش وتقول من بين أسنانها
«إلى أين أنت راحل ؟ لقد سمعت المحادثة ؟ هل تعتمرني
مجنونة !»

تعثرت الكلمات على شفتي وبظرب اللوراء لاستغِيث بالحصل،
فرأيتة يبتعد مسرعاً إلى العربية التالية دون أن يبظر للوراء . إنه العرار
إن .. سوف ينساني بعد دقيقتين ..

قالت لي وهي تضغط على يدي

«تعال واجلس في العربية لا تذهب لأي مكان !»

مشيت معها وأنا أرتجف . فجلست في مقعدي السابق وعادت هي
إلى مقعدها .. ومن جديد عادت تتكلم عن أهوال الموت . **تتنازعني**
عاطفتان .. عاطفة تصديق ما قاله لي المحصل لأن الموقف كله يبدو
كإوساً خاصة مع نظراتها وكلماتها . وعاطفة عدم التصديق . لكن ما
معنى ما تقوله إنس ؟

ونظرت للوراء إلى الباب بين العربتين، فرأيت وجه المحصل الذي
حدرني يختلس بطرة ليرى ما يجري .. تلاقى عيناها فهر رأسه
بحركة متعاطفة وضم أنامله على شكل قمع وحركها بما معناها اصبر
وتحمل .. ههي لن تؤذيت .

لن تؤذيني ؟ . وهل الرعب ليس ضرباً من الإيذاء ؟

والفتاة تواصل مكالمتها الطويلة

«هي اللحظات الأخيرة لم تعزمي إلا فكرة أنك ستكون معي . الآن
تتردد . طيلة حياتك متردد . لكن ما قبلته منك في السابق لم يعد مطروحاً
إما أن تفعل ذلك بإرادتك أو آتي لأفعله بنفسني ! هه . لا تصدق .»
أنت لا تعرف ما بوسعي عمله . لا تملك أية فكرة على الإطلاق عن قوانين
هذا العالم الذي أعيش فيه . ولو عرفت لما انتظرت لحظة ..»

أخيراً بدأ القطار يقترب من الجبهة الموعودة معدرة أعني محطة
(سيدي جابر) . نظرت للفتاة فاستدارت ورسمي بنظرة حارقة ثم
نهضت بلا كلمة واحدة ووقفت في وسط الممر وظهرها لي
اتجهت إلى الطرف الآخر لاهئاً وأنا أدعو الله ألا تلحق بي من
جديد..

من جديد وقفت بين العربتين حيث استجمعت أنفاسي
في هذه اللحظة وحدث أنني أقف جوار المحصل الأول الذي رأى
تذكرتي الرجل البدين الذي يدلي عويناته على قصبة أنفه
رأني ورأى الفتاة من نافذة الباب، فقال دور أن ينظر لي
«(مياينة) هنا ؟.. هي ليلة سوداء إذن»
هزئت رأسي موافقاً بحماس فأردف

«لا حول ولا قوة إلا بالله .. تخيل أن هذه كانت طالبة متفوقة ثم
صارَت مخبولة تماماً .. إنها تركب معنا كثيراً جداً ولا أحد يجرؤ على
طلب تذكرة منها . تضع هذا الهاتف اللعبة على أنفها وتجري مكانة
طويلة لا تفهم منها شيئاً،

قلت وأنا ابتلع ريقى بينما أصواء المحطة تتوهج من النافذة

«لكن زميلك فارغ الطول قال إنها وثقت من عربة القطار منذ أشهر
وإن هذا شبحها ..»

نظر لي للحظة كأنما يتأكد من أنني لا أمزح ثم قال

«أولاً ليس لي زميل فارغ الطول في هذه الوردية . ثانياً ..»

قلت في إصرار وعصبية

«فارغ الطول أشيب له عين اليمنى تطلها سحابة ..»

فتح الباب وبدأ كأنما هو يتذكر ثم هتف في تأثر

«آه .. هذا يطبق على زميلنا (مسعد) رحمه الله . لقد توفي منذ

شهرين سقط عن هذا الباب بالذات بينما القطار مسرع لا بد أنك
رأيت في رحلة ماضية واختلط عليك الأمر.. هذه (سيدي جابر)
حمدًا لله على السلامة.. لكن لماذا ترتجف هكذا يا أستاذ؟ ليس
الجو باردًا بالخارج إلى هذا الحد.. ليس باردًا على الإطلاق!..

www.illias.com/vb3
RAYAHEEN

سأبكي كثيراً

عندما تنتظر (غيداء) نحو قرص الشمس تشعر بأن عينيها ذهبتان

عندما تقف (غيداء) هي الشمس تشعر بأن جدها مشدود يوشك على التمزق وأن روحها من تحته تشرئب بحثاً عن حرمتها هل ترى ؟ هذا ويريد .. ويريد آخر إنهما يلتقيان هنا ، ويريد ثالث عندها تصحك وتقول لك بشرتي من النوع الواهن إنها لا تتحمل أي شيء

عندما تحزن (غيداء) تنظر للأرض ، وتتسدل أهدابها على الحدين إنها تكره هذه الأهداب الساجية لأنها تنقص دوماً داخل عينيها ..

عندما يأتي الليل ترتجف (غيداء) وتشعر بأن روحها تتجمد .

أنا كنت أحب . لكني لم أحبر أحداً بهذا الحب لم أخبر به (غيداء) واعتقد أنني لم أحبر به نفسي صراحة ، على أنني في الليالي المقمرة كنت أريح الستار وأنظر إلى القمر وأفكر (غيداء) تنتمي بشكل ما لهذا لقرص المستدير . إنه خال أو عم أو قريب بعيد لها .

لم أكن متروحةً وقتها إن كان هذا قد حطر لك ببال ، لكني ما زلت أشعر بالذنب أشعر بأنني اقترفت نوعاً من الخيانة الزوجية لأنني يوماً ما منحت أجمل ما في نفسي لعنة . فلما جاءت روحتي لم تجد شيئاً إلا هذه الروح الحاوية كخزينة مصرفة أفلس .

كانت (غيداء) هي البدلية وهي النهاية .. وقد قرأت (عن عمودية الإنسان) لـ (سومرست موم) فيما بعد ، فلم أندش للتعلق المدهش الذي كان يشعربه نحو ساقية الحانة (ملدريد) (كلما فكر في أذنيها الصغيرات) . (ملدريد) حانقه وأساءت له كثيراً لكنه ظل مكبلاً بالأصفار لها غير راعب في التحرر نعم أما أفهم هذا لأنني عشته وثنفته وابتلغته وشربته ..

نعم كنت أحب (غيداء) ، لكن (غيداء) لم تحبني .. هناك طعنة أولى نتلغها في حياتنا وتظل نديتها باقية للأبد ، وأنا قد تلقيت طعنتي في ذلك الوقت ، وحرصت باقي حياتي على أن أداريها وأداويها على رأي الحواجة (أدلر) تلميذ (فرويد) المشاغب .

(غيداء) تختلف .. ألا ترى هذا معي ؟ هل تذكر محاضرة (الأدب اليوناني) إنها حينما كانت جالسة جوارى، وكانت تدور كلمات في مفكرتها ؟ كنا في الثانية بعد الظهر في يوم قاتظ، وكان الحر والإرهاق يغمرني . مع ذلك الشعور الموجه بالحاجة إلى (حب شيء ما) الذي شعر به في مارس وإبريل ويؤدي لرسوبنا في يونيو

كان المحاضر يخط على لوح الكتابة مصطلحات تلك المصطلحات التي ابتكرها (أرسطو) يوماً ما وهو يصحك ضحكة شيطانية، راغباً في أن يحيل حياة الأجيال القادمة جحيماً ..

ثم شممنا رائحة الشياطين جميعاً ..

أول من شمه كانت فتاة هستيرية . فراح أنفها يرقص كالأرنب، ثم بدأنا نشعر بشيء ما خطأ . بعدها رأينا أن قميص المحاضر يشتعل عند الكتف

في اللحظة التالية أطلق الرجل صرخة، وثب شابان كانا في الصف الأول وأحمدا لمار بكفيهما وبعد ما رالت الهستيريا راح السؤال يتردد، كيف حدث هذا ... ؟

طالب وقح ألقى لغافة تمنع لتمس كتف المحاضر . هذه لم تعد كلية إبه ناد ليلى ..

إنه الحر .. ربما ...

الاشتعال الذاتي .. هذه واقعة تاريخية مدونة وحدثت لعدد كبير من البؤساء فجأة يحترقون فلا يبقى منهم إلا رماد

احتكاك الألياف الصناعية في القميص هذه الأشياء تحدث إن هذه الكهرباء الاستاتيكية ...

لكن أياً من هذه التفسيرات لم يكن ليصمد ولو ألقى أحدهم لغافة تبع لشعمنا ورأينا . الاشتعال الذاتي يستمر حتى النهاية الأليمة، ولم نسمع عن احتراق قميص من الحر . إننا نظل نظرية الكهرباء الاستاتيكية هي الأفصل فيما عدا أن

« هذا القميص من القطن الطبيعي »

هكذا انتهت محاضرة هذا اليوم . نهاية غير سعيدة لكنها فعالة

~~~~~

وكما جالسين في الكافتيريا أنا وهي لا بد أننا كنا هي السبعينات لأن قميصي كان مشجراً لو لمسه طفل اليوم لاتهيمته بالابتدال، وكان سروالي من طراز الشارلستون، وسوالفي تحيط بجاسي فمي، وأنا أسألها ...

عندما تتحاشى (غيداء) عينيك يصير لون عينيها بدياً وعندها تقول

« (محفوظ) . (محفوظ) ربما أنت معجب بي هذا يدعوني بفخر والرصاص لكني لن أتزوج شاباً مجرد أنه معجب بي صغ نفسك مكسي .. أنا لن أكون لك ولا أي واحد آخر .. »

لكني كنت أعرف أنها كاذبة . كلهن يقلن هذا ثم يتزوجن أول عريس ثري يطرُق الباب أنا لا أروق لها وهذا كل شيء ربما أنا أقبح من اللازم أو أغنى من اللازم أو أسمع من اللازم أو أفقر من اللازم . ربما أنا كل هذا معاً سأعرف هذا فيما بعد في غرفتي أمام المرأة

كانت في يدي لفافة .. وشممت رائحة التبغ المحترق تتصاعد لأنفاسي نظرت للفاقة في دهشة . متى أشعلتها ؟ لا أذكر ثم يحدث في جيبتي قلم أجد أعواد الثقاب ...

قلت لها في عباء

« اللعافه اشتعلت و »

لكمها حسنتني أنا ري خيبتني

هل كان هذا قبل أن تشب النيران في بيتها ؟ نعم بالتأكيد لأنني انقذت حياتها في ذلك اليوم ...

كنت في عرقي أحاول دراسة شيء ما .. عندما سمعت تلك الصرخة تشق السماء ، قهرعت إلى الشرفة لأرى اللهب يتصاعد من عرفة

(غيداء) . (غيداء) بالذات !.. نعم .. هي جارتني في الحي الذي أسكنه . ألم أحبرك بهذا من قبل ؟... هكذا هرعنت إلى باب شقتنا حافى القدمين بالقاتلة الداخلية و سروال المدامة .. وهتفت أمي حينما رأته

بسم الله الرحمن الرحيم !.. هل جننت يا (محفوظ) يا بني ؟

لكنني كنت في الشارع فعلاً قبل أن تكمل جعلتها، ورحت أثب درجات سلم دارهم .. وركلت بابهم بقوة لأدفع إلى الداخل .. لم أكن ذلك الفتى قوي البنيان عريض المنكبين، لكن الأدرينالين الذي تدفق في دمي جعلني كذلك للحظات .. لقد انفتح الباب وانفتحت إلى غرفة الأسرار .. قدس الأقداس .. حيث كانت الكاهنة العظمى تصرخ وقد اشتعل الفراش الذي يقع بينها والباب .. لا أعرف كيف استطعت أن أجر الفراش الثقيل المشتعل إلى جانب الغرفة وأسمح لها بالخروج، ثم أهرع إلى الحمام .. لا أعرف مكانه لكن حواسي صارت مرهفة كحواس السباع .. لأملاً دلوأ بالماء وأعود لأسكبه على الفراش .. في هذه اللحظة عاد أبوها من الخارج ليرى المشهد المفرع .. لقد كانت وحدها في الدار ..

وسرعان ما تكاكا الجيران وتعاون الجميع على إخماد الحريق .. لكنني ظفرت منه بهذه الندبة في حاجبي .. هل رأيتها ؟.. نعم .. إن إطار النظرة يجعلها لأنني انتقيته بعناية .. عمر هذه الندبة إذن عشرون عاماً .. هناك ندبة في روعي وندبة في وجهي .. كلاهما من أجل الفتاة ناتها ..

الكل يشكرني . الجميع يرمي على كتفي الذي ألهبته النيران .. لكنني نظر لجهة واحدة وأتوقع شكراً من فم واحد ...



عندما تبدي (غيداء) امتنانها لك بحمر وجهها فيوشك على أن يشع ... حتى ونحن في مكتب الدكتور (مصطفى) استاذ علم النفس بكليتنا لم نستطع أن نخفي هذه النظرة . قلت لنفسى -أتراها متاهية كي تغير رأيها ؟ ثم شعرت بوضاعة أنا لم أنقذها كي تحبني . لقد أنقذتها لأنني أحبها .. ثمة فارق مهم هنا ..

يقول د (مصطفى) وهو ينظر لها في شرو

«لا أعرف إن كانت استشارتي قد تعيدكما، لكني لست خبيراً في هذه الأمور .. هذا ليس علم نفس»

قلت له في إصرار:

«سيدى أنت مثقف موسوعي قبل أن تكون أستاذاً لعلم النفس وأنا بحاجة للآخرين معاً لهذا أرغمتها على المحيء معي ..»

قال وهو يتصفح أحد المراجع

«(بايروكيبزيس) من اليو يامية (بور) بمعنى (در) و(كينيزيس) بمعنى (تحريك) إنها القدرة على إشعال الحرائق ذهنياً أو تحريك البيران . هناك من يمارسونها بشكل إرادي، وهناك من يمارسونها بشكل عفوي ..»

ثم نظر في وجه (غيداء) وقال:

«وهناك من لا يعرفون أنها عندهم . وهنا تكمن المشكلة ..»

قالت (غيداء) في حماس:

«أنا أنتمي للبوع الثاني .. لقد بدأت لاحظ هذا منذ عامين . كلما توترت أو تضايقت تشتعل الحرائق في موضع قريب مني . برغم هذا لا أستطيع إشعال النار إرادياً ولا أستطيع التحكم فيها ..»

قال وهو يقلب الكتاب

«لو صح هذا فانت طاهرة علمية جديرة بالدراسة ..»

قلت في حرج

«لنأمل ألا يحدث هذا يا سيدى . لكننا نأمل في البحث عن علاج ..»

مط شفته السفلى وقال وهو يحشو عليه الأنيق الذي يحبه لأنه يعطيه سميت العلماء

«علاج .. هل هذا مرض ؟ في الحقيقة لا أملك ما أقدمه لك . لكني أرحب بأن تأتي لمكتبي في أي وقت . أعتقد أن تمارين (التلقيح الرجعي) سوف ..»



«تمارين ماذا؟»

«التلقيح الرجعي . شيء كالذي يمارسه لاعبو البوجا سوف  
يساعدك حتماً على التحكم في هذه الموهبة ..»

«هي هذه اللحظة راح الدخان ينبعث من الغليون .

مطر لها معدهشاً، فهزت رأسها في حرج وقالت

«لم أحاول شيئاً كنت متصايعة لأنه لا علاج لدائي لا أكثر .»

\*\*\*\*

«عندما تفارقك (عيداء) يظلم وجهها كأنه انعكاس للبور الذي يظلم في  
صدرك إنها ترنو إلى الأفق حتى لا ترى الدمعة في عينيها وتقول

«الآن أنت تفهم لماذا لم أكون لك ولا لأي واحد آخر .»

«لا تقولي هذا .. سوف احتار مدخل داركم مرة أخرى، لكنني لم أكون

خافي انقدمير . سوف أكون متأنقاً وسوف أقنع أباك .»

ضحكت بمرارة وقالت:

«لا تكن طفلاً مشكلة هي أنني لا أعرف متى ولا أين يشب الحريق

القادم عندما ينام زوجي أم في غرفة نوم أطفالتي .» سوف أكون

خطراً دائماً على من حولي في كل وقت . لن يعرفوا أبداً متى يحترقون

«إذن؟»

«إذن أنت تعرف أنه لا عيب فيك العيب في موهبتي المرعبة . ربما

أتعلم السيطرة عليها وربما لا أبا مستمرة في دروس التلقيح الرجعي

مع د. (مصطفى) واعتقد أنني أحرز نتائج جيدة ..»

«إذن هناك أمل ..»

قالت وهي تتحاشى النظرات

«لا تكن طفلاً مرة أخرى . إن هذه المقامرة لا تعني أن تفقد بعض المال،





بل تعني تحولك إلى رماد متفحم ..! أرجو أن تتساني للأبد ... هذا كل ما أستطيع قوله .



لم تحدث حرائق كبرى في الفترة الباقية من الدراسة ..

هل نتحدث عن ذلك الحريق في مختبر الصوتيات ؟ . ربما كان هذا مأساً كهربياً يا أخي .. النار التي اشتعلت في مؤخرة الحافلة ؟ . هل رأيت من قبل حافلة تحترق نفسها لم تشتعل يوماً ؟ . دعك بالطبع من اشتعال الشجرة التي تقع تحت دارها . ما المشكلة ؟ كل الحمقى يلقون أعقاب السجائر من الشرفات ، وهذه تحدث كوارث لو سقطت على أوراق جافة ..

(بايروكينيزيس) ...؟ إشعال الحرائق بالعقل ؟ كلم عن هذا واحداً عيري .

انتهى العام الدراسي وانتهت الكلية . وانقطعت أخبار (غيداء) لفترة لأنها ليست من معتادات الوقوف في الشرفة كما يحدث في أفلام (شادية) القديمة ، وأمي لم تكن صديقة أمها

ثم جاء يوم الخميس الموعد حينما سمعت من يوم القيلولة لأسمع صوت الصراخ وأشم رائحة الدخان .. من جديد رحت أثب الدرجات نحو بيتها .. ما كل هذه الاضواء ؟ ... لا وقت للتساؤل .. كان باب الشقة مفتوحاً .. هذه المرة كان هناك كثير من الناس . كثير من الاضواء . صخب امرأة بدينة تتظاهر بأنها راقصة .. وفي وسط الزحام كانت فتاة لا أعرفها تبكي وقد ابتل شعرها بالماء ، وراحت مجموعة من النسوة يهدئن من خاطرها ..

«لا شيء» لقد تمسك لهب الشععة بشعرها .. لا تخافوا . سليمة والحمد لله !

أدرت عيني في المكان هناك (كوشة) هذه (غيداء) بثوب الرفاف . تتأبط يد . دكتور (مصطفى) طبعاً وهما يبتسمان لي في بشاشة ورقة

قالت لي وهي ترى النظرة البلهاء على وجهي

«لست أنا .. الشععة هي السبب . أنا اليوم في قمة سعادتي »

وفي غرفتي نظرت بوجهي الأحمر هي المرأة .. هذا هو مبدأ التحويل  
transference الذي تكلم عنه (فرويد) كثيراً . لقد تعلقت عواطفها بمحلها  
النفسي فكان ما كان . وقلت لنفسي إن هناك احتمالين إما أن التقييم  
الرجعي نجح فعلاً وهي تعرف أنه نجح، وإما أن الدكتور (مصطفى)  
يعرف أنه لن يضايقها للأبد ...

اليوم . بعد عشرين عاماً . أعتقد أنه لم يضايقها قط . لكنه سيرتكب  
الخطأ يوماً ما كأي زوج يحترم نفسه وعندها  
سأبكي كثيراً وأنا أرمق كومة الرماد المتبقية منها !

\*\*\*\*\*

www.illias.com/vb3  
RAYAHEEN

المكحلة

عندما وحدث . أنا الدكتور (محموظ) . هذه الأوراق في حوزتي شعرت  
بما يشعر به طفل عندما يجد صندوقاً من الحلوى . إنه سعيد لكنها  
سعادة أكبر مما يتحملها قلبه الصغير . إنه لا يعرف من أين يبدأ . ثم  
يشعر في لحظة بعينها بأنه ليس سعيداً على الإطلاق .

إن الأوراق في كيس بلاستيكي تم ربطه برباط مطاطي ، والكيس ذات  
الظهر الكثيب الذي يذكر بأوراق تحاليل المرضى المزمين التي  
يحملونها بالطريقة ذاتها . وعلى كل طبيب أن يفك هذه الألفاظ ويحاول  
ترتيب الأحداث بشكل منطقي ..

أما كيف وصلت هذه الأوراق لي فقصه أرجو أن تعطيني من سردها  
لم تكن زوجتي في الدار وقتها . لا بد أنها تبحث عن سيارة أجرة غير  
عارفة أنه (انتظار جودو الذي لن يحيي) ... لهذا سيكون عندي وقت لا  
يلس به لقراءة كل هذا ..

جلست في غرفة مكنتي . توقدت الأباجرة . وعلى الدخان المتصاعد من  
كوب الشاي الساخن رحت أفتح الربطة . وعلى الفور انتشرت الأوراق التي ظلت  
حبيسة كل هذه الأعوام .. بعضها أصفر عتيق يرشك على التحمل وبعضها أبيض  
حديث . وكلها كانت تشهد طرياً للخلاص . إلا أنه بين الأوراق كان جسم معدني  
واحد يبدو كمحكمة جدك إن كنت تذكر مظهرها .. وأما فصولي لكني لم أبلغ  
درجة حمق تجعلني ابتلع الدواء قبل قراءة النشرة المرفقة .

لذا قررت أن أبدأ بالأوراق الحديثة وأحاول أن أصل لترتيب منطقي ....  
أول ورقة أمسكت بها كانت بخط أتيق وبأسلوب معاصر يقول

\*\*\*\*\*

اسمي (محمود عبد العزيز جابر) .

منذ زمن سحيق وهذا الكيس في حوزتي . لم أكن أعرف عنه الكثير  
سوى أنه معلق وأن الأيدي تناقلته جيلاً بعد جيل ، وأنه من الأفضل لي أن  
أبتعد عنه .. اليوم أنا رجل كبير ناضج وقد قررت أن أعرف ما في هذه  
الأوراق . كنت وحدي في تلك الأمسية وقد خرج الجميع . زوجتي تزور  
أمها والأطفال يلعبون عند صديق لهم في دات البناية . لقد انتهى حفل (أم  
كلثوم) الشهري في المذيع منذ دقائق وعاد للبيت صمته الكثيب وضعت  
الكيس على مكنتي ورحت أتفحصه .





بداخله مجموعة من الأوراق وجسم معنوي يكرني بمكحلة أمي رحمها الله  
إنها أثر عتيق لا شك في هذا . صنعت من معدن مطلي باللون الذهبي ،  
فتحتها فوجدت أنها فعلاً مكحلة وإلا فعا سر هذا المسحوق الأسود الباعم الذي  
انتثر على المنضدة أمامي .. هذه مشكلة الأجسام المغلفة جيداً والتي تفتح  
فحاة على كل حال جمعت الرمد وأعدته لوعائه ثم أمسكت بأول ورقة ..  
غريب هذا الصمداع الذي يحتويني الآن . إن رأسي يرتج كهبذرة  
الماجور .. هل الطقس حار؟

دعنا من هذا ولنطالع المكتوب ..

كانت رسالة . رسالة على ورقة صفراء تقول



أنا (جابر شفيق) الموظف بالحفائية هذا الكيس القماشى في داري منذ  
ستين عديدة لا أحد يعرف محتواه لهذا قررت أن أشبع فضولي وأفتحه  
لأعرف ما فيه . انتظرت حتى خلا البيت من أسرتي ، لأن (نعيمات) هانم مع  
الأولاد في زيارة لأبيها (حسين أفندي عبد العليم) . وقد تركتهم هناك وعدت  
للدار ثم وضعت على الجراموفون أسطوانة لمحمد عبد الوهاب . وعلى  
صوت أماته وصفت الكيس على مكتبي .. وقررت أن أكتب رسالة لمن يأتي  
بعدي ليعرف محتواه لكنني وجدت بداخله مكحلة حسنة المطهر بها مسحوق  
أسود انسكب على المكتب ، فجمعته كيغما اتفق وأعدته إلى المكحلة .

لا أكتفم القارئ سرّاً أنني شعرت توعكاً مفاجئاً ونظرت إلى ظهر يدي  
عبدالي كظهر يد المجدور لكنني قدرت أنها خيالات من تأثير قلة النوم  
لأنني لم أضهر بشيء من الطعام بعد ولم أحظ بقلولتي اليومية .

وجدت مع المكحلة رسالة على ورق أصفر متآكل بخط جميل منمق  
وبيان حسن تقول :



نحن (شفيق بك إبراهيم مراد) نكتب هذا لمن يأتي بعدنا ، ويقفوا خطانا .  
قد وجدنا هذا الكيس الخيشي في قبو دارنا المصونة ، فعجبنا أشد العجب .  
ودهبنا أيما دهشة ، وأزعمنا أن نفتحه لنتعرف ما به من أسرار عظيمة  
والغاز بهيمة على أننا حينما عقدنا على ذلك العزم المتقشب ألقينا فيه

مكحلة حسن شكلها ورق صنعها، وكأني بصنعها من خمرة أسطوات  
 الأستاذة وصناعها بيدار بعض محتواها أنسكب على القمطر عندما  
 أزمعنا فتحها فأعدناه إليها كيقيما اتفق، وقد وجدنا في الكيس قرطاساً  
 حط على ورق بال متاكل على أننا استشعرنا سقماً بالغا وحس عالياً،  
 فهرعنا بسكب من الماء البارد على رأسنا ما يكفي لإبراء هذه الحمى  
 وتخفيف هذا السقم وسكننا في خيشومنا بعض قصرات من الدواء  
 ثم أننا فتحنا ذلك القرطاس الذي وجدناه.

وكان كاتبه طيب الله ثراه يقول ما يلي

\*\*\*\*

كاتبه (مراد بك السلحدار) من أعيان القاهرة المحروسة ورجال الأمير  
 (كتحدا حوندا طولباي) حفظه الله أنه محمد الله تعالى والصلاة على  
 رسوله الكريم هي عامنا هذا عقدا العزم على فتح الشكجية التي وجدنا  
 حدمنا في الدار. وقد وجدنا قرطاساً مخط لا تتبينه العين، فاشتد عجبنا  
 لهذا وإرداد عزمنا نقشياً على استجلاء كنه هذه الشكجية

ولقد ألفينا مع القرطاس أداة من التي يصطبغها الصباغ لتكحل بها  
 السوسة عيونهم، إلا رحم الله جريراً إذ قال

إن العيون التي في طرفها حور

قتلنا ثم لم يحيين قتالنا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن أضعف خلق الله إنسانا

والذي هو أشعر ما قال العرب في الغزل على أن بعض ذلك المسحوق  
 الأسود تمعثر فوق عباءتنا فتعصناه وأعدناه إلى حيث كان ولات حين  
 مباح فقد شعرنا بأن السقم استمد بنا استبداداً لكن هذا لم يفت من  
 عزمنا المتقشب على قراءة ما حطه الخطاط على ورق القرطاس برسم قل  
 مثيله ونذر شبيهه

بيد أننا لم نستطع فك رموز تلك الكتابة العريية أشد العراة، التي هي  
 إلى رسوم الصبية في كتاباتهم أقرب، وإلى تلك الشحاييط التي يرسمها  
 العامة على جدران بيوتهم أننى وهي كتابة رسمت رسماً على ضرب

من تلك الندبات التي يقال لها (بردي)، والتي كان الفراعين يصطنعون الكتابة عليها اصطفاً لدا عقدنا العزم على أن ننسحبها نسخاً حتى يعلم من ابتغى العلم فحوى ما وجدناه فيه..

\*\*\*

بعد هذا وحدث أوراق بردي عليها رسوم هيروغليفية ما . عند هذا الحد توقفت رحلتي إلى الماضي وعدت إلى الحاضر الذي يعج بالامثلة لقد كانت هذه هي الرسالة الأولى الرسالة التي بعدها تحكي الأحداث ذاتها في فترة زمنية أبعد وهكذا دواليك . حتى آخر رسالة بالعربية ثم تبدأ المخطوطات الهيروغليفية

معنى هذا أن كثيرين حاولوا فتح الكيس قبلي، منذ كان في شمكية ثم صار كيساً خيشياً حتى جاء عصر اللدائن وصار الكيس بلاستيكيًا مكن الأغرب أن أياً منهم لم يستكمل الرسالة ليحبرنا بما وجدته هذا داع قوي كي أجرب نفسي وليس من رأي كمن سمع ولكن هناك أسئلة عديدة.

لماذا لم يكمل أحدهم رسالته ؟

من وضع الرسالة في الكيس في كل مرة ؟

ما محتوى تلك البردية التي يبدو أنها باللغة الهيروغليفية ؟

لماذا شعر كل واحد من هؤلاء بأنه ليس على ما يرام بعد ما انسكب المسحوق الأسود ؟

قررت أن أفتح المكحلة سألقي نظرة سريعة على محتواها وربما أرسله من يخطئه، وبعد هذا سأكتب ما رأيت كي يعرف الآخرون إنها جامدة .. لا أعتقد أنها ستفتتح .. هوب ! لقد انفتحت ! يا للكارثة ! لقد تناثر هذا المسحوق الأسود غريب الرائحة على مكنتي لكن لا مشكلة سأقوم بجمعه وإعادته إلى المكحلة...

هل حرارة الجو تتزايد ؟ لا أظن . لكن ما سر هذا الفرق وهذه الرجعة في يدي ؟

لا داعي للهستيريا إنه الأفعال لا أكثر سأتحصن الآن هذه المكحلة بدقة أكثر ..

.. تعالوا نلق نظرة معاً...



www.illias.com/vb3  
RAYAHEEN

هدية الأرواح



لم ألق قط في أمة تجربة تحضير أرواح حضرته في حياتي لقد رأيت الكثير لكن فكرة الخدمة لم تتخل عني قط، مهما كان الوسيط بارعاً لقد كان (كونان دويل) مؤلف (شيرلوك هولمز) يؤمن بتحضير الأرواح ودعا المشعوذ الأشهر (هوديني) إلى تجربة لاستحضار روح أم الأخير تمت التجربة وتكلمت الأم . لكن (هوديني) لم يستلج التجربة أولاً لم تكن أمه تجيد حرفاً من الإنجليزية ثانياً كان اليوم عيد ميلادها فلماذا لم تلمح إلى ذلك أثناء الجلسة ؟ . هذه قصة عربية تريباً كيف أن المشعوذ لم يصدق تجربة تحضير الأرواح، بينما صدقها المؤلف الوقور العبقري ..

إلا أن هذه الحلسات بلا شك تجربة نفسية رهيبة، قادرة على أن تزجزع بعض الحبيب التي تعطي أجراً من أرواحنا .. (يايج) العالم النفسي الشهير وجد أن خبرة تحضير الأرواح مهمة لأنها تكشف عن جزء كبير من خبراتنا المدفونة .

\*\*\*\*

تلك الشقة في العجوزة . يذكرك منظر الناس الجالسين والمنضدة والإضاءة الخافتة بـ (بريتية) القمار في الأفلام العربية القديمة حتى تتوقع أن يظهر (ستيفان روستي) في أية لحظة ليقول «هراويا إكسس» .. لكن الأمر ليس كذلك .. ما كنت لأجلس في أي مجلس فيه قمار لكنني بالفعل كنت شعوراً أشد الشغف بمعرفة ما يجري في جلسات تحضير الأرواح تلك .

مدام (عريدة) امرأة أرستقراطية مسنة من الطراز الذي يتم إنتاجه عبر حط جميع كلهن تحيلات عصيات شعرهن أبيص كالقطن، وعلى أكتافهن شال أسود أما الناقور فهم الأستاذ (محيي) والدكتور (فهمي) وأنسة (عيادة) .. هناك أستاذ أدب إنجليزي هو خادمكم المتواضع

تقول مدام (عريدة) بصوتها الرفيع المتهدج

«الآن مبدأ . لو كان هناك من يرغب في التهريج فليخرج الآن إن

النفوس الخبيثة تجذب أرواحاً خبيثة .

ثم تأمر الخادم ابليها فتضع أصيص أرهار قريباً منها وتوجه إلى  
الجراموفون وتضع عليه أسطوانة يقال إن الأرواح تحب موسيقا  
(موتسارت) بشكل خاص هذا هو تأثير (موتسارت) الشهير

تقول مدام (فريدة) وهي تنظر لي بعينيها الحادثتين

«لو كان هناك من لا يصدق فلا اطلاله بشيء إلا الاحترام»

هلت لها وأنا أشعر برهبة مبررة

«صديقي . أنا لا أصدق لكني أرتجف خوفاً . يصعب على

الحائف أن يسخر»

إنها هيبة الرمز . أنا لا أؤمن بحرف من الديانة الهندوسية لكني  
كنت أرتجف هيبة عندما دخلت أول معبد هندوسي في حياتي هنا  
يؤمن أناس ويكون ويرتجفون ويدعون يمكنني ألا أصدق لكني  
سأحترم المكان بكل تأكيد لأنه ملوث بإشعاعات التهييب التي تركها من  
سبقوني ...

مدام (فريدة) في السبعين من عمرها كانت مجرد امرأة  
أرستقراطية إلى أن توفي زوجها راحت تقرأ في علم الروحانيات  
وسافرت كثيراً وقابلت كل من يزعم قدرته على الاتصال بالأرواح إلى  
أن استطاعت أن تتصل بزوجها وحدها وقد حقف هذا من جزعها .  
تقول إنها تشعر براحة تامة عندما تعرف أنه معها لن أفهم النساء  
أبداً كيف استريح لحظة واحدة وأنا أؤمن بوجود شبح معي في كل  
حظة»

بدأت المدام تهدي خدراتها للآخرين أعترف بأنها لم تطلب مليعاً .  
لكن كل واحد ممن يتعاملون معها قرر أن يجلب هدية صغيرة وصار  
هذا عرفاً . خمس هدايا ثلاثة أيام أسبوعياً معناها ستون هدية في  
الشهر

الاستاد (محيي) هو بطل هذه الجلسة لأنه قد فقد ابنته الشابة منذ

شهر حادث مروع من الطراز الذي يجيد انتقاء ضحاياه وقد انهار  
المسكين تعاماً برغم أنه من ذوي الأعصاب القوية ، لكن معرفة أخبار  
تجارب مدام (فريدة) جعلته يحد هدفاً لحياته ..

الدكتور هو معالج العقيدة الأيسة صديقتها الوحيدة انا صديق  
الطبيب .. هذا كل شيء» ..

ساد صمت رهيب ما عدا موسيقا الأخ (موتسارت) . ودعت  
السيدة إلى أن نتأمل مغلفي العين ثم نظرت نحو الأب المتلهف  
وقالت

«أنت أبوها لهذا على الأرجح سوف تترك لك Appont»

قالتها بالإنجليزية فلم يفهم .. هذه الكلمة لا وجود لها في القاموس  
على حد علمي . وإن كانت قريبة من فعل فرنسي يعني (الإحضار)  
قالت مفسرة .

«ال Appont هي هدية الروح إنها تجلبها لمن تثق فيهم من الجلوس  
قد تكون شيئاً صغيراً تامهاً أو شيئاً ثميناً بعض الناس يطلبون  
مالاً وهذا يترك أثراً بالغ السوء لدى الروح أنت أبوها لذا يمكنك أن  
تطلب منها هدية لكن لتحتفظ بها في سرك»

كان هذا خطأ حسيماً كما ستعرف فيما بعد

«هل أنت معنا يا (هالة) ؟»

نعم .. هذا الشعور المفاجئ بالبرد ليس وليد الصدفة . بعض  
الأرواح تحدث برذاً شديداً عندما تصل بعضها يسبب الحر  
ثم أن السيدة بدأت تتلو حروف الأحذية بصوت رتيب وكأنها  
تعلي رسالة شفرة

أ .. ب .. ت .. ث .. ج .. ح ..

فما أن وصلت إلى حرف المون حتى سمعنا دقة جعلتنا جميعاً نذب  
متربين في الهواء . لكن السيدة (فريدة) لم تتحرك ، فقط مدت يدها في



ثبات ودونت في ورقة حرف (النون) ثم واصلت القراءة ...

أ.. ب.. ت.. ث.. ج.. ح

هنا سمعنا بدقة عند حرف العين يبدو كأن الصوت صدر من منصدة صغيرة جوار الباب يا للكارثة ! هذه أقدم طريقة لتحصيل الأرواح في التاريخ الـ (typtology) كما أسماها عالم الروحانيات (آلن كارديك) وفيها يتلو الوسيط الأبجدية كلها إلى أن تصدر الروح دقة ما، عندها يكون اختيارها هو حرف الأبجدية الأخير .

يتم تدوين الحروف لمعرفة ما تريد الروح قوله .. طريقة معقدة أقرب إلى شفرة مورس، ويمكنك الآن تخيل كم من الوقت سوف تستغرق هذه الحادثة الأبوية . لابد أننا سنعود لبيوتنا بعد ثلاثة أيام

قالت مدام (فريدة) وقد خمنت ما أفكر فيه

«لا وجود للزمن في عالم الأرواح إن لديها كل الوقت . كل الأبدية .

لكننا لا نملك الأبدية لو لم أعد للدار قبل الحادية عشرة لجعلتني زوجتي الشبح التالي ..

استغرقنا دقيقتين حتى قالت الروح (نعم أنا هالة) ثم نصف ساعة حتى سألت أبها عن حاله وهكذا دارت محادثة الدقات هذه فلا بد أن مدام (فريدة) تلت الأبجدية خمسين مرة

أنت تذكر قصة الأخوات (سكوت) حين كانت الأخت الكبرى (تصرف) أصابعها في حذائها الصخمي ثم تحدث صوت الدقات هذه لكني أرى أصابع قدمي المدام (فريدة) في صندوقها لا بد من تفسير ما .. أين الخادم بالمناسبة ؟؟ ..

لكن الأب المتحمس يرتجف تأثراً ويقول:

«نادتني (موحنا) لأحد يعرف هذا اللقب سواها وأنها !» ثم إنها ذكرت (مختار) الفتى الذي كان سيخطبها هذا سر بيئي



وبيدها " .

غطت (ميادة) وجهها وأعلنت أنها لا تستطيع البقاء أكثر لدا  
بهضت قبل أن تسمح لها المدام بذلك يبدو أن هذا خطأ فادح لأنها  
رمتها بنظرة نارية ولم تتكلم ..

بعد نصف ساعة طلبت المدام من الروح الانصراف واستطروا  
متوترين لدقائق استمر الصمت ففتهدنا الصعداء .

نظرد (فهمي) إلى المدام متسائلاً ثم أشعل لعامة تدغ .. فطلبت منه  
واحدة لنفسها .. نعثت الدخان كثيفاً وبظرت لي قائلة  
«ما رأيك يا دكتور ؟»

هرزت رأسي ولم أعد أدري ما أقول لقد كان هناك شيء . لا شك  
في هذا .. لكن من قال إن هذه روح ؟ ...

قال الأب في تائر وهو يمسك بيد السيدة

«لا أعرف كيف أعبرك عن امتناسي كل ما أرجوه هو أن تسمحني  
بتكرار التجربة .

قالت في وقار:

«طبعاً يا استاذ (محيي) هذا هو ما أحاور إثباته الروح معنا .  
أحباًؤنا قريبون جداً ..

هنا سمعنا دقة .

وثبنا جميعاً للوراء .. بينما تساءل د. (فهمي) في توتر.

«هل الروح ما زالت هنا ؟»

اتسعت عينا المرأة بمعنى أنها لا تعرف ثم دوت دقة أخرى هذه  
المررة عرفنا مصدرها . إنها من خارج الغرفة من الشرفة ذاتها ..

هناك من يندق باب الشرفة المغلق ...

هتف الأب في حيان:



أحيراً باب الشرقة يفتتح

انظر ما خلفه وقلبي يتواثب في صدري

هنا أرى (ميادة) تدخل وهي تضحك في وحشية

وفوجئت بالآب كذلك يضحك . لم أره يضحك منذ زمن .

قال لي

« أقدم لكما انتي العائدة ' بالآخرى صديقتها (ميادة) أن

الشرقة مشتركة بين هذه العرقة والغرفة المجاورة لها . عرفت هذا من

زيارتي السابقة . »

قالت (ميادة)

« عندما اتفق الأستاذ (محيي) على جلسة تحضير الأرواح هذه

فوجئت بأخت مدام (غريدة) تتصل بكل صديقات (هالة) تسألهن عن

أدق تفاصيل الفقيدة عاداتها الح . وجاء دوري في تلقي الأسئلة

لذا أدركت أن القصة كلها تتعلق بالنصب . مدام (غريدة) تجمع كل

التفاصيل عن الفقيدة لتستعملها خلال الجلسة . »

قال الآب

« لهذا قامت (ميادة) بتسريب أخبار لا صحة لها لا يوجد من

يدعى (مختار) هل تتصور أن يدللوني أنا الرجل المحترم باسم

(موحاً) . انتلعت (غريدة) الطعم واستعملت هذه المعلومات المغلوطة

على لسان الروح . »

قالت (ميادة) ضاحكة :

« تعفنا - لو تأكدنا من أن المرأة نصابة - على أن أغادر العرقة ثم

أعب هذه اللعبة المرعبة - كانت قد أعدت كراساً قديماً من كراريس

(هالة) وأخفته في الحجرة ليكون هدية الآب - لكنها لم تتوقع أن

يعنى شيئاً مخيفاً كهذا . هي وحدها كانت تعرف أنها نصابه ، لذا

أصابها الهلع عندما سمعت صوتي خلف باب الشرقة . »

جلست على مقعد التقط أنفاسي وسالت

حوصوت الدقات

«سيداريو مرتب بعناية مع الحادم إنها هي غرفة مجاورة تسمع  
الأحرف ثم تدق، والجدار حادع يوحى بأص الصوت من داخل الغرفة  
لقد وجدت الأرملة العجوز طريعه لا بأس بها لكسب الرق . كل من  
يزورها يجلب هدية معه وهكذا تحصل على نحو أربعين هدية كل شهر  
.. ليس هذا أجراً ضئيلاً ..»

قال الأب في صرامة

«برغم أني تمنيت أن تكون روح ابنتي قريبة، فأبدي أكره أن  
يسحر مني أحد أو يتلاعب بعشاعري كاب لهذا أعددت هذا الانتقام  
وأنا واثق من أن (هالة) راضية عما قممت به هذه المرأة لن تخدع أحداً  
ثانية ..»

هنا قال د (هومي) في أسى حيث وقف جوار العجوز المكفنة على  
المضدة

«لن تخدع أحداً أبداً»

ومظننا له في رعب .. فكانت الإجابة واضحة . القلب العجوز لم  
يتحمل هذه الدعابة الثقيلة .. أما عن هذا الصوت فهو خشب الأرضية  
لا تفر لي من مصلك أنها دقات جديدة لا نقل لي إن مدام (غريدة)  
ترسل لنا الآن رسالتها الأخيرة.

\*\*\*



www.illias.com/vb3  
RAYAHEEN

العشاء



دعوتي إلى العشاء هذه جاءت على غير موعد كما تعرف يا (شريف)  
لم أتوقع أن أقابلك في هذا الحفل . أنت تعرف أننا لم نلتق منذ عشرين  
عامًا على الأقل . ثم رأيتك أمامي فجأة ، ومعك تلك الأمريكية البعيدة  
القبيلة

هناك نوع من النصيح تبلغه التفاحة كلما تقدم بها الزمر . في لحظة  
بعينها تصير التفاحة نفاحة كما أراد لها الله . وكما تراهامي كتب الأطفال ،  
وكما سقطت يومًا على رأس الخواجة (نيوتن) هذه هي لحظة الاكتمال  
التي قصيت حياتك تحاول بلوغها يا (شريف) . لا أنكر إلا شخصًا  
عاديًا ياهتًا ، لكن لشدة ما دب فيك التعير . يمكنني القول إن ذروة ضج  
الدفاحة هذه هي بداية النهاية . أنت على قمة الهرم الآن ولست سوف تنزل  
غداً غداً تتعصن وتهرم

أخبرتني أنك سافرت إلى الولايات المتحدة وتزوجت (ماري دونه)  
عالمة الأنثروبولوجي الأمريكية . وأنها اصططحتك معها حول العالم .  
كنت طبيبًا لكنك لم تعد تذكر شيئًا عن الطب لأنك اندمجت بالكامل في هذا  
العالم المبهر (الأنثروبولوجي) صرت مصورًا ومحررًا لما تقوم به  
زوجتك

هناك فيلمان عن جزر (فيجي) اشترتهما من (ماشودال  
جيوغرافيكس) بسعر خيالي

كان هذا مثيلاً لم ألق كثيرين من أصدقاء الطفولة ممن صاروا  
يعملون في الأنثروبولوجي أكثرهم صاروا مراقبين ماليين وإداريين  
والمحظوظون منهم صاروا مديري عموم أو مفتشي صرائب ..

أذكر كيف أنك أصررت على دعوتي لدراك يا (شريف) ومعني زوجتي  
والأولاد . أنت لم تتجيب بعد لهذا تدعو الكثير من الأصدقاء

أذكر كيف أنني أعددت الأولاد لهذه الزيارة وصرت هذا وركلت داك  
ووعدت ماضي ساحطم رأس أول من يكسر طبقاً أو يدخل للملعة في أنه

عند مصيفنا . هذه هي مدرسة (جحا) الترموية الشهيرة العقاب قبل  
الخطأ لا بعده، فهذا يجعلهم أكثر حذراً خاصة أنك لن تستفيد شيئاً لو  
عاقبت بعد حدوث الخطأ

وصلنا في الموعد إلى تلك الشقة التي استأجرتها في (الدي)، ففتحت  
لنا الباب يا (شريف) ورحمت بالأسرة كلها لا تؤاخذني لكن زوجتي  
تدهشت جداً من مرأى زوجتك .. فإذا كان المرء سيتزوج ساحرة عجفاء  
فلماذا يحب أن تكون أمريكية ؟ إن زوجتك بالتأكيد تختلف عن صورة  
الحسداء الشفراء زرقاء العينين المرتبطة في أذهاننا بلعنة (أحنية)، لكني  
فهمت زوجتي أنها لا تعرف شيئاً على الإطلاق زوجتك هارت بك  
بعقبها لا يحسنها .. قالت زوجتي :

«إن لماد لم يتروح (أيشتاين) ويريحنا»

زغرت لها كي تصمت قليلاً، بينما جاءت زوجتك تدعونا إلى المائدة  
وجلسنا يتبادل أطراف الحديث أحكي لها كيف كنت رمبلي في  
لمدرسة وكيف اعتدت أن ألوث كراسي بالحبر، وكيف إنك كنت تختلف  
عما يدلك الصموج المستعر بتجربة كل ما هو غريب كان الحديث يتلون  
بين الإنجليزية والعربية إذا تعلق الأمر بزوجتي والطفلين ثم صار  
بالإنجليزية تماماً كي تشترك زوجتك فيه

هناك لحم لحم متبل بالصلصة النمية ، تذوقته ومدالي لذيداً  
فبتسمت لزوجتك ، ثم إنها جاءت بسلطانية حساء وراحت تعرف لنا  
مبه عصرة ليصون ها وهاك لئيدلكه كثير التوابل لم أعرف مدا  
عن المطبخ الأمريكي لو كان عندهم مطبخ ..

هنا بدأت أنت تحكي حيراتك التي عرفتها عن علم الأنثروبولوجي  
خلال هذه الأعوام .. قلت لي،

«إن ما أثار دهشتي هو ما عرفته عن أكل لحوم البشر أو  
لكنائيباليزم) من الغريب أبداً جميعاً بنت بصلة قرني لأجدار كانوا



ممارسون هذا الطقس هل تتصور هذا ؟ العصر الحفريات التي وجدها العلم في خلاياها لا تفسير لوجودها إلا حمايتها من تبعات هذا النشاط المرعب لقد وجد الأثريون عظاماً بشرية في أوعية صهي عمرها نصف مليون عام في الصين ..»

تذكر أنني نظرت لك في حيرة ما الذي جعلك تتذكر هذه السيرة (المهيبه) ونحن نتناول الطعام ؟ قالت زوجتك لا همز قوه بكلمة Canibalism أي (أكل لحم الجنس ذاته) مشتقة من لفظة (كاريب) الأسبانية التي تصف قبائل (الانتيل) لقد مورس أكل لحم البشر عبر التاريخ في خمس حالات لا غير 1- أثناء المجاعات . 2- في المدن المحاصرة 3- بسبب التعود إن بعض البدائيين كانوا يحبون مذاق هذا اللحم بالذات 4- كنوع من المبالغة في إيذاء العدو لا تنكر أن هناك سادية لا بأس بها في هذا الفعل 5 وأحياناً مورس كنوع من العلاج إن التهام عدوك ينقل لك قدراته كما يعتقدون»

كنت منزعجاً أما روجتي فلم تكن تتابع الحديث، ولم تبد مهتمة إلا بمعرفة من أين اشتريتم هذه الأطباق الخرفية الجميلة أما عن الصقلين فلو فهمنا لراق لهما هذا الموضوع بالذات . لا شيء يعجب الأطفال مثل مواصيع أكل لحوم البشر والعفاريث وهذه الأمور الرقيقة .

قلت وأنت تشرب الحساء برقي واصح «على كل حال يبدو أن أكثر قصص أكل لحوم البشر في التاريخ مختلفة هناك إشاعات قيلت عن السوميين أثناء حصار (لينجراو) في الحرب العالمية الثانية . وهناك إشاعات قيلت عن الصينيين أثناء المجاعة والثورة الثقافية تلاحظ هنا أن الإشاعات تدور حول شيوعيين . طبعاً يمكن أن نحصر مصدرها .»

سألتك في حيرة

هل هل هناك من أكل لحم البشر في العصر الحديث ؟

قلت ضاحكاً يا (شريف)



مكتبرون هناك واحد مشهور في الولايات المتحدة اسمه (إدوين)،  
هو المادة الخام التي ألهمت الرواة والسيميائيين محشد من الأفلام منها  
(صمت الحملان) و(سايكو) و(مذبحة معشار الشريط في بكساس)  
هناك كذلك الطالب الياباني (ساجاوا) الذي اتهم صديقه الهولندي وهما  
يدرسان في (السوربون) واستطاع أموه الثري أن يبعذه لأنه أثبت أنه  
محبول اليوم هذا الطالب مؤلف شهير له مراجع مهمة عن هذا  
الموضوع .

رحت أقطع قطعة أخرى من اللحم . أعتقد أنه عريب المذاق فعلاً لكني  
عرف أكثر من غيري ما يفعله الوهم في النفوس . رباه . ليذك تعبير هذا  
موضوع . قلت لك .

وهل أحببت الحياة في جزر (فيجي) ؟

قلت بي باقتصاب (نعم) ثم واصلت الكلام

وفي عام 1972 سقطت طائرة تقل فريقاً رياضياً من (أوروغواي) في  
جبال الأنديز واضطر الناجون لالتهام من ماتوا . وقد تم إنقاذهم بعد  
شهرين . هذه قصة شهيرة جداً كتبت عنها عدة كتب . وهناك قصة  
جماعة (دونر) الشهيرة عام 1846 . كانوا مجموعة تتكون من 87 من  
المهاجرين الأمريكيين سافروا للعرب نحو (كاليفورنيا) . لكن الجليد  
احتجزهم في (أوتا) مات أربعة وهكذا وجد الماقون أن عليهم التهام  
لحم المشري . هي البداية أجروا قرعة لكنهم لم يجدوا الشجاعة لتنفيذ  
مع أملة هذه فكروا في أكل الأدلة اليهود (هذا نموذج واضح لرقعة  
المشاعر الغربية) لكن هؤلاء فضلوا الفرار وسط الثلوج هكذا اضطر  
البؤساء لأكل من ماتوا منهم . بعضهم فضل الانتحار وبعضهم جن  
ولم ينبج إلا نصفهم في يناير 1847 .

هنا بدأت أعصب منك يا (شريف) فعلاً . قلت في عصبية

.. السبب في إصرارك على هذا الموضوع أثناء العشاء .

ابتسمت أنت في غموض وتبادلت نظرة مع زوجتك . وواصلت الكلام

« من الأسماء المهمة كذلك هي تاريخ هذا الطقس عندل (أناسزي) في أمريكا الشماليه ، والأزتك وجزر (فيجي) »

هنا قلت باهتمام

« (فيجي) هل رأيت شيئاً كهذا في (فيجي) ؟ »

« لا . لم يعد هذا الطقس يُمارس هناك لكن هناك الكثير من الحكايات عنه . »

هنا صاحت روحك في حماس بالعربية المهشمة

« هل من يرغب في المزيد من اللحم ؟ »

تصايح الأطفال أن نعم هذا طبيعي أنا من الطبقة المتوسطة وما زال أكل اللحم والمانجو يحدثان في نفس أسرتي نوعاً من الشعور بانذب فكرتي عن الثراء هي التهام اللحم والمانجو بلا حساب لكني زغرت لهم كي يتأدبوا قليلاً...

قالت زوجتك

«يرعم علماء التاريخ أن الكايمبالزم مورس كذلك على نطاق واسع في الصين القديمة .. »

قلت لها وأنا أصع الشوكة جانباً

«معذرة لكن هل هذه فكرتك عن تسليية الضيوف أثناء العشاء ؟ » أن لا أفهم .. »

قلت يا (شريف)

« الحقيقة أن هذا الطقس القديم ساحر . إن الكلام عنه مثير فعلاً إنه نوع من مداعبة أكبر محاولتنا النفسية الكامنة في مؤجرة وعينا أن نؤكل



تصور ان مفكراً مكسيكياً اسمه (ربعدرا) كذب بقول حينما وصل  
الحصارة إلى مستوى معين وتحرر من كل البابوهات والخرافات  
الحايه، فلسوف يسمح بالكاد بالزم بشكل قانوني ٤

«إنه رجل مريض...»

ورحب أنظر إلى اللحم أنا كذلك مريض أدرك هذا جيداً  
هنا قلت لي يا (شريف).

«لماذا لا تأكل؟» أنا مصر أن على المرء أن يحرب كل شيء - كل شيء -  
أنا أيضاً تمتعت في البداية ثم بدأت أجرب - زوجتي علمتني أن أجرب  
حينما ترى أطعمة قبائل (البوشمان) أو بعض المأكولات الهايتية، توشك  
على فقدان وعيك - ثم تبدأ تتساءل عن جدوى الحياة التي تأتيها  
وتفارقها من دون أن تجرب كل شيء - لقد تعلمنا من (فيجي) أشياء  
كثيرة، وهذه اللحم حثابه معنا من الولايات المتحدة - لم تفنش حقائبنا

هنا وضعت السيدة المزيد من اللحم في طبقتي وقالت

«لاحظ أن أكل لحوم البشر لا يعتبر جريمة في الولايات المتحدة إن  
حيال المشرع لم يصل لهذه الدرجة - المرات التي حوكم فيها أكلة لحوم  
بشر، أعدموا بتهمة القتل لا أكل لحوم البشر...»

كنت أنظر للصغيرين وهما ياكلان في نهم، وزوجتي تشمل الشوك  
والملاعق محاولة معرفة سعرها - وكان عقلي يسترجع هذه الكلمات  
ماذا كان اسم زوجتك؟ ما اسم تلك الجماعة التي احتجرت في الحفيد  
في يوتاه؟ (دوسر)؟ البعض ظلوا أحياء - البعض نقلوا ما تعلموه  
لأجيال أخرى - هل من يريد في المزيد من اللحم؟ أنا مصر أن على  
المرء أن يجرب كل شيء - كل شيء!

ورفعت عيني نحوك لأجذك ترمقي في ثنات يا (شريف) ونقول لي

حأرنت وروحتي أن تجري تجربة مهمة . هل يمكن للرجل العصري  
أن يتحمل هذه التجربة ويستمتع بها ؟ يجب أن تقول لنا انطباعاتك بدقة  
..

لم أرد ..

فقط نهضت في حدة وانتزعت الطفلين من مكاسهما . وجررت زوجتي  
جرأ نحو الباب وهي تحتج .

علكن .. لم نتناول العاكهة بعد !! أتترك لنا فرصة نغسل فيها أيدينا ؟  
هل جئنت ؟

فعلاً كنت قد حننت

ولم أقل لك كلمة واحدة . لقد اتجهت إلى الباب واقفلته ورشي بقوة  
هزت البناية هزاً وفي البيت حرصت على ألا تسقى ذرة من هذا العشاء  
اللعين في معدة أحدا ..

\*\*\*\*\*

اليوم - بعد شهرين من تلك الحادثة - تلقيت ذلك الخطاب منك لم أرد  
على أية مكالة منك وتحاشيتك كالطاعون لو كنت متأكدًا مما أقول  
لابلغت الشرطة لكنني فتحت رسالتك من باب الفضول فوجدت نسخة  
من مقال نشرته زوجتك في مجلة علمية مختصة بـ (الاستروبولوجي)  
وكان عنوان المقال هو «مدى الاستحالة للإحياءات عسيرة التصديق لدى  
عبيث منتقاة من الأسر المتوسطة في منطقة الشرق الأوسط» كان  
العنوان معقدًا لكنه واضح ربما كنت تتسلى علي يا (شريف) ربما  
كنت توحى لي بشيء غير حقيقي لتدرس رد فعلي كما يقول المقال  
لكنني أفضل أن أحفظ باسمنازي السامق كيف أعاودك واسم أسره  
زوجتك هو (دور) فعلاً كما كتب في المقال ؟ كيف أعاودك وأنا لم أرتج  
قط لمذاق هذا اللحم ؟ كيف أعاودك وأنا أعرف غرامة أطوارك وولعك بكل



ما هو غريب ؟ ربما هي محطة ما يوجد مقال آخر عنوانه « مدى الاستحابة لمذاق اللحم البشري لدى عيناك منتقاة من الأسر المتوسطة في منطقة الشرق الأوسط » .

لكنني لن أرى هذا المقال أبدًا ..

أعرف أنني لن أراه أبدًا

\*\*\*\*\*



www.illias.com/vb3  
RAYA HEEN

حکایات الظلال

قال لي (مصطفى الحمزاوي) وهو مقلب السكر في كوب الشاي

حكلها حرائم بشعة، وكلها جرائم متعددة بعباية هذان تفيضان لا  
يجتمعان إلا نادراً من الصعب أن يحطط القاتل المتوحش لجريمة دقيقة  
.. ومن الصعب أن يرتكب عبقرى جريمة بشعة . هذا هو اهم ما يلفت  
بظرك في هذه الجرائم

هل قابلت العقيد (مصطفى) من قبل ؟ إنه ابن خالي رجل شرطة  
المنعنى الحرفي للكلمة إنه يكره المجرمين فعلاً ويحارز للصعفاء بالكامل  
. أنت تعرف أنني موضوعي ولن أحعل منه ملاكاً مجرد أنه ابن خالي  
فقط أقول إنه رائع لسبب واحد هو أنه رائع .

كما صديقي طموحة ، وكان يحب شقيفتي منذ سن المراهقة وإن لم  
يعترف بهذا إلا عندما صار في سن الزواج وهكذا صار روج أختي  
صحيح أن ناء السكر متفش في الأسرة ورواج الأقارب سوف لكن  
هذا ليس موضوعاً على كل حال لقد دحر هو كلية الشرطة بينما  
اهتممت أنا بالأدب الإنجليزي . وقد اعتاد أن يحكي لي عن القضايا  
الغامضة التي تحيره ليعرف كيف أفكر . أحياناً يكون رأيي عبقرياً  
وأحياناً هو الغباء ذاته ..

عاد (مصطفى) يقول .

« مثلاً هناك ذلك المحاسب الذي احتنق في مكتبه من الواضح أن  
المحاسب قد خدر ، ثم شغل أحدهم المدفأة في شهر أغسطس وأغلق الغرفة  
بأحكام ثم غادر المكتب بطريقة ما أحكم علق الأبواب من الداخل مينة  
بشعة لكنها متقنة كذلك . خذ عندك أيضاً الموظف الذي تم تعديل جرعات  
الإنسولين التي يحقر بها نفسه لعلاج السكر كان يعيش وحيداً وقد  
تصلل أحدهم إلى شقيقه واستعمل نوعاً من الإنسولين به مائة وحدة بدلاً  
من الأربعين التي كان يستعملها .. »

قلت في كياسة

« هذا خطأ شائع لدى المرضى .. »

« ليس مع من يُعالج من السكر منذ ثلاثين عاماً بالله عليك »



وعاد (مصطفى) يعد على أنامله.

«هناك امرأة قام أحدهم بـعريه سلك عسالتها الكهربائية، ومرك الطرف العاري عائماً في المياه التي تملأ بلاط الحمام المشكلة هنا أنها كانت وحيدة في البيت ولم يكن موسع أحد اتهام زوجها لأنه مسافر منذ أسبوع لكن من معلها». التقارير الفنية تؤكد أنه من المستحيل أن يحدث هذا قصاء وقدرًا»

قلت في نفاذ صبر

«يا أخي من السهل أن يعمل الزوج ذلك ثم يسافر...»

قال بذات لهجتي

«مستحيل لأن احتها زارتها قبل الحادث بساعات وكانت الروجة تغسل الثياب في ذات الظروف من حفاء القدمين والملاط المبتل والعسالة لكن شيئاً لم يحدث. هذا السلك تدلى ليلى من الأرض في وقت ما بعد رحيل الأخت...»

هكذا راح يعدد لي حوادث موت. لا أعرف إن كان موسعي أن اعتبرها جرائم قتل. لكن من الممكن أن تكون هذه نماذج فريدة على اجتماع الإهمال بالغباء البشري المعتاد مع بعض الحظ السيئ

قلت له رأيي فقال وهو يحك رأسه

«كان هذا رأيي وحياتك حتى أسبوع مضى...»

ثم مد يده في كيس ورقي يحمله، وأخرج كومة من روايات صغيرة لها ذات حجم صفحة العلو سكاك لو شئت بها على نفسها مرتين وقال لي «(سعيد وهي) هل سمعت هذا الاسم من قبل؟»

هررت رأسي أن لا. وأمسكت بروايتين تحملان عنوان (حكايات الظلال)... هذه سلسلة إذن. قصص بوليسية على ظهر كل منها صورة لمؤلفها الذي له وجه فار مذعور وشارب يذكرك بالآخ (هتلر) كان هذا النوع من الأدب منتشراً بين الشباب، لكنه لأسباب يطول شرحها غير محبوب لدى أصحاب السنين من أمثالي، ربما لأننا لم نعتد إلا الأدب

الواقعي أو الرومانسي أو السياسي ..

قلت له -

« لا أعرفه . على كل حال لا أعتقد أن سوق الروايات البوليسية رائج

في مصر .. »

« وهو كذلك . لكنني وجدت هذه الروايات عند ابني فقرررت أن أسلي وقتي بها . إنها ليست تحفة أدبية وبالتأكيد ليس هذا الرجل أخا (أجاثا كريستي) . لكن انظر إلى قصة (شبح الوحدة) صفحة 154 .. تجد أن القاتل قام بتعزية سلك المكهرباء في الغسالة ككثير لزوجته .. والآن افتح قصة (أشباح الماضي) صفحة 88 تجد أن القاتل العبقري استبدل نوع الإنسولين الذي يستعمله خصمه المبرر . قصة (الانقراض) مدورها تحكي عن عملية خنق بالمدعاة ثم .. »

قلت في لا محالة

« إنه يستلهم صفحات الحوادث في الصحف كأي أديب آخر هذا أسلوب معروف »

« هذه الحوادث لم يُكتب عنها حرف في الصحف وهل تريد معرفة ما هو أكثر ؟ »

ثم فتح الصفحة الأخيرة لرواية من هذه الروايات وقال

« رقم الإيداع يدل على أن القصة كتبت منذ ثلاثة أعوام أي قبل أن تحدث أول جريمة بعامين .. »

\*\*\*\*

هكذا وجد (مصطفى) نفسه على بداية الحيط

سوف يجد هذا المؤلف نفسه في مأزق عويص عليه إثبات أنه ملهم إلى حد لا يصدق . هناك فيلم أجنبي شهير كان المؤلف يكتب فيه قصص جرائم ثم تقع حرفياً ، وقد قدمته السينما المصرية تحت اسم (بطل من ورق) ، لكن التفسير كان سهلاً هو أن هناك مجرماً حقيقياً يستلهم جرائم المؤلف سيكون على المؤلف إثبات هذا كذات



فيما بعد حكى لي (مصطفى) الموقف كاملاً..

كان الرجل في الأربعين من عمره، وكان بالفعل أقرب لعُزَّار مدعور  
لقد كانت الصورة صادقة أصابه الهلع حينما عرف أن الشرطة تهتم  
بقصصه، وأثار هلعه أن يعرف أن علامات استفهام تحيط به . كان - كما  
بدل - (مصطفى) مجرد رجل مائس لا يملك الكثير من الموهبة أو الخيال،  
وهو بالقطع عاجز عن قتل بحاجة، وكان يكتب ليظفر بالأربعمئة جنية  
التي يدفعها له المباشر عن كل كتاب لا أكثر ولا أقل .

(مصطفى) يعيل إسه أن الرجل بريء . لكن ما تفسير هذه المصادفة  
العجيبة ؟

قال له (مصطفى) إنه لا يشك فيه، لكنهم يريدون أن يساعدكم  
بمخيلته من عساه يستطيع أن ينفذ جرائم القتل تلك مستوحياً القصص  
؟ لا إجابة إذن ما هي جريمة القتل التالية ؟ لا إجابة ..

كانت حلقات الاتهام تحيط به (سعيد وهبي) لكن أحداً لم يحد أدلة  
كافية، وكان هذا عندما وقعت جريمة القتل التالية .. جرى (مصطفى)  
يتصفح كل لنسخ التي لديه ثم توقف عند صفحة معينة واهتف باستنصار  
«ها هي ذي معالجة المصعد كي يتوقف بين طابقين فتح الباب  
وأخرج رأس الأستاذ (محمود) منه، ثم تشفيل المصعد ليظهر الرأس .  
بعدها يفر القاتل من فوق سطح الناية لا تقل إن هذه مصادفة من  
فضلك .. فقد كبرت على هذا

لم أجد ما أقول فعلاً لا يوجد تفسير . ومن جديد نعود لفكرة (بطل  
من ورق) .

بعد أيام اتصر (سعيد وهبي) - (مصطفى) يحبره بأن جريمة القتل  
التالية سوف تحدث خلال يوم أو يومين . القتل محام شهير سوف  
يجدونه مدفوناً في الصحراء حتى العنق . هكذا سيترك عشرة أيام كاملة  
حتى يقتله الجوع والظما والخوف وحرارة الشمس

الآن بدأ الاتصال . هكذا سأل مصطفى في حماس عن مصدر  
معلوماته .. فقال (سعيد)



ولي لأمي كنت هناك بالصدفة هو

«أحياناً تكون الكتابة عملية إعلاء نفسي هذا المؤلف يعاني عدة عدد نفسية ومحبط بشكل واضح، لهذا راح يمارس على الورق ما كان يمكن أن يمارسه في الواقع يقتل ويسرق وينال أجمل النساء .. كل قتلته نموذج لشخص الذي كان يتعنى أن يكونه بنفس المتطوق الذي يجعل الناس يحبون قصص (أرسين لوبين) التي تحكي عن لص لا يشق له غبار ..»

كنت له بلهجة الأدب:

«هذا إذن هو التطهير الأرسطوطالي»

«بالضبط ما كان يكتبه على الورق حماه من أن يصير وحشاً لكن هذا الإعلاء لم يعد يكفي هكذا خرج إلى العالم ينفذ بالفعل ما ارتكبه قتلته على الورق .. هذا هو الفصام»

قال (مصطفى):

«نظرية جميلة لكن الرجل لا يملك هذه القدرات الخارقة يتسلل إلى الشقق المغلقة وبعثت من رقابة مخبرياً الخ ..»

«إنه ذكي لا أحد ينكر هذا .. وأعتقد أنه قادر على إيجاد السبل ..»

عندما جئنا مع (سعيد وهبي) بدأ مصراً على نظريته .. وقال لي

«هناك من القنلة الذين ابتكرتهم (راغب) الذي يجيد القتل باستخدام طرق طبية .. إنه طبيب فاشر شطبت النقابة اسمه لأنه كان يمارس الإحهاض .. وهناك (مختار) الذي يقتل بالكهرباء .. كل جرائمه لها طابع كهربائي .. كل هؤلاء خرجوا من قصصي .. كنت أنام ليلاً فأسمعهم يتكلمون في أصالة .. كنت أخرج فلا أجدهم لكني أعرف يقيناً أنهم كانوا هناك .. (راغب) يهوى رسم الأسهم على قطع الأثاث بمديته .. (منصور) الذي يحب قطع رهوس ضحاياه بالمصعد يسعل ويصق كثيراً .. في الصباح كنت أجد آثاره في الصالة، كما كنت أجد أعقاب السجائر تشي بأن هناك نحو خمسة رجال كانوا في داري ليلاً»





قال الطبيب النفسي:

«بضعة أيام في المصحة مع الملاحظة ..»

هكذا أودعوه غرفة إفرادية في مصحة عقلية . وأغلقت القضية ...

بعد أيام اتصل بي (مصطفى) قائلاً

«أريدك معي»

كان يريد أن يصحبني إلى المصحة . هناك أدخلونا إلى غرفة يقف على بابها حارس مدهول، وعلى الفراش كان (سعيد وهي) بهنأته الحالية من الحيوط والأزوار ينظر في دهول إلى السقف . لقد مات وعلى الأرض جثة كوبرا مصرية قتلها الحراس بالآخذية بعد ما لدعت (سعيد).

«أنا لم أفارق مكاني ومن المستحيل أن يدخل أحد هذا الثعبان من النافذة الموصدة لقد سمعت صوتاً من داخل الغرفة، كان عدداً من الرجال يتناقشون . هناك من يسعل ويبصق وهناك من يضحك ثم سمعت من يقول حان الوقت لننهي علاقتنا بك . قلت لنفسني إتني أحلم لأنه لا يمكن أن يدخل إنسان هذه الغرفة، ثم سمعت صرخة فهرعت اقتحم المكان لأجد الرجل ميتاً والثعبان يتلوى حول ساقه .»

كانت هناك أعقاب سحائر في كل صوب على الأرض ومعها بقع من النصاق . واتجهت إلى إطار النافذة فوجدت تلك الخطوط التي رسمها أحدهم بمدينة .. إنها أسهم لا شك في هذا ..

وجدت (مصطفى) يمسك برواية صغيرة في يده ويقلب صفحاتها حتى بلغ موضعاً .. وقال لي:

«أحضرتها معي لأنها الرواية الوحيدة التي يقتر فيها نزيل في مصحة»

ثم راح يقرأ بصوت عالٍ:

«و بمجرد ما استطاع (درويش) أن يتسلل إلى جوار الفراش، أخرج هديته الخطرة من الكيس الذي يجعله غير مبال بفحيتها الغاضب .»

والقها على جسد النائم لتتلقى فوقه قبل أن تعرس نائبيها في لحمه هيا  
تهد (درويش) ويبد ثابتة أشعل لعافه تنغ وأحرق غطاء الفراش على  
شكل حرف D.

نظرنا معاً إلى الملاءة تحت جسد (سعيد) الخامد، فرأينا حرف D  
واضحاً هناك ..

هل نحن واقعون أمام لغز آخر من ألغاز الكون؟ أم يتعلق الأمر بكاتب  
واسع الخيلة استطاع أن يهرب شعباناً إلى داخل المصححة لينتحر بطريقة  
تثير العجب؟ كلا الاحتمالين عسير التصديق .. فقط نعرف أن الظلام  
يبتو وأن سرّاً آخر سينهم إلى حكايات الظلال

\*\*\*\*\*

www.lilias.com/vb3  
RAYAHEEN

أوتو ستوب

أولئك السبعينات الهيبيز ووشم الوردية و(مانسون) وأغنية (هاري كريشنا هاري راما) والبيتلز الذين عادوا من التت وقد اعتنقوا البوذية وأدمنوا المخدرات ثورة الشباب وحرب فيتنام .. لاحظ أن الهيبيز هم أصلاً شباب قروا من بيوتهم لأنهم يرفضون الحرب (البيض الذين انزعوا الأرض من الحمر يرسلون السود بعيداً لقتال الصُغر) . وفي مصر هناك حالة الإحباط قبل حرب أكتوبر وأغنية (الطشت قاضي)، بينما على الحصة يقف الرجال حقاً في خنادقهم يخططون للعبور

مع هذه الحمى العالمية التي ما زال علماء الاجتماع يحاولون فهمها امتشرت في مصر عادة غريبة عجيبة هي **الأوتوستوب** . معم هي عجيبة فقط في الخارج يمكنك أن تتحيل مائة طويلة الشعر تربط شريطاً حول جبهتها وتلبس الأسعال وتحمل على ظهرها جيتاراً تشير لسيارتك لتركب معك .. إلى أين ؟ .. لا بهم هي اللحظة التي تريد ما سوف تبدأ حياة جديدة في مكان جديد مع شخص جديد هذا غريب عنا ولا مذاق له . يذكرك بعادة أكل (الملوحية) بالشوكة التي يمارسها البعض ..

لكن كي أختصر . يجب أن أحكي لك قصتي . هذا أنا في السيارة (الداتسون) التي يملكها (علاء) صديقي طيفاً لم تكن سيارتي لأسي لم أكن ثرياً قط . كنا طالبين في الجامعة وكان المستقبل ممثلاً أمامنا .. ممثلاً كذلك الطريق الخالي من السيارات الذي راحت سيارة (علاء) تنهمه نهياً ... كان مجنوناً لكنني كنت أكثر جنوناً منه . لهذا مضينا في هذا الطريق بلا وجهة معينة . ولو أننا لبجد أننا في ليبيا لم اندمست كثيراً

كما نتكلم عن (غيداء) . أنت تعرف (غيداء) الآن . وكنت أرسم على وجهي تعبيراً يقول هي مجرد فتاة أنا لا أهتم بها حقاً وكان يتكلم عن (صفاء) ؟ لا أنكر الاسم الآن . وصوت (جون ليون) يدوي من كاسيت السيارة هامساً ، تخيل لو كان العالم واحداً تخيل لو لم تكن هناك حروب ربما تنهمني بأنني حالمة لكني آمل في أن تنصم إلينا ..

\*\*\*\*

يتحدثون كثيراً عن هذه الظاهرة حتى يقال إنها الأكثر شعبية في

العالم ظاهرة شبح راكب الأوتوستوب Phantom hitchhiker يقال إن هذه الظاهرة مقصورة على جنوب أفريقيا وأستراليا لكن الدراسة المدفوعة توصلت أن كل مكان في العالم شهد ظاهرة معانلة ..

القصة تتحدث دائماً عن ضحية هلكت في هذا الموضع بالذات . حادث من نوع ما ... بعد هذا بأعوام يمر في النقطة ذاتها عابر سبيل وحيد في سيارته فيفاجأ بمن يستوقفه طالباً الركوب (أوتوستوب) . طبعاً يتضح متأخراً جداً أن هذا شبح الضحية ..

على كل حال يقول العارفين بهذه الأمور إن هناك ثلاثة سيارات يوهات محتملة

السياتريو الأول الشبح يشير للسيارة لتتوقف ثم يركب . لأسباب واضحة يكون هذا الشبح من الجنس الآخر . والا ماذا سيدفع السائق للتوقف ؟

السياتريو الثاني فجأة تصدم السيارة شخصاً . وينزل السائق للذئور بحثاً عن ضحيته فلا يجد جثة . ربما يكتمها الشبح بالطهور أمام السائق (ليفزع الجحيم من أحشائه) كما يقول الغربيون .

السياتريو الثالث نوع مفيد من الأشباح يقوم بإيقاف السائق في موضع الخطر من الطريق .. أي إنه بهذا يحمي الأحياء من الحادث الذي قضى عليه هو نفسه ...

في أستراليا هناك شبح معروف باسم (ماري العائدة للحياة - Resurec-tion Mary) وهي فتاة ألقاها صديقها من السيارة المسرعة بعد مشاجرة هي طريقة عبقرية لإنهاء النقاش مع الأثني لكن النتيجة هي أن الأخت (ماري) عادت تظهر على الطريق بعد خمس سنوات طالبة من العابرين أن يوصلوها إلى المرقص . بعد قليل تختفي من السيارة . بعض القرى في جنوب أفريقيا تعلق على الطريق لافتة (احترسوا من الأشباح) بنفس المنطق الذي يعلق به لافتات (عبور مدارس) أو (عبور ماشية) في بلادنا ..

ثمة نقطة أخرى مهمة مصدر الأشباح التي تعارض (الأوتوستوب) هذه . كل من يحكون هذه القصص تجمع بينهم صفة واحدة هم



أشخاص لا يمكن أن تتق بكلامهم أبداً !

\*\*\*

ولم أكن أنا و(علاء) مدرك شيئاً من هذا ونحن تقطع الطريق بسرعة جنونية جزء من هذا الجنون يعكس توترنا وقلقنا بصدد الغد .

على ضوء كشاف السيارة استطعت أن أرى ذلك الشبح الواقف على يمين الطريق . في هذه الساعة ٩ إني أحسد الشخص الذي امتلك من الجرأة ما يجعله يعصي راجلاً في هذه العلاء في ساعة كهذه . لكن ماذا عن كون هذا البطل فتاة ؟ كانت تقف هناك وتشير بإبهامها على طريقة الأتوستوب الشهيرة وكانت تحمل حقيبة على ظهرها كأنها من السياح . شيء واحد كنت متأكداً منه لن نتوقف هنا لأي سبب .

قلت لـ (علاء) ونحن نقترّب من الشخص

«لا تتوقف .. استمر ..»

«إنها فتاة .. لا بد أنها بحاجة لعون ..»

«يا أحمق هذه المواقف تكون كمائن دائماً سوف تقرأ اسميت في صفحة الحوادث غداً وربما صفحة الوفيات ..»

كانت الصرخة بسبب ارتطام رأسي بحاجز التابلوه لأن الأحمق معللاً داس العرملة ليقف بالضبط أمام تلك الفتاة .

أغمضت عيني متوقعاً طلقات الرشاش التي سيفرغها فينا أوتك المطاريد المتوارون خلف الأشجار .. هذه هي اللحظة المناسبة لكن لم يحدث شيء ..

فتحت عيني لأسمع الحادثة .. كانت الفتاة تقول

«نفس طريقك هذا . سأنزّل عندما يصل إلى العمران»

أشار لها إلى المقعد الحلفي لتركب . الآن بدأ الأحمق يتوتر ولم يعد على طبيعته كأني رجل يتعامل مع فتاة حميلة لم تستطع فتح الباب لأنه لا يمكن فتح أي باب في سيارة (علاء) ، بدا ترجلت لافتح لها . كانت



حميلة فعلاً وإن أدركت على الفور من ثيابها غير المهندمة وشعرها  
الصويل الذي يكسو حصرها أنها ممن تسربت لهم ثقافة (الهيبيير).

انطلقت السيارة من جديد . ورحت في ذهني أفكر في أن هذا غير  
عادي . لو كان من يشير لنا رجلاً بلئساً في مارق فعلاً لما توقف (علاء)  
لكن أسلحة الأنثى ماضية كما تعلم ..

سوف تخرج المسدس الآن وتُدسه في رأسي طالما أن معطيها ما معنا  
من مال وبترجس ، ثم تأخذ السيارة وتتركنا نجرب الأتوستوب مدورنا .  
هذه اللحظة المناسبة ..

سألها (علاء) السؤال المنطقي وهو ينظر إلى معالم الطريق

«ماذا أتى بك هنا في ساعة كهذه ؟»

قالت وهي تنظر من النافذة

«هي قصة طويلة ..»

«هل لنا أن نتشرف بالاسم ؟»

«هذا لا يهمك في شيء ..»

وضمكت في وحشية في سري . إن الصفحات غير المرئية تتوالى  
على خدي صاحبي . لكنه يتمتع بكل صفات فاش النساء وأهمها أنه عديم  
الإحساس بالمهانة (ما عندوش دم) باختصار شديد .

قال لي وهو ينظر من فوق كتفه للخلف

«مارلها بعض الشطائر لا بد أنها جوعى . لقد تناولنا العشاء في  
السيارة لكن هناك شطائر و...»

قالت بطريقتها الباردة

«أنا لا أأكل ... أبداً ..»

هكذا وأصلنا السير في خرس تام غريب أمر هذا الطريق إنه  
مالفعل أكثر الطرق عزلة في مصر كلها ومنذ ساعة لم أر سيارة واحدة  
إن وجود هذه العتاة يجعل المرء عصيباً ولا أنكر هذا . دعك من أنها تتأمل



قعاي باهتمام غير عادي . كيف عرفت ؟ ألم تشعر قط مثلك النظرات التي تحرق ففك عندما ينظر لك أحدهم في حدة ؟

بعد قليل بدأ (علاء) يتملعل ثم أوقف السيارة إلى جانب الطريق وطلب منا أن نسمع له بثانية واحدة لماذا يا أح (علاء) ؟ لم يرد . لماذا يا أح (علاء) ؟ هي النهاية فقد صبره مصاح في غضب

«أوشك على الانفجار يا أحق ! لقد شربنا الكثير من المياه الغازية » هكذا غهمت وهكنا ترك أصواء السيارة مضاءة وانطلق إلى جانب الطريق ليثورى خلف مجموعة من الأشجار .. جلست أرمق سقف العربة وأنا اشعر بأن الصمت ثقيل إلى درجة لا تصدق .  
«إنني أنكر هذا المكان جيداً ..»

سمعت الصوت من خلفي فنظرت لها كانت قد مالت بذقنها إلى مسند المقعد حتى صار رأسها قريباً جداً مني وكان ضوء غامض ينعكس في عينيها فبدت لا تنتمي إلى عالمنا هذا نظرت بها طالماً تفسيراً فقالت:

«منذ أعوام كانت هنا فتاة وحيدة . طالبة في كلية العلوم قتلت ودفنت تحت شجرة جميز ولم يعرف أحد مكانها أو يسمع عنها بعد ذلك . شجرة جميز غليظة لا تخطئها العين . وصورة الفتاة مارالت تتصدر نشرات (خرج ولم يعد) ..»

نظرت لها وسألتهما السؤال الوحيد البديهي

«وكيف عرفت هذا؟»

قالت في غموض .

«أعرفه ..»

ثم نظرت لي بعينيها الغريبتين وههست .

«أنت متوتر . أليس كذلك ؟ هذا لأنكما شابان مهديان .. لو كنتم شابين آخرين لكان الموتر من نصيبي أنا ألم يقل لك أحد إنه من الخطأ

أن تتوقف لطالبي الركوب أو تسقط ؟. أنت تعتقد أنه ما دمت أنا أنتى  
وأنت ذكر فهناك اتجاه واحد للخطر . الحقيقة أن التهديد لعبة يلعبها اثنان  
الخطر سري في الاتحاضين كذلك الأسهم التي كنا نرسمها للمعادلات  
الكيميائية .

ثم ضحكت ضحكة طويلة كريهة رباه ' لماذا لا يأتي (علاء) ؟ لا  
يتعلق الأمر بإقراع بحيرة السد العالي على ما اعتقد  
قالت وهي لا تتزحزح عن جلستها.

«أنت قلق بشأن صاحبك ؟ لا تقنق إنه الآن مستريح تماماً »

ثم انفجرت تضحك ضحكة مستهترة قاسية

في هذه اللحظة كان تحملي قد بلغ أقصاه . وسرعان ما فتحت الباب  
المجاور لي إنه لا ينفتح . لا يوجد باب يفتح في سيارة (علاء) ..  
أخيراً وسمعتها تقول

«هذا قليلاً .. أنا لن أكلك »

لكني غادرت السيارة .. وسرعان ما رحت أجد السير نحو صف  
الأشجار الذي توارى خلفه (علاء) ربما هي تعبت بي لكنني أفصل أن  
أعرف الحقيقة وأما مع (علاء) .

مشيت وسط الأعشاب الطرية والظلام اتعثر وأصيح منادياً الفتى

هل ابتعد إلى هذا الحد ؟ مستحيل (علاء) (علاء) .. فجأة شعرت  
بيد غليظة تمسك بيدي فصرحت .

«ماذا بهاك يا لحمي »

قالها وهو يحكم إصبع سريره . فقلت له وأنا أرتجف

«تلك الفتاة .. إنها مجنونة ..»

«لكنها جميلة . أفصلهم على شيء من الحنون ..»

«لم استطع البقاء معها . إنها تقول كلاماً غريباً ..»

راح مطلق السباب لأعنا الزمر الذي يرتجف فيه الرجال خوفاً من  
الفتيات الوحيدات .. وخرجنا من وراء حاجز الأشجار إلى حيث السيارة  
.. فلم نجدها !

راح يصرخ في جنون .. ويتهمني بالعتة والحمق . لقد ترك مفاتيح  
السيارة بداخلها . هذه أنكي عملية نصب في التاريخ العتاة أثارت  
رعبي حتى تركت لها السيارة وفرت بها ! والآن علينا ان منتظر مرور  
سيارة يتعطف صاحبها ويقبل ركوبنا معه !

لم اصدق براءة الفتاة . لقد لعبتها بشكل متقن فعلاً

هكذا مشينا على الطريق المظلم .. لم أتلق قط كل هذا القدر من السباب  
والإهانات في حياتي لكنني لم أرد لأنني استحققت كل حرف  
لا بد أننا مشينا نصف ساعة وفجأة لحنا ضوءاً على جانب الطريق  
هتف وهو يركض ركضاً:

«السيارة !»

بالفعل كانت هناك متوقفة . مصاة الأبواب مفتوحة المفاتيح  
موجودة .. ولا أثر للفتاة .. إذن هي ليست لصة . إنها داعبتنا مداعبة  
ثقيلة لا أكثر ..

ركب السيارة وأدار المحرك فاطمأن إلى أنها ما زالت صالحة للسير  
لم تتركها الفتاة لأنها تعطلت بها إذن ..

هنا نظرت إلى المكان من حولنا . هناك شمع عملاق يطل عليه  
ككائوس من حلف حاجز الأشجار . قلت له همساً  
«تعال معي ..»

امتزج المفاتيح ودسها في جيبي هذه المرة ثم ترجل وعيناه تنسأ لان .  
مشيت وسط الأشجار إلى أن وصلت إلى شجرة الجمير العملاقة .  
أشعلت عود ثقاب ونظرت أسفلها .. هذه الكومة العالية لا تريحني . برعم  
كل شيء يبدو لي أنها صنعت بيد بشرية ..

«عم تبحث ؟»



لم أرد أشعلت غصن شحر جافاً ليدوم الضوء أكثر، وعددت يدي  
 أنيش الطين الحاف . ولم استغرق وقتاً كثيراً حتى أخرجت كيساً  
 بلاستيكيًا صغيراً متسخاً . فتحتته فوجدت به كراس محاضرات لم يتلف  
 لأن الكيس حماء . وعلى ضوء اللهب المتراقص وعلى الخلاف الداخلي  
 قرأت (مي محمد وهبي علوم كيمياء) وبعد صفحتين وجدت سهماً  
 من (تلك الأسهم التي تسري في اتجاهين) ..

نظرت له ونظرت لي . وساد الصمت برهة ثم سألتني

«ما رأيك ؟ هل نواصل الحفر أكثر أم نقر من هنا ؟»

بم أكن أملك إجابة ..

بالفعل لم أكن أملك إجابة.

\*\*\*\*\*



www.iiias.com/vb3  
RAYAHEEN

الشمعة والقناع

لهب الشععة يتراقص . ومع رقصته ترتسم تلك الظلال الغريبة  
العملاقة لنا على حدران غرفة المكتب . لهب الشععة يرقص . ومع  
رقصته ألمح شمعتين ذهبيتين في عيني (سراج) وذلك البريق المجنون  
الذي لم أره من قبل . إما أنه مجنون فعلاً . وهذا ما أتمناه . وإما أنه  
شيء آخر ...



لهب الشععة يتراقص ..

ورائحة الشمع الدائب المحترق تدغدغ أنفي .. كنت أحب هذه الرائحة  
حيثما كان لي أنف منهم جائع إلى اكتشاف الجديد .

ونحن حالسان في الظلام إلى تلك المنضدة الصغيرة أمام المكتب  
يداه مكبلتان بالصفد الحديدي ... ومن وسط السلسلة يخرج قيد آخر  
يثبته إلى قائمة المنضدة . لهذا يصع مرفقيه إلى المنضدة ولا يكف عن  
فرك كفيه معاً . أما أنا فأجلس أمامه ممسكاً بذلك المسدس الثقيل الذي  
أصر على أن أحمله . أما أخشى الأسلحة العارية وأؤمن منذ طفولتي  
بمقولة أمي «السلاح يطول» . معربة بذلك عن تصورهما للمسورة البندقية  
تتلوى كالشعبان إلى الوراء لتطلق الرصاصة على رأس حامل البندقية  
نفسه، وقبل أن يلعب الزناد..

لكن (سراج) أصر على أن يكون المسدس في يدي، وأن تكون الفوهة  
مصبوبة إلى رأسه.

ينظر لساعته ثم إلى الخارج . إلى الستار الرقيق الذي يغطي النافذة  
.. ويهمس من بين أسنانه

«حان الوقت»

قلت لنفسني إنها ليلة سوداء . لكنني أعرف أنني لن أطلق الرصاص  
وأعرف أن هناك هراء . بعد ربع ساعة سأبهض وأحييه وأفك الصفد  
بالمفتاح الذي في جيبتي، ثم أعود لداري لأحلم بالكوابيس . نشاط حافل

للأمسية كما ترى ..

قلت له وأنا أتأمل الشمعة

«هل لابد من هذه التأثيرات المسرحية ؟»

قال لا هنا

«لا بد . قلت لك إن الشيء لا يحدث إلا في ضوء غير مباشر .»

هكذا لم أعرف ما أقول . ورحت أقلب السدس في يدي . كتلة الموت  
المجمدة الباردة ..

رحت أرمق الشمعة . ومن جديد تذكرت كيف بدأ كل شيء

\*\*\*\*\*

كان (سراج) صديقاً قديماً (رأى العالم) كما يقولون في القصص  
لقد ارتحل إلى كل مكان تقريباً .

كان مهندساً عزباً في الأربعين لا غبار عليه . لولا ذلك الولع السوداوي  
الجنون لديه بالموت والمقبر لا اعتقد أنها جريئة ما هناك أناس  
موبعون بهذه الأمور فعلاً . لقد وصف (مارك توين) فتاة مرافقة لا  
ترسم إلا شواهد القبور ولا تكتب إلا أشعار رثاء حزينة ، إلى أن ماتت هي  
بدورها . وكنت ألاحظ ومع (سراج) الشديد بحضور الجناز واهتمامه  
بأن يتدخل في كل شيء . هو لا يكف عن إسداء النصائح لأهل المتوفى  
ولابد من أن يحضر طقوس الغسل والتكفين الخ . وكنت أرى في هذا  
شيئاً مرضياً يحتلف نوعاً عن الرغبة في الاتعاظ بالموت . اعتقد أنه سافر  
حول العالم ليحضر جناز من مختلف الثقافات بدءاً بالدفن العادي  
وانتهاء بالحرق واللقاء ابرمادي في مهر (الجانج) لكن هذه الأشياء لم  
تجعله شخصاً كريهاً بالنسبة لي ..

إلى أن رأيته هذا الصيف . فشعرت أنه تقدم في العمر بصعـة أعوام

كان مرتبكاً متوتراً ثم طلب أن يزورني . وفي هذا اللقاء العجيب

قال لي إنه لم يعد على ما يرام .. لقد تغيرت أشياء كثيرة في حياته .  
هناك ليال كاملة لا يعرف ماذا يفعل فيها ولا أين أمضى ليلته فقط  
يصحو من النوم مليئاً بالكدمات منهكاً...

### نصحته النصيحة الوحيدة المعككة

«تزوج لن تحهد بعد هذا في تذكر أين أمضيت ليلتك لأن زوجتك  
ستعرف. لن تتساءل عن سبب تعاسيتك لأن زوجتك ستعرف  
الخلاصة أن كل مشاكلك العنوية العلواء ستتحول إلى كوارث مادية  
محترمة. تذكر كيف كانوا قديماً يعالجون مرضى الفصام بحقنهم  
بجرائيم الملاريا»

### قال في عصبية

«الآن صار من المستحيل أن أتزوج..»

ثم أردف وهو يدهن وجهه بين كفيه:

«بعد ما تكررت تلك الليالي العاصفة فمت بشيء بسيط . أحفيت  
كاميرا الفيديو في موضع يراقب غرفة يومي ودخلت الفراش في مواعي  
المعتاد. وقدرت إنه لو كان هناك سر ما فلسوف أعرفه قبل أن ينتهي  
الشريط .. وقد جريت هذه التجربة ليلة واحدة وفي الصباح رأيت الفيلم.  
أكثر الفيلم بصور باباً موارباً ولا شيء يحدث . لكن قبل أن تنتهي  
الساعة الأولى رايت هذا المشهد ' هل عندك جهاز فيديو »

كان يحمل في جيبه شريط فيديو. فقمنا بتوصيل الجهاز وجلسنا  
مشاهد ما التقطته الكاميرا كان قد ضبط الشريط على اللحظة المهمة  
بالذات . وأمام عيني الحائرتين رأيت باب غرفة النوم الموارب يفتح، ثم  
في الضوء الخافت رأينا (سراج) يغادر غرفة النوم. ينظر حوله للحظة  
كأنه قد لح الكاميرا ثم يخرج من الكادر .. لا يوجد شيء غريب لا يوجد  
شيء غريب باستثناء أن رأسه كان رأس بش ! بش تتوهج عيناه في  
الضوء الخافت وقد انتفش الشعر المحيط برأسه كالنيران ..



أعدنا اللقطة عدة مرات فكانت النتيجة أكيدة . ولم أكن على استعداد لقبول حرف من هذا السخف أما هو فكان واثقاً بما رآه وما رأيته .

«اسمع لو أردت لعب هذه الألعاب الصببانية فليكن هذا بعيداً عني»

قال متوسلاً

«أنت أُملي الأخبير ويجب أن تصدقني يجب أن أذكر هنا أن تلك الليالي التي لا أعرف عنها شيئاً كانت ليالي قمرية<sup>١</sup> . يقولون في أساطير العرب إن الإنسان يتحول إلى مسخ نذب لو ولد في ليلة مقمرة . أو نام خارج الدار ليلة جمعة مقمرة .. دعك من أن يتعرض لعصاة أو حدش نذب . الحقيقة أنني مررت بكل هذه الخبرات معاً . هل يوجد أي تفسير لما قرأه إلا أن أكون قد تحولت إلى مسخ نذب<sup>٢</sup> . مذهوب . تذكر ولعي غير العادي بالموت والمقابر . هل هذه نفسية سوية<sup>٣</sup> . ألا يشير هذا إلى شيء على غير ما يرام في تكويني؟»

لم أكن على استعداد لمناقشة هذا الهراء، لكنه كان مصمماً على أن أصغي له ..

هل هي أسطورة حقاً<sup>٤</sup> . بالنسبة للقديماء كان الأمر مفروعاً منه لا ستهل مجرد التساؤل . سوف تجد في المخطوطات اليهودية كلاماً عن (نوحذ نصر) من بابل الذي تحول إلى مدهوب أربعة أعوام كاملة . وفي كتابات (هيروdot) تجد كلاماً عن شعب (البيوري) الذين يتحولون لنذاب مرة كل عام . ولو قرأت ملحمة (جلجاميش) البابلية لوجدت أن (إنكيidu) صاحبه أقرب إلى مدهوب ..

أما الشاعر (فيرجيل) فيصف رجلاً قادراً على تحويل نفسه إلى نذب . وقد زعم ابشعر أنه تعلم معه أسرار إعادة الموتى للحياة .. إن كتابات الطبيب الأركادي (مارسيلوس السايدي) عن داء (لايكاثروبي) - حالة التصور الذهني - ترسم لنا صورة طبية رصينة عن مرض يتصور فيه المريض أنه نذب حين يكتمل القمر . يعوي ويأكل اللحم النيئ . هذا ما

قاله ولكن عارأيك في أن أطباء عرماً عظاماً ليسوا أقل من (ابن سينا) و(الزهراوي) نكروا هذا المرض في كتبهم ؟. الاسم العربي الذي اختاره هو محاولة لتقريب لفظة (لايكامثروبي) إلى اللسان العربي، لذا صار اسمه (القطرب) بضم القاف . وهما بعد اتهم العلماء داء البورفيريا وهو من أمراض الدم الشهيرة، التي لا يستطيع أحد أبداً تذكر أسماء الإنزيمات المعقدة التي تسببها . في أحد أنواعه يجعل المريض حساس الجلد للشمس مليئاً بالقروح . وداشعر طويل رمادي وحواجب كثة الأظفار تنمو بقطاعة . الاسنان مدببة . ثمة ميل غير حميد لمذاق الدم . جئون عام . هذا هو ما يفسر ميلاد الكثيرين من (الرجال الذئب) في التاريخ ومراجع الطب تطلق على المرض أحياناً اسم (متلازمة الرجل الذئب)

لكني بعد هذا كله لا أصدق حرفاً...

هنا كان طلبه العجيب إكراماً لصداقتنا (أخشى دائماً طلبات إكرام الصداقة هذه لأنها عسيرة كربة على الأرجح) طلب أن أمضي معه ليلة مقمرة كاملة في بيته . لن يجارف بشيء . سيربط نفسه بالأصفاد بحيث لا يستطيع إيدائي .. أما أنا فعلي أن أمسك بالمسدس ... هذا المسدس ليس عادياً . إن به طلقة واحدة صنعها هو بنفسه طلقة من قصة .. المفترض حسب هذه الكتب الرهيبة أن المدعوب لا يموت إلا برصاصة فضية . من الطرق الأخرى أن تجرحه لينزف ثلاث قسرات من الدم . طبعاً هي طريقة غير محبة وغير مضمونة .

لو مرت الليلة على خير فعلي أن أفك قيده وأصحك وأخبره كم هو سخيف، ثم أعود لداري؛ أما إن حدث المحذور فهي الطلقة الطلقة التي أعرف أنني لن أطلقها أبداً . لأن هذا كله تخريف . وفيلم الفيديو؟ إما أنه دعابة منه أو دعابة عليه . إن أقتعه الذئب تباع في كل مكتبة اليوم ويمكن لكل من امتلك عشرة جنيهات أن يصير مذبذباً

لن أطلق هذه الرصاصة أبداً . إذاً لماذا لا أريحه ؟

\*\*\*\*



ولهب الشمعة يتراقص ...

ظله المحيف يرقص على الجدار حلقه وهو ينظر للهب في شروبه كأنه  
موم معبأ طيسياً سوف يسهي هذه الشمعة خلال ربع ساعة على  
الأكثر لهذا أعددت واحدة أخرى .. تكفي قدرت أنني لن أشعلها لأن شمعة  
واحدة تكفي لإعلان أنه أحرق ..

نظرت لساعتي واتجهت إلى الستار وأزحته

الآن فقط أرى البدر مكتملاً هاجراً بطل علينا من فوق الأبنية المحيطة  
بقا.

نظرت له وضحكت في تشف وضعت المسدس على المضدة.  
وبخطوات ثابتة تركته متجهاً إلى الصالة سمعته يصيح في دهشة  
«إلى أين؟»

لم أرد . صوت احتجاجاته يهتف وأنا أتركه حيث هو عاجزاً عن  
الحقاق بي . وأتوغل في شفتي فتحت أكثر من باب إلى أن وجدت غرفة  
نومه أضأت النور الكهربائي وانتظرت حتى زال الألم عن عيني بعد طول  
جلستي في الظلام . ثم رحت أفتش الحجرة بعناية وقسوة كأنني ضابط  
جشتابو يفتش حاجيات رجل من المقاومة الفرنسية . بحثت في خزانة  
الثياب وتحت الفراش . وفي النهاية وجدت كاميرا الفيديو إياها . وتحت  
حشية لفرش وجدت ما كنت أبحث عنه قناع نخب رخيص من النوع  
الذي قلت لك إنه يباع في كل مكتبة ، ويمكن لكل من أمتلك عشرة جنيهات  
أن يقتنيه .. قطعة ملهاء من الجلد لها تجويقان عند العينين وعند الأنف .

أنت مسؤول يا صاحبي فعلاً مخبول كل هذا الجهد من أجل  
تمثيلية سخيفة وما أنبني أنا لقضعتني وسط كل هذا التوتر؟  
هكذا عدت إلى مكتبه لأخبره برأبي فيه ..

هنا وجدت أن الظلام قد صار دامساً .. لقد لفظت الشمعة أنفاسها  
الأخيرة . اتجهت إلى النور فأضأته وهنا فوجئت بأن (سراج) لم يعد

موجوداً ١. لا أريد أن أكون هستيرياً لكن السلسلة التي كانت تثبته إلى قلعة الحصنة مفتوحة . لقد فتحت بقوة لا يمكن أن أتصورها أين ذهب؟

هنا لمس شيء ككفي فأجعلت نظرت للوراء فوجدت أنه الستار يطير في هواء الغرفة إن الباقدة مفتوحة والبدر ينظر لي في وقاحة متشغياً

ثم أين المسدس ؟

أسئلة كثيرة حملتها معي وأنا أهبط في الدرج وأنا أبحث عن سيارة أجرة تقلني إلى داري ...

ليلة طويلة تفعمها الكوابيس ولا تثريب عليّ مجنون لكن كيف يفر مجنون من صفد حديدي مزدوج ؟ . وكيف يفر مجنون من النافذة المفتوحة ؟

في الساعة صباحاً رق حرس الهاتف فهرعت كالخنزير أرد عليه عرفت صوت (سراج) المبحوح المرهق يتكلم .

« أشكرك على أنك تركتني وحدي أثناء التحول . لقد أفادني وجودك في أنه جعلني اتخذ أهم قرار في حياتي . فكرت في الأمر ملياً ووجدت أن البقاء حياً أفضل لهذا أخذت المسدس معي الأهم من هذا أنني صرت أتذكر جيداً ما كان يحدث لي في الليالي المقمرة أنا الآن في صورتي البشرية بعد ليلة صاحبة »

قلت في غيظ .

حكى عن ألعاب الأطفال .. لقد وجدت القناع في غرفة نومك »

عاد صوته المبحوح يقول

« أه القناع ! اللعبة التي اشتريتها لأولاد أخوتي » . قطعة المطاط المساء ٢ . لو تذكرت الفيلم الذي رأيته يا صاح لتذكرت أن المذءوب كان منتفخ الشعر وكانت عيابه تتوهجان كجمرتين . لم أعرف أن ذلك القناع

الرخيص مقنع إلى هذا الحد

ثم أضاف وقد كنت أقاطعه .

«أنت الآن تعرف عني أكثر من اللازم لن ألق بك إكراماً لصداقتنا  
لكنك لن تراني بعد اليوم أبداً اسم جديد عنوان جديد بلدة جديدة  
ومستقبل مفعم بالاحتمالات»

ووضع السماعة قبل أن أخرج كل الأسئلة التي احتشدت في قلبي في  
وقت واحد.

لو وجدت في المحلات قناع نثب له شعر منتفش حول العنق وعينان  
تضيقان كجفرتين، فإني أرجو أن تخبرني . فقط لأنك من النوم  
بسلام في الليالي المقمرة!

\*\*\*\*\*



www.lilias.com/vb3  
^RAYAHEEN^

کتاب دیزان

(ك) كنت طالب دراسات عليا في ذلك الوقت، عندما سمعت بلعرة الأولى عن ذلك الكتاب، وكان هذا عن طريق أستاذي الدكتور (مختار) لقد لاحظ اهتمامي البالغ بتاريخ السحر القديم ومحاولات البشر الوصول إلى أسرار الكون .. كنت أدرس بعض النصوص الإنجليزية العتيقة التي تعود لزمان كان السحر فيه ديناً . وكانت المسيحية تكافح لتحمي وسط الشمال الأوروبي العاصف برياحه وأمواجه وقبائله الجرمانية المتوحشة .. لما رأى أنني مهتم فعلاً، دعاني إلى بيته وكان يحمل لي قبلة ما ..

(ث) تأملت وجه الدكتور (مختار) وهو يصب لي الشاي كان شيخاً قصير القامة أصابع فيه كل ما ينهر الحسان ويجذب طالبي العلم، وكنت أعرف أنه لم يتزوج قط، وأنه يعيش وحده حياة كئيبة لا يشعر بأنها كذلك لأنه راهب علم حقيقي . وكنت من الطراز التقليدي الذي لا يصدق أنه يمكن أن يرى معلمه في الشارع أو البيت، لذا ظلت منبهراً متهيئاً لا أصدق أنني هنا في بيته ..

قال لي وهو يفتش بين رفوف المكتبة:

«أنت تعرف أنني لم أتزوج وبالطالي لم أحب لكن العمر يدنو من نهايته وعلى المرء أن يرتب أموره ..»

أردت أن أقول له ما معناه إن عمره مديد إن شاء الله لكنني وجدت أن في هذا لوناً صريحاً من الزيف والنفاق فعلاً هذا الرجل قد بقي حياً حتى اللحظة معجزة ما هو نموذج حي لقولة «لأعمار بيد الله ..»

قال الأستاذ:

«هل سمعت عن قارة (ليموريا)؟»

هزرت رأسي في غيباء فقال:

«إنها القارة التي قيل إن أهل (أطلطس) جاءوا منها، ولا تقل لي من فضلك إنك لم تسمع عن (أطلطس)....»

ثم أردف:

«الليمور هو حيوان يعيش في أفريقيا وماليريا . كيف يتواجد في هذين المكانين المتباعدين فقط ؟ من هنا افترض العلماء أن هناك قارة كانت تربط أفريقيا وماليريا قديماً وقد أطلقوا عليها اسم هذا الحيوان (ليموريا) . غاصت هذه القارة في البحر يوماً ما . كان الإغريق يسمونها (حقول الفردوس) والفراعنة يسمونها (حقول العشب) أو (حقول الأسلاف) .. ثم غرقت فأطلقوا عليها (أرض الموتى) حيث لا يجسر بحار على الاقتراب»

(١) اهتمت في حيرة لأنني لا اعرف مناسبة هذا الكلام . هل عبثت فتران الشيخوخة بالأسلاك الدقيقة داخل هذا العقل الجبار ؟ فهم سبب حيرتي فواصل الكلام :

«هيينا بيترونا بلاغاتسكي» . اسم شهير في عالم العرب . هل سمعت عنها من قبل ؟

هزئت رأسي كالعادة أن لا ، فقال :

«توقعت هذا . إنها عرافة شهيرة روسية الأصل تزوجت في شبابها ثم فرّت من زوجها وارتحلت إلى بلاد الشرق ، حيث عاشت في الثبث وقدمت للرهبان البوذيين وعرفت منهم الكثير من الأسرار . بعد هذا ذهبت إلى الولايات المتحدة عام 1873 ، حيث اشتهرت كوسيلة روحانية وقارئة أفكار . . وقد كتبت كتباً شهيرة أهمها (الكشف عن لغز إيزيس) و(العقيدة السرية) . إن كتبها قد انقرضت تقريباً ويعتبر العثور على أحدها نصراً مهماً . هناك فصول كاملة لدى بعض المشتغلين بهذه

الأمر، ولكن يصعب أن يتيجح أحد قتلًا إن لديه كتابًا كاملاً من كتبها .  
(هيلينا بيترورفا بلافاتسكي) .. امرأة وضعت أناملها على سر الكون  
.. ودونت ما عرفت لكنه ضاع ..

(ب) بدت على الحيرة ما دخل هدا بقارة (ليموريا) ؟ وما دخل  
النكفور (مختار) بهذا ؟

قال وهو يفتح باباً سرّياً في المكتبة .

«زعمت (بلافاتسكي) أنها وجدت حرقارة (ليموريا) لدى رهبان  
التبت في كتاب شهير عندهم يدعى (كتاب ديزان) .. وقد اعتمدت على هذا  
الكتاب بشدة في كتابها (العقيدة السرية) إن الكتاب يحكي قصة الكون  
منذ البدء . والقصة تصطبغ مع الأديان في أكثر من نقطة، لذا كان من  
الأسهل أمناً أن تحتفظ بطن من المفرقات وطنين من المخدرات من أن  
تحتفظ بهذا الكتاب ...»

وفي اللحظة التالية وجدت كتاباً غليظاً قديماً في يده . وقبل أن أسأل  
قال :

«هو ذا كتاب (العقيدة السرية) . لقد قصيت عمري كله أبحث عنه  
حتى وجدتته وحققته . إنني الآن أضع يدي على سر أسرار الكون .. لكن  
لم يبق من عمري شيء تقريباً . لذا سممت على أن يرثه ابن لي . لا ابن  
لي لكنني أحبك ولطالما اعتبرتك ابني الروحي لهذا أريد أن تحتفظ به ..»  
شعرت بالهلع بعد كل ما قاله لي صار الكتاب ملتهباً كالديناميت  
ليست لدي أية بية للاحتفاظ بهذا الشيء . لكن كيف ترقص هذا بعد ما  
عرفت كل ما عرفت ؟

قال لي د (مختار) وهو يلف الكتاب في كيس ورقي

«إن الكتاب من مائه فصل . معقد جداً لا يصبر عليه إلا قليلون

معاني الأسماء الفباء السحر كتاب (إبعوخ) .. القبالة . سحر  
الأعداد الأسلحة الخفية سر الشمس ناربع المسيحية . الجرويب .  
سحر الفراصة الماسوية عبدة النجوم بعزبول كل شيء ..

ثم التمعت عيناه وقال في حماس:

هذا كتاب كالبارود . لا يجب أندا أن يقع في أيدي غير مسئولة . والآن  
يا (محفوظ) أنا أنتظر القسم .

«أي قسم؟»

«أن يطل هذا الكتاب معك سرًا . وأن يبقى في حوزة مكين حتى تورثه»  
واتسعت عيناه أكثر وهتف

«أقسم؟»

(ب) دموع كثيرة سالت من عيني وأنا أقف مع الحانوتي الذي قام  
بتعسيل جثة الدكتور (مختار) الذي لم يكن له أقارب، لذا حضرت غسله  
باعتباري ابنه الروحي وسط رائحة المخور والعطر والطلل العام،  
تساءلت في سري ترى من آمن بتلك العقيدة السرية ؟ . هل كان مسلحًا  
حقًا أم أن الشيطان دفعه لتلك المتاهات الكابوسية ؟ . ليس هذا شأني  
ولما هو شأن أرحم الراحمين . فقط كنت أعرف أنني لن أفتح هذا الكتاب  
أندا . مهمتي محددة هي أن أوصله لجيل آخر .

كنت أقف جوار الحانوتي في غرفة النوم وكانت هناك أوراق على  
الكرمود . مدت يدي لا شعوريًا لأقلبها فوجدت مذكرة مخط اليد كتب  
فيها . كان هذا خطأ (محفوظ) كان الشخص الخطأ . سامحوني لا  
تفكروا بي .

هذا انتصيب شعير رأسي . لا توجد طريقة أخرى لفهم الكلمات  
لكتوبة . لقد وصل لي الكتاب الرهيب بطريق الخطأ . فهل يجب أن





اتخلي عنه؟ هل وفاة د (مختار) طبيعية؟ من العيب والسخف أن  
تبحث عن سبب آخر لوفاة من كان في سبه وسوء صحته . لكن هل هذا  
هو الجواب فعلاً؟ . نومة قلبية .. لكن النوبات القلبية قد لا تأتي من تلقاء  
نفسها .. ماذا رآه وسمعه قبل وفاته؟ ..

نظرت لوجهه المتقلص في قناع الموت، وتذكرت كيف بدلوا جهداً أي  
جهد كي يغمضوا عينيهِ الشاخصتين الحائفتين هل هذا دعر الاحتصار  
أم .. .. ؟

(ي) يوم زواجي حرصت على أن أخفي الكتاب ابرهيب خلف حزانة  
الثياب الحزانة ثقيلة لن تتحرك إلا يوم أن نعيد طلاء البيت \_ وهو ما س  
يحدث \_ أو نفارقه . وهذا جعلني انسى الكثير عنه فقط ذات مرة قامت  
زوجتي بتحريك خزانة الثياب بمساعدة البواب وكانت تريد أن تفعل شيئاً  
ما وراءها شيئاً مما تصر النساء على عمله ولا يفهمه الرجال أبداً كال  
البيت لن يصير نظيفاً ما لم ننظف ما وراء حزانة الثياب . ودخلت الغرفة  
لأجدها ممسكة بالمكنسة تحت إبطها وهي تحاول فتح الكيس الورقي .  
فجريت وانتزعت الكيس منها غاصباً . نظرت لي في حيرة فقلت إنها  
اسرار يهمني ألا تعرفها . هكذا تركتها تعتقد أن هذا الكيس يحوي إحم  
ربما مجلات مشينة أو ما هو ألعن لا ماس أستطيع التعامل مع هذا  
. المهم ألا تفتح كتاب الاخت (بلافاتسكي)

لقد عشت حياة كاملة أخفي هذا السر عن الجميع أخفيت الكتاب في  
كل موضع من البيت تقريباً، وظل السؤال الأبدي يؤرقني إلى من أعهد  
بالكتاب بعد وفاتي؟ إلى أولادي؟ مستحيل لن أحمل أحدهم بسر  
كهذا .. وإذا احتررت تلميذاً من تلاميذي فهو هو الاختيار الأصوب ؟  
أعتقد أن الدكتور (مختار) دفع حياته ثمناً لسره اختياره فكيف أحسن  
الاختيار أنا؟

(ز) زميل شاب متحمس استلقت نظري لفترة لا بأس بها، وفطنت إلى أنني أمارس معه ذات ما مارسه د. مختار معي أراقبه في صمت . إنه مدرس أدب إنجليزي لكن لديه ولعاً شديداً بالمخطوطات . شاب في الثلاثينات مرح مولع بالحياة يصعب علي أن أحمله بهذا السر الثقيل .. لكن هل لدي خيار آخر ؟ وماذا لو تركت السر ينتهي معي ؟. ثمة احتمال أن تلحق اللعنة بدريتي . وثمة احتمال أن يجد الكتاب من لا يستحق .

في هذه الفترة وجدت صورة الأخت (هيلينا بيثروفا بلافاتسكي) إنها تناسب بالفعل انطباعي عن الوسيطات قصيرة قبيحة لها نظرة خمول شريرة .. صورة قديعة تعود لعهد كانت الصور تسمى فيه (فوتوغرافيا) . ذات الطابع الكابوسي الذي تراه في صور (كراولي) و(هوديني) وسواهم . هؤلاء قوم اقتربوا من الشيطان اقتربوا أكثر من اللازم ..

(أ) العمر يقترب من نهايته أعرف هذا وأفهمه .. كنت أسخر ممن يعتقدون أن الحجاب منكشف عنهم وأنهم يتمتعون بشفافية خاصة الحقيقة أنني أمر بهذه الشفافية الآن وأدرك أن الفترة التي تفصلني عن القبر لا تتجاوز بضعة أشهر . ربما عاماً على الأكثر

هذا لا يضايقي لكني أحمل هم هذا الكتاب الرهيب الذي صاحبه أربعين عاماً من سيجده ؟ إلى من أعطيه ؟ مسئولية ثقيلة القاهار (مختار) على عاتقي وعلى أن القيها على عاتق أحدهم ، لذا قمت بدعوة زميلي المتحمس الشاب إلى بيتي اسمه (محمود) وقد سررتي هذا استوالي استثمر لحرف الميم . لا بد أن لهذا معنى ما . مختار . محفوظ محمود

قلت له كلاماً هارماً كثيراً عن المسئولية وعن حاجة بعض الأسرار إلى

أن تظل مبهمة، ثم قلت إن لدي أمانة يجب أن يحملها معه ويحافظ عليها  
لكن ليأخذ الحذر لأنها تختلف عن جريدة الصباح إنه كتاب يستحق أن  
يعوت الملايين بسببه ..

كان ينظر لي في رعب عندما نهضت لأحضر الكتاب من آخر مخبأه  
أي من تحت مضدة الصالون الرحامية حيث قمت بتثبيته أسفلها  
بشريط لاصق ..

مددت يدي تحت المنضدة فلم أجده ! لقد غادر مكانه أو أحذه أحدهم  
" . كتاب (العقيدة السرية) الذي جاء من كتاب (ديران) سر أسرار رهبان  
انتبت لم يعد لدي " . ورحلت افتش عنه كالمسوع في كل ركن من البيت  
وفي النهاية سألني ابني المراهق عما ابحث عنه فقلت إنه كتب قال  
ضاحكاً

« ذلك الكتاب السخيف .. العقيدة السرية »

« هل .. هل قرأته »

وضع يده على رأسه وقال

« ليس لدي بال رائق لهذا الكلام العارغ . إن إنجليزيتي ألعن إنجليزية  
يمكن تحويلها .. ثم إن عمدي طبعة كاملة أنيقة منه . لا حاجة بي لقراءة  
هذه النسخة البالية »

(ر) نوبة صرع كادت تصيبني وهو يمد يده في درج مكتبه ويخرج  
لي كتاباً سميكاً براقاً على غلافه عنوان (العقيدة السرية) بقلم (هليليا  
بيتروفنا بلافاتسكي) وعلى الغلاف الأخير صورة تلك العصور  
الضخمة .. نظرت له في غيابة فقال:

« اشتراه صديق لي عبر شبكة الإنترنت . إنه كلام فارغ لكنه مسل لعد  
قراه وحسب أنه سيروق لي . والآن لدينا تحفيه في غرفة الصالون يا بابا »

كان عقلي يدور إذن اكتاب معروف وموجود ومتداول !.. كل هذا  
التكتم والسر الذي اصناني كل هذه الأعوام يباع الآن على شبكة الإنترنت  
دات شعور عابد الأصنام الذي يفاجأ بأن الصنم الذي كان يعبده يُباع  
على قارعة الطريق اشتر ثلاثة وخذ الرابع مجاناً احتفظ بالكوبون  
نكي تدخل السحب وتكسب (بلاي ستيشن) !

(هيلينا ميثروفا للافاتسكي) لم تكن سوى نصاب أجاد عمله،  
والنتيجة كتاب يتبادل المراهقون على سبيل الدعاية، بينما أنا قضيت  
حياتي مدعوراً أحسب أنني أعرف سر الأسرار  
وانفحرت أضحك أمام عيني انني وعيني د (محمود) أضحك . وما  
رلت أضحك حتى اليوم.

\*\*\*\*

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)  
^RAYAHEEN^

الموتى لا ينهضون



نعم الموتى لا يتعضون... تحدث عن أي شيء من فضلك، لكن لا تقص علي تلك القصص السخيفة عن الموتى الذين يفتحون عيونهم في طلام القبر يتحسسون الغبار من الداخل، ثم ينشبهون محالبيهم في التربة الهشة إلى أن يخرجوا السطح من ثم يعيشون مترحين في ضوء القمر.

إن الفكرة غير مقبولة ديمياً دعك من أنها سخيفة ألا ترى هذا معي؟

ولكن لماذا أقول هذا الكلام الآن؟...

لأنني تذكرت تلك القصة الرهيبة التي مررت بها يوماً عندما كنت أقمضي الصيف في قريتي بعد انتهاء امتحان الصف الثاني الإعدادي أمسية طالت مع أصدقائي امتلات بالمزاح والدعابات وبعض الفائف التبغ . كنا مراقبين فلم نر في الحياة إلا ضحكة عالية مدوية، وإن قطع علي نشوتي أنني تأخرت . إن عصب أبي ليست أداة للزينة لو كنت تفهم قصدي، وكان رحمه الله يضرب أولاً ثم يسمع الأعذار لأنه يؤمن أن المراقبين أوغاد يجب سلبهم أحياء..

هكذا فارقت الرفاق على موعد للقاء الغد ، ومضيت أجد السير عبر طرقات القرية المظلمة التي أحفظها كظهر يدي لو رأيتني لما عرفتني بذلك الجلباب الأبيض والخفين وتلك المشية الرشيقة الأقرب إلى الهرولة..

هناك طريقة مختصرة للعودة هي أن اجتاز المقابر . نعم ما الغرابة في هذا؟ القمر ليس بدمراً لكنه يجعل الرؤية ممكنة ثمة قصة قصيرة لإبراهيم المارني يحكي فيها كيف اضطرت في مراقبته للسير وسط المقابر بعد سهرة مع أصدقائه، فلم ير في ذلك بأساً، بل أنه لعب دور الشبح مع أحد عابري السبيل وكان رأيه هو ذات رأيي ليس من شيء كالمقابر أبعد عن اهتمام مراقبي سكران تفعمه الحياة .

لم أكن سكران مثله لكن الحياة كانت تقعمني بالفعل، وكانت عصا أبي أكثر واقعية وتخويفاً من هذه الأجساد المتحالة الراقدة تحت الصخور

هكذا رحت أشب بين الشواهد وبدأت اغني لأخفف من توترتي، ثم قررت أن أخرس لأن صوت الغناء كان غريباً مقلقاً، ثمة كلب برز لي ونبح لكنني القعته حجراً كل كلاب القرية كانت تكرهني وتخافني.. الحق إنني كنت شيطاناً..

توقفت جوار شجرة غليظة التقط أنفاسي.. وفجأة رأيت ما جعل الشعر ينتصب في مؤخرة عني

لقد كان حوش (أبو عيسى) يفتح الباب الحديدي يفتح بمطء.. وكل باب حديدي له صرير.. ثم أرى ذلك الشيء الملفوف في القماش يخرج منه.. يمشي متعثراً وهو يعد يديه أمامه على طريقة الخواجة (كارلوف) في فيلم المومياء.. من بعدها صار كل الموتى العائدين يمشون بالطريقة ذاتها وكانهم رأوا الفيلم..

رأيت هذا الشيء يبتعد.. وفجأة شعرت بشيء يتحرك عند قدمي نظرت إلى مصدر الصوت فرأيت يدين تشقان الغبار في قبر منخفض المستوى عن سطح الأرض.. ورأيت شيئاً يخرج في الظلام متحاملاً ثم ينهض بصعوبة على قدميه..

نظرت ورائي فرأيت مدفن (القطاطري) يفتح.. ورأيت شيئاً مشابهاً يخرج.. لو لم تحدمني عيادي فلا بد أن هناك نصف دسته من هذه الأشياء تجول من حولي الآن..

كنت قد وصلت لحالة من الهلع تكفي لقتلي لو كان قلبي أوهن من هذا، لكن الآلة العتية العفية آنذاك ظلت تضخ الدم في صدري بلا توقف.. وسيطرت علي فكرة واحدة يجب أن أقر من هنا.. كانت مدافن قريتنا ترتفع قليلاً عن سطح الأرض مطلة على حقل محروث فوثبت وثبة واحدة ألقت بي وسط الأوحال.. وبوثة أخرى رحت أركض

وانزلق أركض وأقف أركض وألهث حتى ابتعدت ميلاً عن هذا المكان للفزع ..

وفي الدار تلفيت التويمخ الضروري لكن العصا لم تؤد عملها، وكان شحوبي مقلقاً لهم لكني لم أتكلم لسبب ما شعرت بأن هذه المسوخ أخذت علي عهد الصمت، فلو تكلمت لحاءت لي ..

وقضيت الليل كله أتوقع أن أفتح عيني لأجدها تحيط بي في غرفتي الصيقة ذات السقف المدعم بألواح الخشب .. أنت تكلمت ستدفع الثمن لم أتكلم .. والله العظيم لم أتكلم ..

بدا لي كل هذا وهماً في الصباح، ورحت أمارس حياتي العادية. على أنني بعد أسبوع سمعت أقاويل عن (بسم الله الرحمن الرحيم) .. وهذا هو معادل (الذي لا اسم له) في قصص لا فكرافت .. أي أنهم يتحدثون عن عقاريت هناك أشياء ما تعشي في القرية البعض رأهم عند الجسر . البعض رأهم عند المطحن يبدو أنهم أقرب إلى أشخاص يمشون وقد التفتوا بالأكفان هناك من رأهم من بعيد في ضوء القمر يلتفون حول الكتاب . لا احد يجسر على الاقتراب منهم مهما بلغ من شجاعة . حتى الحفير ببندقيته الثقيلة وشاربيه الصالحين مرتعاً للصقور لم يستطع إلا أن يفر ليتوارى بين دراعي زوجته البدينة الكلام يكثر ويكثر النسوة يخرجن من ديارهن عند ميلاد الليل ويضعن رغيفاً من الخبز وبعض الملح على عتبة الدار ...

هناك نوع من التوتر العام مع سؤال لا يجسر أحد على التفوه به ماذا لو كانت هذه الأشياء هي الموتى أنفسهم ؟ مستحيل لكن هات تفسيراً أفضل .. ماذا لو ... ؟

«النتيجة جاءت من البندر ..»

وهكذا انتهت إجازتي عند هذا الحد لاني رسبت في مادتين لعنه

انتقام الأشباح مني لأنني عرفت أكثر من اللازم .. وعذب المدينة مشيعاً باللعاب، ونسيت كل شيء عن هذه القصة وسط متاعبي الخاصة متاعب شهر سبتمبر الذي عرفت لماذا يطلقون عليه (أيلول الأسود).

كبرت . وتعلمت أن أتعامل مع الأمور بعقلية نقدية وفي ضوء هذه العقلية أدركت أنني كنت أحرف القرية كلها تخرف ربما خرفت القرية فتسلل الخرف إلى ذكرياتي .. أي أنني كونت ذكريات لم تكن .. ورغم كل شيء يصعب أن نتيقن من حدث وقع منذ أربعين عاماً

قرأت عن الرومبي في جزر الهند الغربية. فبدأ لي الأمر مألوفاً لفظة (زومبي) في حد ذاتها مشتقة من (نزامبي) وهي كائن يشبه الأفعى من آلهة غرب أفريقية الوثنية، على أن لفظة زومبي دخلت عدة لغات غربية للدلالة على الشخص هادق الإرادة والشخصية الذي ياتمر بأمر شخص آخر حسب المعتقد التاهيتي يكون الزومبي أناساً فقدوا وعيهم وذاكرتهم نتيجة لأن ساحراً سرق هذه الأشياء .. أحياناً يحول الساحر فتاة أرادها وامتنعت عنه إلى زومبي لتكون تحت أمره للأبد يقال أيضاً أنه يجعلها تمتلح مسحوقاً به سم عصبي مستخرج من نوع من السمك وهذا يخدر الضحية لتصير في حالة أقرب إلى الموت، ويتم دفنها في المقابر من ثم يسرق الساحر الجسد ويعيد تحريكه . يقال كذلك إن الساحر يسرق أرواح من عاشوا لأسباب طبيعية . ذلك بأن يخطف الروح فور مغادرتها الجسد فيظل الجسد خالياً .. ما يفعله الساحر الشرير هو إنه يركب حصانه بالمقلوب ويتجه إلى بيت الضحية المحتضرة فيمص روحها عبر ثقب الباب، ويضعها في زحاجة ويسدها، ثم يذهب للقبر بعد الدفن ويجعل الجثة تشم الرجاجة فتتقن هكذا صارت ملكاً له تأتمر بأمره للأبد وتمشي وراءه هنا لا بد أن يمر أمام بيتها ليتأكد من أنها لم تعد تذكره . أهل هايتي يسمعون

الرومبي عندما يمشون ليلاً ويضعون امام بيوتهم أرغفة الخبز والملح على سبيل التقية كي لا يتعرضوا للأذى ..

(وليام سبروك) في كتابه (جزيرة السحر) عام 1936 وصف عيون الرومبي الجامدة ووجوههم الحجرية المفزعة . حكى كذلك عن خطأ جعل الزومبيين يأكلون بسكويًا مملحًا فافاقوا من عبوديتهم وعادوا للقبر ليتحولوا إلى عظام نخرة . إن هذه هي الحرية الحقيقية بالنسبة لميت . تحدث عنهم كذلك (فرانسيس هكسلي) عام 959 .. قال إنهم كانوا يفيقون بعد شرب الماء والملح .

كانت هناك دراسات علمية رصينة على ثلاثة من هؤلاء الزومبي وجدوا أن أحدهم يعاني السكيزوفرينيا .. نوع خاص منها يجعل المرء يتصرف كآلة . أحدهم كان مصابًا بخلل في دورة المخ . أما الثالث فقد أودى الكحول الذي تعاطته أمه أثناء الحمل بعقله . عندما يجول شخص بهذه الحالة يسهل عليك أن تتصور أنه زومبي .. بالنسبة لعلماء النفس والمجتمع يعتبر الزومبي موجودًا فعلاً . لكن هؤلاء العلماء يتحدثون عن الخواء الداخلي للشخص .. هذا شخص يتلقى المؤثرات الحسية جيدًا لكنه غير قادر على استيعابها . فالسلوك قد يوجد ملاوعي والوعي قد يوجد بلا سلوك

بدأت لي القصة مألوفة . لماذا كانت مساء قريتي يضعن الحدر والملح خارج ديارهن ؟ أتراهن تلقين الرسالة بالسليقة ؟ ..

ثم ماذا ؟ . هل أصدق هذا الهراء عن الساحر الذي يركب حصانه بالقلوب ؟ . ولو صدقته فهل أصدق أن يحدث هذا في الريف المصري ؟ ... مستحيل ..

عدت لقريتي بعد أعوام وقد صرت كهلاً أشيب الشعر والروح أمضيت عدة أيام هناك استرجع ذكريات الصبا وبحث عن رفاقي الذين ظلوا هناك .. وخطر لي على سبيل الدعابة أن أسأل كبار السن



عن تلك انقصة الرهبة التي كانت حديث المجالس في ذلك الوقت، لكني -  
لشدة العجب - لم أجد من يتكرها .

هكذا عدلت عن السؤال حتى لا يظنوا بعقلي الظنون .. وهذا من  
حقهم لأنني بدأت أشك بدوري في قدراتي العقلية .. يبدو أنني كنت  
محبولاً فلا أندعش لكوني رسنت في هاتين في ذلك العام

احترت ساعة الغروب لأزور المقابر بعيداً عن عيون الفضوليين،  
هرأيت معيني ان حوش (أبو عيسى) ومدفن (القطاطري) لهما بابان  
حديديان أغلقا بإحكام بالجنزير والقفل .. لو صدقنا وجود رومبي  
فكيف صدق أنه يستطيع فتح القفل من دون مفتاح ؟

وقفت أتلو الفاتحة لموتانا وتحيات للأصراف لولا أن رأيت ما  
أنعش ذاكرتي ..

هناك تلك الغرفة الصغيرة جوار باب المقابر . دنوت منها فوجدت  
ذلك العجوز الطيب الذي حسبته مات من زمن . عم (بسيوني)  
الخانوتي الذي يعيش في المقابر والذي كان يطاردنا بغصن شجرة  
كلما حاولنا ان نلعب الكرة هنا ..

دبوت منه . وركعت على ركبتي أمامه . كان يعد الشاي وقد هرم  
جداً .. حاجبان كثان أشيبان يغطيان عينيه بالكامل ويوشكان على لقاء  
شارببه الكث . (متوشالح) هذا هو الاسم الذي تذكرته في هذه  
اللحظة . يملأ كفه بالشاي ويسكبه في البراد الأزرق القذر، ثم يضع  
السكر بصعوبة في كوب صغير . استغرق بضع دقائق حتى يدرك  
وجودي لكنه لم يرمي على الأرجح

«السلام عليكم يا حاج»

«وعليكم السلام .. من أنت ؟»

هذا الرجل يصعب ان يتذكرك ما لم تذكر له موتاك . بالنسبة له كل

الناس موتى مع وقف التنفيذ . بدأت اثرثر معه ثم سألته عن تلك  
القصة القديمة التي تتيرر عبي منذ أربعين عاماً

لم ينكر شيئاً من ذلك الموتى يغادرون القبور ؟، مستحيل يا  
دكتور .. لو كان المتكلم مجبوراً فليكن المستمع عاقلاً

وناولني كوب الشاي فردته في رفق لأسباب واضحة، ثم  
أخرجت بعض المال ودسسته في يده ..

الآن أنا اعرف يقيناً انني كنت مخرباً على أكبر نطاق . معلومة  
جديدة عن نفسي أصيغها للأشياء التي ما رلت أكتشفها بعد هذه  
الأعوام ..

بعد يومين كنت على وشك الرحيل عندما توفي أحدهم يبدو أنه  
زوج ابنة ابن عم خال والدتي أو شيء من هذا القبيل . المهم إنهم  
أمروني بالذهاب وإلا فالويل لي .. وهكذا خرجت في تلك الجبازة  
البطيئة المردحة وسط الحقول الترايبية في طقس شديد الحرارة

وهناك عند المقابر وقفت أجفف عرقي المعجون بالغيار، وأرقب ذلك  
الشاب مقتول العضلات يضع الجثة في انقبر، ثم يهيل عليها التراب،  
ويبلل الأسمنت ويسد الفتحة التي صنعها .

سألت أحد الواقفين .

«هو ابن الحاج بسميوني على ما أظن ؟»

«بسميوني من ؟»

«الحاتوتي إن صحته لا تسمح له بأي شيء »

نظر لواحد حوارته وتنادى بضع كلمات ثم قال لي وهو يسعل من  
فعل الغبار:

«كان هناك حاتوتي اسمه بسميوني لكنه مات منذ عشرين عاماً



إنه مدقون هنا .. هذا الفتى يدعى (جابر) ..

ابتلعت ريتي وأثرت الصمت ...

الموتى لا ينهضون تحدث عن أى شيء من فضلك، لكن لا تقص  
علي تلك القصص السخيفة عن الموتى الذين يفتحون عيونهم في ظلام  
القبر .. إن الفكرة سخيفة .. ألا ترى هذا معي ؟

إن هذه المقبرة شريفة إنها تحدك وتعلأ عالمك بالرؤى لقد  
حدعت القرية كلها منذ أربعين عاماً وماهي دي تحدعي أمس . ربما  
كانت تعلأ عالمك بالهلاوس . ربما تعلقه بالأشباح بالشياطين  
لكن الموتى لا ينهضون يا صديقي .. أعرف هذا يقيناً كما تعرفه أنت  
.. الموتى لا ينهضون .

\*\*\*\*\*



www.liilas.com/vb3  
^RAYAHEEN^

جاثوم

سألني محدثي في البار الصغير

هل تؤمن بالجاثوم ؟

قلت إنني لا أؤمن به .. لكنني لم أعط نفسي الفرصة كي أقرر . لربما  
لو فكرت في الأمر ملياً لبدا لي منطقياً

\*\*\*\*

في البداية أجد نفسي مضطراً لأن أشرح لك كيف حدث هذا كله لا  
علاقة لي بأي بار إلا في الأعلام العربية، لكن هذه القصة حدثت عندما  
كنت أدرس في عاصمة الضباب، وخطر لي ذات ليلة أن أرتد منطقة  
(إيست إند) تلك المنطقة البائسة التي تقع شمال نهر (التيمر) حيث  
تسكن الطبقة العاملة المظلمة .. ذات الطبقة البائسة التي وصفها  
(ديكنز) في قصصه .. نفس المباني الفكتورية التي تهاوى أكثرها في  
عارات العاريين أثناء الحرب العالمية الثانية .

هنا الناس الذين ينطقون Today هكذا (تو هاي) وينطقون Sir  
(ساير) ولا ينطقون حرف الهاء أبداً . ذات اللهجة المضحكة التي سخر  
مها (شو) في مسرحية (سيدتي الجميلة) .

أقول إنني رحت أجوب هذه الشوارع، ثم قررت العودة هنا فطبت  
لحقيقة مربعة هي أنني ضللت الطريق .. ضللت الطريق في المساء تحت  
الأمطار حيث تكفلت العواصف والسيول بطرد كل كائن حي يمكن أن  
تهتدي به لا توجد سيارات أجرة .. وكل الشوارع تشابه بشكل مزعج

امضيت بعض الوقت أتلقى السيول وأحاول إقناع نفسي بأن الأمور  
ليست بهذا السوء، حتى بدأ الذعر والخوف والجوع يدبون في روحي،  
وقدرت أنهم سيجدونني حية متجمدة في الصباح على الأرجح

هنا لمحت تلك الحانة التي تحمل شعاراً متفائلاً (حانة السادة)  
فأسرعت نحوها . دفعت الباب الحفاشي لأجد نفسي وسط قاعة داكنة  
تناثر فيها أربعة أو خمسة أشخاص على المقاعد يبدو أنهم دخلوا حالة  
السكر التي تجعل كلاً منهم لا يعي أنه هنا . لكن حانة أو باراً ، مهم  
أنها مكان ذو أربعة جدران وفيه بشر ..



مشيت إلى حيث البارمان البريصاني الملول، وطلبت قهوة مركرة . هز رأسه ثم أشار لي إلى منضدة لأجلس عليها ..

جلست وأنا ارتحف كديك كمبيل .. نرعت معطفي ورحت أحاول تجفيف عويناتي أخيراً جاءت القهوة فرحت أرشفها في يدي تترجف، وسألت الساقى عن طريقة الخروج من هذه المتاهة مراح يصف لي الاتجاه بتلك اللهجة التي لم أفهم منها حرفاً .

هزرت رأسي موافقاً وجلست أسطر . فلا أعرف متى جاء ذلك الرجل وجلس إلى مائدتي حاملاً كأسه ورجاجته . لست مستجداً هنا كي لا أعرف طباع السكارى . إنهم يفرغون كل ما بداخلهم على العالم الخارجي . يفرغون ما في بطونهم من طعام وما في قلوبهم من أسرار، وقد قدرت أن هذا الرجل جاء ليفرغ روحه على ثيابي وقد أقبعته الخمر أنني أخوه الروحي ..

لم يكذب ظني . إذ سألني أولاً عما إذا كنت باكستانياً فقلت إنني مصري ..

« بلد جميل . لابد أنك تزور (تاج محل) كل يوم . »

هزرت رأسي أن نعم (تاج محل) ليس في مصر ولا باكستان . لكن لو صححت المعلومة فلن تبقى في ذهني ثانية أخرى . كان رث الثياب يعاني للمقاة بشكل واضح . وكان في الأربعين من عمره نصف أصلع نصف متح نصف بدين .. قال لي :

« هل تعتقد أن زوجتي تخونني ؟ »

فقلت إنني لا اعتقد هذا نظراً لأخلاق السيدة المتينة . قال

« أما كذلك لا أعتقد هذا . أنا ادعى (جون برادفورد) وأقيم في الشارع الحادي لهذا لبارقرب المقدرة . أنا أعمل في ودييات ليلية . لي طفلان وزوجة لطيفة (ليز) زوجة طيبة لطيفة . لكنها تخرب . ادعى أو كذلك أنها تخرب ... »

ثم بدأ يحكي لي القصة التي لا أريد أن أسمعها .. منذ حوالي الشهر

يعود للبيت صباحاً فتسأله زوجته عن سبب قضائه الليل في الدار بدلاً من العمل ليلة وليلتان ثم بدأ يقلق . لقد أقسم لها أنه لم يقادر العمل الليلي لكنها كانت مصرة على أنه جاء في الليل ونام في فراشه بشكل معتاد ، على أنها حينما تصحو بهاراً لا تحده حوارها

الملاحظ أنها كانت تصحو على كابوس في كل مرة أبيت فيها حوارها

أصابه القلق لربما كان هناك لص اعتاد التسسل للدار عندما لا يوجد رجلها فيها وقرر صاحبي أن يعدل موعد عمله الليلي هكذا بات ليلة كاملة في البيت هي الثالثة صباحاً شعر بحاجة لدخول الحمام فغادر الفراش . لا يعرف كيف ولا متى غلبه النعاس في الحمام فنام جالساً على المرحاض . على أنه عندما صحا وعاد للفراش وجده دافئاً برغم أنه تركه منذ ساعة . سألته زوجته بصوت مرهق عن سبب استبدال منامته لقد كان ملئاً بها ب حوارها من دقيقة واحدة لكن بمذمة أخرى غير التي دخل بها الفراش وأضافت أنها صحت على كابوس مريع .

جن جنونه وفتش كل مكان في البيت فلم يجد شيئاً . الزوجة لم تكن قلقة لأنها تعرف زوجها ولن تخفي التعرف عليه . لقد كان هو الذي نام حوارها . لا شك في هذا .

أصابه الهلع ذهب لطبيب شركته يسأله عما إذا كان من الممكن أن يجول ليلاً هل يذهب إلى عمله الليلي ثم يجول في شوارع المدينة حتى يعود لفراشه وينام فيه . هل نام في تلك الليلة في الحمام . ثم غادره دون أن يدرك ذلك ، وأغفى في فراشه قليلاً ثم بهض وعاد للحمام ثانية

قال لي الطبيب الذي لم يفهم حرفاً من نظرياتي إن مرض الحواس الليلي ليس بهذا التعقيد . قل لي إنني على الأرجح واهم أو زوجتي واهمة . لربما كان عليها أن تخضع لفحص نفسي .

لكن القصة تكررت في كل ليلة يدخل صاحبها الحمام ليغلبه النعاس بالداخل . بات مرة دخل عرفة الطفلي ليظمتن على نومهما فغلبه النعاس هناك ونام . وعندما عاد للفراش أخبرته زوجته أنه كان معها طيلة الوقت

أصابه الجنون . كان متأكدًا من أنها تعاقبه بشكل ما ..

«في هذا الوقت بدأت الصحف تكتب عن المخبول الذي يسرق المقبرة للوجودة خلف دارنا . قيل إنه غول لأنه يسرق بعض قطع اللحم من الجثث . لحم الوجه واليدين ثم يترك الجثة في حالها هذا عريب ما أعرفه أن هناك طريقتين للتعامل مع الجثث سرقتهما كاملة أو تركها كاملة لكن الصحف وجدت أن الخبر مثير يرفع التوزيع، وخاصة نظرية الغول هذه . إن الكلام عن أكلة لحم البشر ممتع دائمًا ويحذب القراء»

وجرع جرعة كبيرة من الزجاجة مباشرة وتجشأ

لم يربط الرجل بين قصته وتلك القصة الرهيبة .. لكنه قابل قس الحي وحكى له كل شيء .. الأب (جوز) كان رجلاً مثقفًا واسع الخيال لذا بدأ يفكر في الأمر بشكل مختلف . سأل عما إذا كان قد سمع عن الجاثوم Incubus . يقولون إن الجاثوم تعني لغويًا الكابوس أو الشخص الثقيل كالكابوس كلمة incubus اشتقاق لاتيني من معنى (الثقل) ولها ارتباط شديد بإحساس الثقل على الصدر الملازم للكوابيس .. يقول التراث الكنسي الغربي إن الجاثوم كان ملاكًا طرد من الفردوس بسبب شهوانيته . وبما أن الجاثوم كائن غير مادي فإن الأسطورة تفترض أنه يحيي جثة آدمية أو يغطي نفسه بلحم بشري يسرقه من مقبرة قريبة ويزور النساء النائمات ليمنهن الكوابيس أي أنه يتدثر باللحم البشري كما تتدثر أنت بعبادة في ليلة بارد . أحيانًا يتخذ شكل رجل معروف للمرأة .. ربما زوجها . كانوا ينصهون المرأة بأن العلامة التي تفرق الجاثوم عن الشخص الحقيقي الذي تعرفه هي عرق كل سكان البيت في بعاس عميق لحظة ظهور الجاثوم.

أضاف الرجل وهو يجرع المزيد

«هكذا تجد أن القصة صارت أكثر تعقيدًا .. لكنها تفسر نفسها هذا الجاثوم يتسلل إلى المقبرة في كل ليلة فيسرق من اللحم البشري ما يكفي ليغطي نفسه، فيصير نسخة مني ثم يتسلل إلى داري .. لهذا أغفو كلما جاء ولهذا لم يستصح شيء أن يوقظ أطفالي .. إنها العلامة التي تعرف بها المرأة أن الذي أمامها جاثوم ولهذا تصحو (ليز) غارقة في العرق بسبب

كابوس زارها، لكن القصة غريبة جداً لهذا لا تشك في شيء - تكتفي  
بالشك في قوى العقلية لا أكثر -

أما ما أضافه القس فهو أن طقوس طرد الأرواح لا تعمل مع الجاثوم  
كما ينبغي - باختصار لا توجد طريقة للخلاص منه

ثم نظر لي (برادفورد) بعينيه الحمراءوين وقال

«ما رأيك؟»

فكرت قليلاً في هذه القصة الرهيبة، وقررت أنها تحتاج لليقين على  
جبهتين الرجل وروجه - ربما هو يخرب بفعل الخمر وربما زوجته  
تكذب عليه وربما الاحتمالان قائمان - لكن في جميع الحالات التفسير  
قريب وسهل..

قلت له

«أولاً سهل أن تعرف من أين جاءت قصة الجاثوم هذه.. بعد وجبة  
ثقيلة يتقلب الذئب على ظهره، فيرتفع الحجاب الحاجز وهكذا يجد عسراً  
في التنفس.. كان هناك من يجثم على صدره، وفي الوقت ذاته يقل الدم  
الذاهب للمخ فتورده الكوابيس..»

ثم أفرغت ما بقي من قهوتي في جوفي وقلت

«أيضاً هناك تفسير الكنت - إن الكنت يتحد صورياً عربية مثلاً في وطني..»

«تعني باكستان؟»

«أعني أي بلد يروق لك - في وطني تحلم فتيات كثيرات بأن عفريتاً من  
الجن متزوج منهن - بنفس الشيء يحدث مع الرجال الذين يزعمون أنهم  
متزوجون من أنة ملك الجان - إن تفسير هذا بالكنت سهل وقريب للأذهان -»

سألني وهو يضع الزجاجاة على المائدة.

«ليكن الجاثوم أو الكنت - بم شخصني؟»

«الطبيب النفسي - أنت وروحك - وأرجو أن تكون متمتعاً بالتأمين  
الصحي..»

هرش رأسه قليلاً كأنما لم يعجبه هذا التفسير، ثم بهص بلا كلمة وداع متحهاً لعب الحانة . وتوارى وسط الطلام المطير بالخارج

ليس هذا أعرب ما رأيت من هؤلاء السكارى . لكن قصته لا بأس بها ويمكن أن اكتبها يوماً ما . إن فيها شيئاً وحشياً ساحراً . له رائحة محاكم التعيش ومطرفة الساحرات وقداس الشيطان .

لكن أين الساقى ؟..

نظرت حولي فلم أر إلا ارجال الجالسين على مباحدهم وقد ناموا جميعاً . إنها الواحدة صباحاً فلا الوهم كثيرًا . أنا نفسي أحلم بفراشي كأنه أرض الميعاد . نهضت قاصداً الدار لأداني الساقى كي يأخذ حسابه . دهشت عندما نوت لأراه راقداً على الأرض وقد توسد ذراعه . حسبته قد مات أو فقد الوعي . ثم ناديته بصوت أعلى فنهض مدعوراً

«كم الساعة الآن ؟»

قلت له إنها الواحدة صباحاً فخرج إلى النيام بهزم هزاً غير رفيع ، وهو يتساءل عما دهاهم كي يناموا جميعاً في الوقت ذاته . من الواضح أنني كنت الشخص الوحيد الذي احتفظ بوعيه في الحانة كلها . لا بد أن يرحلوا كي يفتق المكان . لا يعرف سر هذا الإرهاق الذي يشعر به . فلربما ألفادته العوبة لداره حالاً .

أخرجت ورقة وقلف وانتظرت حتى يفرغ من إيقاظهم كي يرسم لي طريقاً كروكياً للخروج من (إيست إند) ..

سمعته يناديهم واحداً واحداً إلى أن سمعته يوقظ أحدهم صائحاً

«هلم يا (برادفورد) . لقد تأخر الوقت . إن (ليز) ستوبخك بشدة .»

نظرت بسرعة إلى (برادفورد) هذا فوجدت رجلاً يفتح عينيه من سمات عميق . لقد كان يجلس على هذه المنضدة في ركن القاعة منذ حفت أنا لكنني لم ألاحظ وجهه إلا الآن . كان رث الثياب يعاني العاقة بشكل واضح . في الأربعين من عمره نصف أصلع نصف ملتج نصف يدين





www.liilas.com/vb3  
^RAYAHEEN^

استبصار

## إسكندرية .. وليلة رأس السنة

الليل والشتاء البارد وذلك الشعور العام بالثجج لقد رحل  
المصطافون منذ ثلاثة أشهر تاركين لها تلك الشعور المص الرقيق  
بالوحشة إسكندرية تشعر به وأنا أشعر به وبحر نحاول أن نخفف  
عن بعضنا تلك اللحظات ..

كنت حالسًا في ذلك الكازينو مع صديق لي هكذا اعتدنا أن نمضي  
أكثر وقتنا هنا، وجاء الساقى الودود فتبادل بعض عبارات المزاح معنا  
كنت أرقب الكورنيش البادي من بعيد وأسمع الموسيقى التي تعرف على  
أوتار روح أو يباط قلب رغبة عارمة هي البكاء تستبد بك ولا تعرف لها  
سببًا . الألم الشخصي العبقري الذي تكفي لمسة كي تجعله ينفجر،  
وانفجاره يبطل المفاديل كلها ..

كان الكازينو يقدم بعض العقرات الرديئة التي صاعف في بؤسها عدم  
وجود جمهور لهذا لم يكن أي الطرفين متحمسًا لا العيان ولا المتلقي  
لكن الفقرة التالية كانت جميلة:

«الآن مع قارئ الأفكار العجيب . الدكتور (موروو) »

كان كل هذا موحياً بالشفقة . الموسيقى السوقية التي تصاحب  
العجالة، وصوت المذيع نفسه القادم من مولد (أبو طاقية)، دعك من اسم  
(مورو) نفسه لم يجد الرجل اسمًا سوى هذا الاسم المسروق من رواية  
(ه.ج. ويلز) الشهيرة طبعًا هو لم يقرأ الرواية لكن رأى الفيلم .

أما عن الدكتور (مورو) هذا الذي يقف وسط الأضواء الراقصة فرجل  
أسمر اللون يلبس سترة لامعة من الطراز الذي كان (ثلاثي أضواء  
المسرح) يقدمون به استكتشاتهم وعلى رأسه منشعة حمام عابية  
المفترض أنها عمامة ..



فقط لاحظت أن عينيّ شيطانيّان بكل ما في الكلمة من معان  
يمشي الدكتور وسط الناس . ليس هناك الكثير منهم . لكنه مقترب  
من سيدة متأنقة تحلس مع زوجها . يقف أمامهما وبعينيه للتاريخين  
يقول لها

«هل معك أي شيء يمكن أن المسه ؟» منديل أو قلم أو أي شيء ؟»  
كانت امرأة مذعورة . لذا بعدت طلبه بسرعة كي تتخلص منه . تناولته  
منديلاً حريراً فامسك به ثم أعص عينيه وقال  
«مدام (شيرين السعاري) ربة بيت . (ستانلي) طفلان هل هذا  
صحيح ؟»

ضحكت امرأة في مريخ من الدهول والانبساط . . وصفقت فتعالى  
التصفيق . .

مار علي صاحبي يهمس :

«متفقان أليس كذلك ؟ أعني أنها كومبارس .»

قلت في عدم يقين

«ربما . . لكن حاسة القياس النفسي Psychometry حاسة معترف بها  
إنها الحاسة التي تتيح لك أن تلمس الشيء فتعرف معلومات عنه وعن  
صاحبه . قد يكون هذا الرجل موهوباً أو نصائباً . .»

دنا الرجل من مجلسي وصاحبي . ووقف أمامنا . قال لصاحبي

«هل لديك شيء من متعلقاتك ؟»

قبل أن يمد صاحبي يده أخرجت أنا حافطتي وتناولتها للرجل لكنه  
اعادها لي في اشعثزاز كأنها ملوثة وكرر طلبه لصاحبي

«شيء من متعلقاتك ..»

قلت في عصبية:

«عظنت أنه لا فارق عندك بين واحد وآخر ..»

لم يرد وتناول عويصات صاحبي التي أخرجها من جيبه وأغمض عينيه وقال

«(مروان محمد).. من الجيرة أربعون عامًا، و ..»

أصابها الذهول معلومات دقيقة فعلاً ومن العسير أن نجد مفراً من هذه الحقيقة نحن فاران في مدينة الآن لقد صار التشكك مستحيلاً..

ثم اغمض عينيه أكثر مضت دقيقة على ذلك، ثم فتحهما ونظر لصاحبي تلك النظرة النارية وقال وهو يمسك بيده

«خذ الحذر!... أنت في خطر يا هم»

حسنًا نفسيًا في توتر .. ما معنى الجزء الأخير من كلامه ؟

لم يفسر فقط انطلق يقرأ طالع واحد آخر ، ومرت الأمسية ..

اليوم - بعد خمسة أشهر - لا أعرف لماذا قرر صاحبي أن يراجع إلى الجيزة الليلة بالذات نصحته بأن يقضي الليل معي لكنه كان مصرًا قال إن غدا الجمعة وهو لا يتخيل أن يصحو يوم الجمعة في غير مراحه . يحلق ويستحم ثم يفطر ويذهب لصلاة الجمعة ، هذه طقوس لا يستطيع تغييرها ..

الليل والظلام والقيادة بدهن أرمقه السهر كنت قلقًا عليه بحق كان يوسعي أن أجبره على البقاء لكنني تكاسلت عن ذلك

خمسة أشهر مرت وذلك السؤال يعذبني وبرهقي خمسة أشهر

وأنا أتساءل عما حدث في تلك الليلة لماذا لم اصدق ما سمعته ؟

واليوم أعود إلى الاسكندرية . أبذل ذات الكاريفو . أنا بطبعي لا أثق في موضوع العرايين هذا . العراف الحقيقي لن يؤدي فقرات أمام جمهور ليكسب مالا . اعراف الحقيقي يمكنه أن يكون أقوى شخص في العالم لو أراد ..

سألت الساقى المستحد عن يدعى د. (مورو) فلم يعرفه ، ثم طلب رأي من هو أقدم منه الذي قدمني إلى الكابت (خميس) . وكانت هذه رتبة من رتب السقة تختلف عن معناها الرياضي المعروف . كان الكابت (خميس) رجلاً نوبياً أشيب الشعر معتداً بنفسه . قال لي إن د. (مورو) يعمل في مكان آخر .. ووصله لي ..

هكذا ذهبت إلى هناك ورأيت . رأيت مقرته ذاتها وإن كان يقوم هذه المرة بقراءة أفكار الشخص إذا أمسك بيده . قرأ أفكار سيدة تجلس وحدها إلى منضدة فصاحت انبهاراً ..

بعد العرض بقدت أحد السقة مالا وطلبت منه أن يقودني إلى تلك الدكتور (مورو) . اقتادني عبر مرات ضيقة كريهة الرائحة إلى غرفة ضيقة في أفقر حال . لم تكن تشبه في شيء تلك الكواليس التي نراها في السينما . الدكتور (مورو) نفسه كان خارجاً من الغرفة وهو يعرج بشكل ملحوظ . وقد نزع ثيابه فبدأ اقرب إلى عامل فقير بثيابه الرثة وشعره الأشيب . فقط طلت عيانه ناريتين ثاقبتين . كان يحمل حقيبة من القماش فيها أدواته وثيابه وفي اليد الأخرى منديلاً عملاقاً يبدو أنه يلف بقايا طعام . وأصبح انه بار أجره من بقايا (المرات) والأطعمة وكان يتأهب للانصراف عندما رأيته ..

قال إنه متعجل لأنه يريد الانصراف . فطلبت منه في إلحاح أن يكلمني لنصف ساعة لا أريد إلا نصف ساعة . سوف أدعوه إلى العشاء . هناك





كبابجي قريب لا يأمن به ..

لعت عيذاه وامتلع ريقه العراف العظيم جائع وقد تداعت كسريائه  
عندما تكلم عن الكباب

وهكذا نحن نجلس في ذلك المطعم أمامي طبق به بعض قطع اللحم  
لكني فقدت شهيتي ، بينما هو يفتك بطبقه فنكًا هكذا قربت منه طبعي  
ليجهز عليه وسألته

«منذ أشهر قرأت طالع صاحب لي وقلت إنه في خطر داهم  
لديك تفسير ؟»

قال وهو يلوك الطعام

«لا أذكر الواقعة لكن هذا يحدث كثيرًا جدًا لا أحد يصدق كلامي إلا  
بعد فوات الأوان ..»

«ما الذي تراه بالصبيط ويقتنعك بوجود خطر ؟»

قال في شرود وعياه الناريتان ترمقاني

«صدقني أنا لا أعرف كنت موظفًا في بداية حياتي ثم شعرت بأن  
ذلك الشيء أقوى مني وأني أريد أن تخرج هذه الموهبة للعالم ، إن لدي  
حزمة كاملة من المواهب التي لم أسمع أنها اجتمعت عند شخص  
التقمص العاطفي empathy أي أنني أستطيع أن أشعر بما تشعر به  
الحدس precognition أي رؤية ما سيحدث في المستقبل الاستبصار  
clairvoyance أي رؤية أشياء غير موجودة أمامي دعك من القدرة على  
قراءة الأفكار والتخاطر telepathy في البداية أصابني الذعر وحسنت  
أنني موشك على الجنون ، ثم قرأت قصة سيدنا (عمر بن الخطاب) عندما  
كان يخطب على المنبر فرأى معين الحيال قائده في نهاوند (سارية بن  
زئيم) يوشك على الوقوع في فخ بصره الكفار هكذا صاح وسط

الخطبة يا سارية .. للحيل .. سمعه (سارية) في العراق وفهم أن عليه أن يحتمي بالجبل كي يتجنب الهجوم هذه القصة تحكي عن تحاطر واستنصار معاً وهي قصة موثقة لم يشك فيها أي مؤرخ ..

قلت لي دهشة

«لا تؤاخذني اعتقادي أن هذه المواهب تجلب الثراء لصاحبها .. لكن حالك .. لا تؤاخذني ..»

قال ببساطة.

«هذه المواهب لا تطيعني دوماً .. أحياناً تتخلى عني لهذا أعمل في مكان إلى أن يتكرر فشلي فأسطرد وأبحث عن مكان آخر . الآن ليس توسعي معرفة ما تفكر فيه ربما أستطيع هذا بعد يوم أو يومين إن الموهبة التي لا تأتي حسب الطلب لا تخدم صاحبها ..»

ثم أبرز ساقه من تحت المنضدة وقال :

«هذا دليل على كلامي حادث سيارة مروع منذ أشهر . فلو كانت موهبتي تطيعني دائماً لما ركبت تلك السيارة اللعينة . لقد كنت أموت في المستشفى ..»

كلام منطقي ولا شك . لا يمكن أن يثري عارف الكمان الذي لا يعرف في أية لينة يجيد العزف وفي أية ليلة يعزف سألته

«في تلك الليلة رفضت بشدة أن تقرأ أفكاري فلماذا ؟»

«لا أذكر . لكن لاند أنني شعرت وقتها بأنك متشكك . المتشككون أسوأ من يمكن قراءة أفكارهم لأن موجات أدمغتهم تضر عملي ..»

ثم راح يفتزع آخر بقايا اللحم من الريشة التي أمامه . لا بد أنه يتعشى لو كان لسانه خشباً كالعظم ليتزغ المزيد ..

فجأة مد يده إلى الملعقة التي أمسك بها . لمسها ونظر لي بعينه  
الحادتين وهمس :

«الآن أنكر كل شيء . أنكر صديقك أنت أيضاً في خطر داهم هذا  
الشهر .. خذ الحذر ..»

ثم التمعت عيناه أكثر . وتهص وتغادر المكان .  
وقفت خارج المطعم أرمقه وهو يبتعد . قدنا مني (مروان) وربت على  
كتفي وسألني :

«طللت أنتظرك طويلاً ماذا توصلت إليه ؟»

قلت في سرودي :

«لا أدري في تلك الليلة عندما قرأ طالعك شعرنا بدهشة . ثم تذكرنا  
الساقى الثرثار الذي يمرح معنا كل ليلة . لقد كان يعرف كل شيء عنك .  
بالطبع أشار لنا من وراء الكواليس وأحبر (مورو) باسمك وعنوانك  
وسنك . ولنفس السبب لم يقرأ طالعي لأنني لم أخبر الساقى بأي شيء  
عني .. لكنني ما زلت لا أفهم السبب الذي جعله يحذر من خطر داهم ..»

قال (مروان) ضاحكاً

«لابد أنه ينصح الجميع بالشيء ذاته هل ترى ما أراه ؟»

وهناك عند المنعطف المعيد رأينا (مورو) يمشي مترنحاً مع امرأة  
امرأة رأيتها مرين من قبل مرة كانت متأنقة تجلس مع زوجها  
واسمها مدام (شيرين السمار) . ومرة هذه الليلة بانذات وطبعاً هي  
زوحته وقد نزع ثياب الشغل وعادت لثيابها الرثة

القصة واضحة الآن ولا تحتاج إلى تساؤلات . لكن السؤال ظل  
يؤرقني عندما استعاد (مروان) عويباته ولمس يد الرجل شعر برؤيا



تسيطر عليه . كان يرى انكتور (مورو) يذرف بعد حادث مروع .  
سيرة مقلوبة وشجرة ساقطة . هال لي (مروان) هذا بعد العرض  
مسحرت منه . اقترح أن يحذر الرجل كما حذرا لكي انفجرت في  
الصحك . كيف يسمع النصاب لنا أن مصيب عليه ؟ . لكن (مروان) كان  
وأنف مما رآه . صحيح أنه عاد للجيرة في الليلة ذاتها لكنه ظل راغباً في  
معرفة الحقيقة . هل هو يملك موهبة الاستبصار ؟

اليوم جاءتنا الفرصة إذ عدنا لنعرف ما حدث . وانتني لأتساءل ماذا  
سيقوله (مروان) لو لمس يدي الآن ؟

\*\*\*\*



[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)  
^RAYAHEEN^

لماذا فعل ذلك ؟

أنا رأيت الدكتور (عديان) وهو يفعلها . كنت واقفة في شرفة دارنا في تلك الساعة المتأخرة من الليل أرمق الشارع الهادئ المظلم ، وأحلم بألف شيء وشيء . عندما رأيت طلاً يقف في الشرفة المقابلة تلك الشقة الحالية التي يؤجرها أصحابها . استطعت دور جهد أن أخمن أن هنا هو د (عديان) بالذات . لماذا ؟ لأنه لا يوجد أحدهم في الشقة .

أعرف أنه متزوج وأن له أطفالاً ، لكنه استأجر هذه الشقة منذ شهر مبعثراً علامات الاستفهام في الحي كله . صاحب العقار افترض أنه يريد أن يفتح عيادة هنا جلسة ، وهذا ببساطة لأنه افترض كالعامة أن (دكتور) معناها (طبيب) بالطبع هو لا يعرف أن د (عديان) حاصل على دكتوراه في علم النفس من جامعة بريطانية ما .. لكنه ليس طبيباً نفسياً .

أسي افترض أن الرجل يريد أن يحيل الشقة وكرّاً للعلقات . هذا هو السبب الوحيد الذي يجعل رجلاً يستأجر شقة مفروشة يقيم فيها وحده في رأي أبي .. وقد راح أبي يحذرني من الوقوف في الشرفة أو إلقاء نظرة على تلك الشقة ، على أساس أن الفجور معد . ولو أغمض عيني لحظاً لضعت من يديه ومدأت التدخين ومعاقرة الخمر .

طبعاً كانت تكفيه نظرة واحدة على وجه د. (عديان) الكئيب الرزين الحزين ليعرف أنه مخطئ . مستحيل أن يفكر هذا الرجل الموشك على الوفاة في شيء مشين . وبالطبع مر الشهر دون أن نسمع أو نرى أو نشم شيئاً يريب من هذا الرجل ..

ثم جاءت تلك الليلة التي رأيت فيها تلك الظل يخرج إلى الشرفة . وفي ثياب وبحركات كأنما تم التدريب عليها من قبل ، رأيت يرفيع ركنه على السور ثم يثب إلى الشارع ..



لقد احتبس الكلام في حلقي فلم أستطع أن استغيث أو أقول شيئاً  
أعتقد أنني سقطت مغشياً علي . وعندما أفقت كان أول سؤال سألته  
بلاخرين وتقصي هو : لماذا فعل ذلك ؟  
قال (عبد الغفار) .

لا أعرف لماذا فعلها .. (عدنان) لكنني كنت أشعر منذ البداية أن هذا  
الرجل يداري لغراً .. أنا بواب هذه البناية ، وقد رأيته في المرة الأولى يبحث  
عن شقة مفروشة في المنطقة . كان يحمل حقيبة كبيرة وقد بدا عليه  
الارتباك والتوتر . أعتقد أنه جفف عرقه عشر مرات وهو يكلمني ..

لكن لم يكن من شأني أن أحقق في أمره . لقد قابلنا الحاج (جوده)  
صاحب البناية ، وكانت أوراق الدكتور تقول إنه رجل محترم ، ونقوده  
جاهزة .. هكذا حصل على الشقة بالطابق الخامس ...

الحقيقة إنني لم أر منه ما يريب ، وهذا في حد ذاته مريب . أين أهله ؟  
عرفت أنه متزوج وله أطفال فهل هو (طفاش) من زوجته ؟ لم أستطع  
أن أتبادل معه أكثر من عشر جمل منذ سكن هنا ولم يكن يطلب أي شيء .  
ولم يزره أي شخص باستثناء رجل يشبهه نوعاً وقد مكث عنده نصف  
ساعة في اليوم السابق للوفاة ..

حادثة واحدة تستحق الذكر هي تلك التي انقطع فيها التيار الكهربائي  
في شقته ، وطلب مني أن أحصر له كهربائياً . هكذا دخلت مع الحرفي إلى  
الشفقة .. وجدت أنه لم يعير فيها شعرة . أعتقد أنه احتفظ بالغبار الذي  
كان فيها ..

وقفت أراقب الرجل وهو يعمل في لوحة توزيع الكهرباء . ثم حانت  
مني نظرة إلى غرفة داخلية تصيحتها شمعة فوجدت أن بها كتباً وجهاز  
حاسب آلي . لكن ما أثار دهشتي هو أن هناك جماجم بشرية . نعم

جماجم بشرية عددها نحو ثلاث موضوعات على المكتب حول الشمعة

أما أعرف أن الدكتور ليس طبيباً ، السبب هو أنني طلبت منه فحصي  
فاعتذر . إنني ماذا يفعل بهذه الجماجم ؟ الحقيقة أن هذا المشهد جعلني  
أنتقز منه . لماذا يحتفظ للراء غير الطبيب **جماجم بشرية** في داره إن لم  
يكن ملعوناً أو ساحراً ؟

الكهربائي قال إن هناك تياراً عالياً جداً تم استخدامه فبسبب احتراق  
المنصهر . وسأل الدكتور عن الأجهزة التي لديه فأنكر هذا الأخير وجود  
شيء من هذا ..

عندما شكر الكهربائي ونقده أجره أراد أن يعطيني بعض المال ، لكنني  
رفضت في إباء . لن آخذ هذا المال الدنس

هكذا كونت نظريتي الخاصة عن الرجل ولماذا يعيش وحده وماذا  
يفعله بالضبط . توقعت على كل حال أن نهايته ستكون مريفة . لكنني ما  
زلت أتساءل : لماذا فعل ذلك ؟

قالت مدام (عصمت)

لا أعرف السبب . لكن الرجل كان مريباً بحق . كان يعصي في شقته  
أياماً كاملة دون أن يخرج . ولما كانت ظروف إقامته لا تسمح إلا بأن  
يكون مجرد زوج (طعشان) أو ماجناً رقيقاً أو مجنوناً فإني رحت أراقب  
كل صغيرة وكبيرة تحدث عنده . إن شقتي تقع أمام شقته ويمكنني  
مراقبة المدخل من عدسة الباب . زوجي في العمل لساعات طويلة  
والأولاد في المدرسة لذا صار هذا الرجل تسليتي الوحيدة . لم لا ؟  
تأمل مهم الناس لمشاهدة المسلسلات التلفزيونية . ليس هذا ولعاً بالدراما  
كما نعتقد ، بل هو ولع بما تتيحه المسلسلات من تلصص محكم على بيوت  
الآخرين !

لا توجد دلائل على أنه مأجن رقيق هم لا يبتون هكذا . ولا يبدو  
روحاً هجر بيته هؤلاء يكونون قلقين لا يبقون في بيوتهم لحظة ، إذن  
هو مجنون .

كنت في بعض الليالي أسمع هديرًا غريبًا من الشقة وكان تيار  
الكهرباء يضعف لا أعرف السبب لم يحدث هذا معي إلا عندما كانت  
غسائتي (الغول أو موماتيك) تالفة ، لكنني أعرف أنه لم ينقل أية أجهزة  
للشقة لم أراي شخص يزوره باستثناء رجل يشبهه نوعًا ولم يبق  
عنده إلا نصف ساعة قبل الوفاة بيوم ..

ذات مرة وضع كيس قمامته على الباب فانتهزت الفرصة أثناء  
تطاهري بكس الدرج واختلست نظرة إلى الكيس . كان يحوي ورقًا  
معزقًا كتب عليه بالإنجليزية لا أعرف كيف اقرا هذه اللغة لكن هناك  
رسمًا كثيرة تمثل رأس الإنسان .. كأنه رأس مفتوح عليه علامات

في ليلة الحادث قلت لزوجي أكثر من مرة إنني أسمع صوت بكاء ،  
لكنه أعتقد أنني مجبونة .. ثم سمعت الضوضاء في الشارع فخرجت إلى  
الشرفة وجدت رحا ما يلتف حول جسد راقد على الأسفلت .. ناديت  
البواب فأخبرني أن الرجل وثب من شرفته

كنت أتوقع نهاية غريبة لهذا الموقف ، لكنني ما زلت أتساءل لماذا فعل  
ذلك ؟

قال د . (محموظ) :

عندما عاد د (عدنان) صديقي القديم من الخارج ، كانت قد استحوذت  
عليه فكرة قراءة الجماعيم Phrenology الذي كف الغربيون عن اعتباره علمًا  
منذ زمن طويل .. ذلك لقى الذي ابتكره العالم الألماني (فرايتس جبال)  
حوالي عام 1800 يفترض هذا العلم أن كل صفاتنا وراثية ومصدرها

المح وبما أن الملح موجود في الجمجمة فإن شكل الجمجمة قادر على كشف أدق أسرارنا النفسية..

لقد استخدمت هذه الفكرة بإقراط لدى كل نظم فاشي أو عصري شكل الجمجمة يحدد مسارك الأخلاقي منذ لحظة ولادتك وربما يحدد تفوقك العرقي كذلك . هذا بالطبع ينافي أسط قواعد الإنسانية، فلست مسئولاً عن شكل رأسي كي أحاسب على هذا الأساس ثم إنني كائن حر أختار وأحاسب على اختياري . لو صرت مجرمًا عدًا فلأنني اخترت ذلك وليس لأن شكل جمجمتي أرغمني على هذا .

انتقلت الفكرة بسرعة إلى الولايات المتحدة، وسرعان ما أنشأ الأمريكي (أورسون فاوولر) شركة ودار نشر للتعامل مع قراءة الجماجم .. وفي القرن العشرين عادت الفكرة تلح بقوة مع نظرية (سيزار لامبروزو) عالم الإجرام الذي زعم أن ملامح المجرمين يسهل تمييزها .

لو كان شيء قد بقي من هذا العلم، فهو حقيقة أن كل جزء من المح البشري مسئول عن نوع من المشاعر أو الأفكار . وهذا ما درسه علماء وظائف الأعضاء بدقة وبراعة ..

هناك فن آخر اسمه الميتوبوسكوبي Metoposcopy يقوم على قراءة تحاميد الجمجمة وهو علم تعصب له أرسطو وأبقراط وما زال يمارس في آسيا ..

عندما عاد (عدنان) من الخارج متحمسًا قلت له

«أنت كمن يعد اكتشاف الحديد هذا الفن قديم جدًا. سلك من أن كل هذه العيون تلعب حول فكرة القيافة التي يعرفها العرب منذ دهور . لقد اشتهر أفراد قبيلة (مسي سليم) بقيافة الأثر وهي تتبع أثار الأقدام والحوافر ، وقيافة البشر وهي معرفة السبب عن طريق هيئة الشخص

الخارجية . معك من فن الفراسة الذي بلغوا معه شأناً عظيماً كانوا قادرين على معرفة طماعك من شكل وجهك ..»

قال (عبدان) :

«إني أعيد ريادة هذا الفن من جديد، وأطبق عليه أساليب علمية حديثة مثلاً صرت أستعمل الأجهزة للقياس وقد ربطت النتائج بالكمبيوتر..»

قضى الكثير من وقته يقيس الرؤوس فلم يشترك صحمة لم يجر قياسها، وكان يأخذ 37 قياساً، وفي الوقت ذاته كان يجمع معلومات عن صاحب الرأس ، شخصيته عقده . وفي سبوع ابنة إحدى قريباته ضبطته الأم يقوم بقياس رأس وليدتها . بالطبع كان موقعه بالغ السوء .

وفي النهاية قام بمقارنة ما عرفه مع ما تعلمه في مدارس غامضة بالخارج . مدارس ما زالت تعتبر (جال) و(مسعر) عالين .. يبدو أنه كون خبراته الخاصة عن الموضوع وصار واثقاً من نفسه تماماً . كنت أنا من أوائل الرؤوس التي قام بقياسها لكنه لم يضبرني مراه في سلوكي الإجرامي . فقط قل لي «أنت تتمتع بغياء أصيل تداريه بالتظاهر بالوقار والإفراط في استعمال المصطلحات ..»

«شكراً»

لم أعرف أنه ترك بيته وأسرتة إلا عندما اتصلت بي زوجته تسألني إن كنت أعرف مكانه . قالت إنه قام بقياس رأسها ورأس أولاده الأربعة ثم أصيب باكتئاب شديد . عندما عادت من عملها وجدت أنه جمع حاجياته وأجهزته وكتبه وترك البيت ...

قلت لها إنني أعتقد أنه يريد الانفراد بأبحاثه لفترة . سوف يعود . كل الأرواح انفارين يعودون . استطعت بكثير من الجهد البوليسي معرفة عنوانه الجديد وقمت بزيارته ..



كان يعيش في شبه رهيبة منعزلاً عن العالم - طعامه المعلبات ونومه ساعات معدومة .. وكانت هناك بالإضافة لكتبه بعض الأجهزة المعقدة تذكرك بالمصباح الشقي - بكسر الشين - الذي يستعمله أطباء العيون سألته عن السبب الذي هجر البيت من أجله فقل :

«إبهم مجموعة من الأوعاد .. كلهم مشاريع محرمين وسوف يفتكون بي يوماً ما ..»

«تحدث عن الأولاد والمدام ؟»

«طبعاً . أنا صرت قادراً على معرفة المجرم من مجرد نظرة وبضعة قياسات - دعك من أن اثنين من الأطفال لا يمتان لي بصلة ..»  
هنا انفجرت فيه .

«هل تعرف أن القيافة ليست دليلاً لنفي البتوة ؟ - نحن في مصر الحمص النووي يا صاحبي فكف عن هذه الخزعبلات . بصفتك عالماً نفسياً كنت أرغب في أن تشرح لي معنى لبارانويا، وهذا لا علاقة به بمحادثتنا»

«البارانويا هي أي شيء غير الذي أقوله لك الآن ؟»

ابتلعت غيظي ، ثم سألته :

«هل جربت قياساتك العبقريّة هذه على نفسك ؟»

«لا لم أفعل - أردت أن أكون متجرباً علمياً - لكني سوف أفعل ذلك غداً .. والآن لو سمحت ..»

ومكنا وحدث نفسي أحمل حملاً إلى الباب ، ثم أصدر طرداً - لقد كانت نهاية معرفتي به عنيفة بعض الشيء ..

وبعد يومين قرأت خبر وفاته في الصحف - يمكنني إذن أن أصور ما



حدث في اليوم السابق لوفاته الرجل الذي يشك في نسب ابنين ويعتقد أن زوجته والأطفال مجموعة من الأشرار الذين يعربصون به الرجل الذي قضى شهراً وحده في شقة مظلمة قادرة مع فكرة واحدة الرجل الذي قرر أن يجري قياسات جمجمته ليعرف من هو حقاً هذا الرجل قد فتح الشرفة في ساعة متأخرة ووثب إلى الشارع من الطابق الخامس ، فما الذي عرفه عن نفسه ؟ هل عرف أنه سينتحر ؟

تبدو لقصة منطقية ، لكن لا تنس أنني (أتمتع بعباء أصيل أداريه بالوقار والإفراط في استعمال المصطلحات) لهذا ما زلت أتساءل لماذا فعل ذلك ؟

\*\*\*\*\*

www.liilas.com/vb3  
^RAYAHEEN^

فتيش

عندما جئت (إلهام) لم يحد أبواها أحقق آخر سواي ليغنى بها

لماذا؟. لأنني دكتور في الأدب الإنجليزي هذا يعسر لك الأمر ما  
علاقة الأدب الإنجليزي بالطب النفسي؟ هي علاقة واضحة جدًا  
بالنسبة لأبويها. على الأقل هناك لقب (دكتور) قبل اسمي فلا بد أنني  
أفهم في هذه الأمور ..

كانت (إلهام) في العشرين من عمرها وهي السنة الأخيرة من كلية  
العلوم، وكانت جارتني .. فجأة أصابها ذلك المرض المعروف،  
الصمت .. الامتناع عن الأكل والذاكرة .. النكاه بلا انقطاع .. وقد طلب  
الأب رأيي فأخبرته أن عليه أن يطلب رأي طبيب نفسي .. هذه سن  
يلعب فيها الكنت دورًا لا بأس به .. أحيانًا أعتبر (فرويد) حمارًا لكني  
أثق به ثقة تامة عندما يؤمن أن الاضطرابات الجنسية لها دور هائل في  
العصاب .. وفي مجتمعنا اعتقد أن كل اضطراب نفسي لدى شاب له  
جذور فرويدية ما ..

قلت هذا للأب المدير العام في الرقابة الإدارية فقال إنني حمار ..  
قلت له إن فرويد هو الذي قال هذا فقال إن فرويد حمار كذلك

«أبنتي متهذبة حسنة التربية ولا يمكن أن تفكر في هذه الأشياء ..»  
طبعًا من المستحيل أن تشرح له أن هذا لا علاقة له بقلة الأدب بل  
الهرمونات التي تمرح في دم الشاب قبل أن يستعد عقله ونضجه لها  
وكما يقول العظيم (صلاح جاهين) الواد يادوب دخل ثابوي .. ليه  
خده يتطر شوك بدا المنظر ؟

هكذا ذهب إلى أطباء نفسيين لا بأس بعددهم وكالعادة اصطحبني  
معه في كل مكان .. الطريف أنه لم يعط علاج أي منهم الفرصة كي  
يؤتي ثماره .. يبدأ بكيسولة أو قرص ثم يعلن أن هذا الطبيب أحقق



ويذهب لآخر هذا بالطبع من متطوّل أن الطيّيب المارع سيّعطى العتاة كبسولة واحدة فتطير فرحاً وبتداً في الرقص تعبيراً عن سعادتها .

في النهاية جاء دور الشيخ (عزام) الذي جلّسته الأم . لأمّ أن مدام (نازلي) أخبرتها بروعته وبراعته .

لم أعرف بهذا إلا عندما صعدت الدرج فشمنت رائحة البخور تهيج صدري . وجدت باب جاري مفتوحاً وهذا الشيخ (عزام) يقف هناك .. لم يكن يلبس كالمشعوذين وإلى درجة ما شعرت بأنه محترم إلى أن عرفت كم تقاضى من أجل هذه الزيارة المنزلية

نزل الشيخ ونحن معه إلى مدخل البناية فرايته يقب هناك . لم يكن البلاط يغطي عتبة البيت كلها، بل كانت هناك بقعة ترابية انتزع بلاطها منذ زمن ..

رايته يقف هناك ويتشمم الهواء، ثم انحنى وراح يحفر بأظفاره «جرب هذا ..»

قالها الأب وهو يداوله مطواة صغيرة فأمسك بها وواصل الحفر بينما وقف البواب وجار أو جارّان يظنّان للمشهد في بهشة في النهاية أخرج الشيخ كيساً من الحيش أقرب إلى لعافة .

نظر لنا في انتصار نظرة معناها (تم) ثم قال في رضا «هذا اعمل وضع هنا بحيث تصطر إلى أن تحطو فوقه عندما تدخل أو تخرج .. والحمد لله أنا وجدناه وسوف نعطله»  
سألته في فضول وأنا أتخسّس هذه اللعافة «ماذا فيها؟»

أبعدها عني بحدّ حتى لا تؤنّيني هذه الأمور التي لا أفهمها، ومد

يده داخلها وأخرج قطعة صغيرة من عظم شظية مغطاة بالغبار  
وقال

«طبعاً لا بد من تراب مقابر وجزء من عظم ميت. هناك شعر كذلك  
لا بد أنه شعر الفتاة. من صنع هذا العمل حصل عليه بشكل ما في  
الغالب يتفق مع خادمة أو كوافير أو شيء من هذا القبيل»

ثم أخرج ورقة صغيرة لم أثبت فيها إلا عبارة (إلهام بنت فوقية).  
أما الباقي فكان كتابة أقرب إلى نبش الدحج. كتابة عمريتني جداً  
صحت بلا حذر:

«فوقية؟... من فوقية؟»

صاح أبو (إلهام) في تحفظ حائق:

«هذا اسم المدام!... لا تكرره من فضلك»

هكذا انصرف الرجل مشكوراً متفخ الجيب مع تعليمات صارمة  
للاب أن يتخلص من هذه اللقافة في الماء الجاري ربما يلقيها في  
النيل إذا لم يكن حريصاً على البيعة..

ظلمت أنظار له وهو يبتعد ثم سألت الأب:

«كيف عرف اسم فوق..... أعني المدام؟»

قال في ضيق:

«من عمل هذا العمل لا بدتي ودقته هنا يعرف»

«لكمك تعرف كما أعرف أنه هو من دفن هذا العرس هنا هكذا  
يفعلون يوماً وهكذا يفعل الرعاوية الذين يجدون الثعبان بسهولة  
لأنهم هم من وضعوه..»

ثم أضفت في حماس:

حوما الهدف من هذا العمل ٤. لماذا يريد أي شخص شيئاً من  
ابنتك ٥

الانتقام ٦

قالها في عمق وحسك كانه عرف الجواب اليقين. ثم اتجه إلى مدخل  
البنية حاملاً غنيمة لم يدعني للدخول فقررت أن أبصر ..



قال د (مصطفى) أستاذ علم النفس وهو يتحسس صلته اللامعة  
الأنيفة

سوف تجد هذه القصة تتكرر دائماً .. إنها في النهاية ليست سوى  
ذلك الزواج السعيد بين أسلوبين للسحر وصفهما (فريزر) في كتابه  
(الفن الذهبي) السحر بالاقتران والسحر بالمحاكاة .

ثم أشعل غليونه كان يكره دخان الغليون لكنه مضطراً لذلك كي  
يبدو مثل فرويد .. وأردف:

«السحر بالاقتران يرمز فيه الجزء إلى الكل الشعر أو الأظفار أو  
قطعة من الثياب ترمز للشخص كاملاً الرجل البدائي يعتقد أن ما يحل  
بشعره يحل به هو ولهذا تجد الطبقات الشعبية تحرص على  
التخلص من بقايا الحلاقة أو قص الأظفار في الحمام. السحر  
بالمحاكاة يستعين بدمية (فتيش) تشبه الشخص موضوع السحر  
عرس إبرة في بطن هذه الدمية يعني أن يصاب صاحب الدمية بألم في  
بطنه . الخ . طبعاً من الواضح أن السحر المصري يستعمل النوعين  
معاً كان انغراغة يعتقدون أن التمساح (إبيحي) يمنع (رع) من  
الظهور باعتباره قرص الشمس لذا كانوا يصنعون دمية للتمساح ثم  
يخلفونها بورق البردي، ويطعم الكاهن هذه الدمية ويدوسها ثم يلقي



بها في النار . كان في بلاط فرنسا منجم مشهور ، اسمه (روجيري) كان مخصصاً لصنع هذه الدمى الشعبية . قيل إنه صنع دمية للملك شارل التاسع وجه لها ضرباب في الرأس . وقد مات الملك بعدها وهو يعاني ألماً في الرأس .. هناك محاكمات لا حصر لها لسحرة مارسوا هذا الصرب من السحر الأسود وكلها انتهت بالإعدام طبعاً . أما في إنجلترا فقد حدثت حالة ذعر عندما وجدوا تمثالاً شعبياً للملكة إليزابيث وفي صدرها دبوس كبير .. الخلاصة أن هذا النوع من السحر قديم جداً . ما حدث في حالة فتاتك هذه هو أن هناك من صنع لها محاكاة تتمثل في عظام ميت وتراب مقابر مع اسمها . ثم أضاف شعرات المفترض أنها منها للاقتراح . بهذا صار ما يحدث لهذه اللغافة يحدث للفتاة ..

قلت في غيظ :

« لكننا نعرف أن ذلك المشعوذ لم يجد اللغافة . لقد ذهبها هناك بنفسه »

« هذا مؤكد . لكن لو كان هناك طرف ثالث أراد أن يؤذي الفتاة لما فعل غير هذا . لاحظ أن الأطفال والطبقات الشعبية يتصرفون ويفكرون مثل الرجل البدائي .. »

قلت له في استمتاع

« لابد أن تقرضني كتاب الغصن الذهبي هذا . »

اتجه إلى أرفف المكتبة فالتقي مجلداً ضخماً بالإنجليزية ناوله لي ، ثم أخرج شيئاً صغيراً من على الرف تأملته فوجدت أنه دمية خشبية قبيحة المنظر . دمية بدائية لا تشبه (بارمي) بالتأكيد .

« هذه من إندونيسيا ، هناك جزر كاملة تعتقد الوثنية فليس كل

الإدوينيسيين مسلمين لو كنت تعتقد هذا . وهذا العنيد أشنويته من هناك .

أمسكت بالدمية في تقرز.. قبيحة فعلاً..

قال وهو ينقص العليون-

«يمكن أن تضع فيها شعر أو أظفار الشخص الذي تريد أن تؤذيه  
ما يحدث للدمية يحدث للشخص أو هذا ما يؤمنون به . قل لي.. هل  
تجرب؟»

نظرت ليدته فوجدت ذلك القمص الصغير قلت مراوفاً

«بالطبع لن أفعل ..»

«حله .. أنت رجل علم تؤمن أن هذا هراء .»

«لكن هذا أقوى مني . أنت تكلمت عن الوجدان الجمعي هناك جزء  
في عقلي يرفض هذا بقوة.. ما زلت أعطي قدمي أثناء الموم كي لا  
يمسك بها ذلك الشيء تحت الفراش أنا أؤمن أنه لا وجود له لكني  
أؤمن كذلك أن علي أن أعطي قدمي كي أحميها منه.»

ابتسم في ثقة، ثم اتجه إلى الحمام فعاد بفرشاة شعر انتزع منها  
بضع شعيرات ثم فك جزءاً من الثوب الخشبي البدائي المحيط بالدمية  
ودس الشعيرات تحته ثم أعاد تثبيتته بقطعة حيط

قال ضاحكاً

«الآن ما يحدث لهذه الدمية سيحدث لي ..»

ومد يده بحثاً على مكتبه حتى وجد فتاحة ورق أعطاني إياها  
وقال،

«هلم .. أرني براعتك.»

ومددت النصل بحذر ليؤخذ قلب الدمية رفعت رأسي نحوه فوجدته يبتسم في ثقة هكذا عرست النصل أكثر ورحلت أني هذه المرة بحركات لا حصر لها تدل على سادية واضحة كأنني أبرهن له على أنني لا أخاف .. لكنه كان واقفاً يبتسم وأسنانته على الغليون ويدها في جيبي الروب .. لم يعو من الألم ولم يمت .

«هل ترى؟» منطق العلم لا يهزم حتى لو كانت قرون من الخرافات تنعس في أعماق وجدانتنا الجمعي»

ابتسمت ثم رددت له الدمية ونصحتته أن يحافظ عليها جيداً . وجلسنا نثرثر ربع ساعة ..

كنت على باب شققته عندما دق الهاتف فأشار لي أن أنتظر ثم رفع السماعة وسمعته يقول في قلق:

«ماذا؟» أثناء المحاضرة؟ . كيف؟ . لا يعرفون؟ مستشفى (عياد)؟ الدور الرابع؟ . سأتي حالاً .

ثم بزغ الروب في ثاية فوجدته أمامي بالثياب الداخلية التي تتنافى مع وقاره خاصة أن الغليون ظل بين أسنانه . جرى لغرفة النوم وعاد وهو يزرر السروال ويرتدي السترة في الوقت ذاته وقال لاها

«روجتي .. نكتورة (عادة) كانت تلقي محاضرة عندما أصيبت بالم حاد في الصدر والبطن لا أحد يعرف ماذاها .. يقول الأطباء إنها أغرب نوبة قلبية رأوها . أين هذا الجورب اللعين؟ . هل معك سيارة؟»

كان يركص على الدرج وهو يواصل ارتداء ثيابه ، بينما أنا الحق به نظرت إلى رأسه الأصلع وتساءلت عن حاجة رأس كهذا لفرشاة



شعر؟ الشعيرات التي انقزعها من فرشاة الشعر لم تكن تحصى  
كانت تخص شخصاً آخر له شعر طويل يصغفه عدة مرات كل يوم  
رباه!.. وأنا الذي رحت أعرس النصل بإخلاص كأنه آخر عمل  
مفيد أقوم به في حياتي!

هل لهذا معنى ما؟ . هل هي المصادفة؟.. هل تعدد استعمال شعرات  
زوجته؟ هل فعل ذلك ليؤديها أم لأنه لم يجسر على التجربة بنفسه؟  
أسئلة كثيرة لا وقت لها فقط لنسرع إلى المستشفى ولندع الله أن  
تتحسن الأمور..

\*\*\*\*\*



[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)  
^RAYAHEEN^

صرخات في الظلام

عندما أطفأ (عوني) نور عرفتة دوت الصرخة شنيعة طويلة

كان فيها شيء مريع غير آدمي ولا أرضي، لكنه لم يبال بهذا قدر  
مبالاته بحقيقة أن الصرخة تأتي من حجرته ذاتها . إياها معه هنا والآن ..  
وقد أضواء النور ووقف فوق الفراش مذعوراً ينظر ذات اليمين وذات  
اليسار لا يوجد شيء

جثا على ركبتيه تحت الفراش . حيث تنبعث رائحة الأثاث العتيق  
الكرهية . ليلقي نظرة . لكنه كان يعرف يقيناً أنه لن يجد شيئاً . فهذا  
السيناريو تكرر أربع مرات من قبل على مدى ثلاثة أشهر . لو أن (علاء)  
ذلك الأحق لم يقرر أن الإقامة في شقة مفروشة لا تناسبه لكانت الحياة  
أهون .. رحل (علاء) ومعه رجل نصف الامن ..

قام بجولة في الغرفة فلم يجد شيئاً ذا بال .

خرج إلى الصالة المطلعة وجلس يلتقط أنفاسه . أشعل لعافاة تبغ .  
هذا ما قاله لي فيما بعد ولم يحكه لأهله طبعاً لأنهم لن يبتلعوا أبداً فكرة أن  
يرتكب ابنهم هذه الجريمة الشنعاء .

عندما انتهت لعافاة التبغ كان قد وصل إلى قراره النهائي لن يبقى في  
هذه الشقة أبداً . لو تمسك أهله بها فلسوف يفارق كلية الهندسة ذاتها .

وهكذا نزل إلى الشارع البارد المظلم . على الأقل كان أكثر دفئاً  
وأماناً من تلك الشقة التي لم يعد يطيقها . أخرج البطاقة البلاستيكية  
ودسها في جيبه هاتف عمومي وطلب رقم (040) الذي يعني أنه يطلب  
الغربية . وانتظر حتى جاء صوت الأب المتسائل المذعور يسأله عما  
هنالك . إن مكالمة نداء معاشر في الثالثة صباحاً لا تعني إلا شيئاً  
واحداً .

«أنا لن أبقى في هذه الشقة ليلة أخرى .. سوف أعود لكم صباحاً »



«هل تمزح ؟ إن الامتحانات على الأبواب .. لا وقت لهذا الهراء، ولن تجد أبداً شقة شاغرة الآن..»

«قلت لك يا والدي إن هذه الشقة ليست على ما يرام . إنها مسكونة .  
أفضل أن أسافر من وإلى طنطا يومياً ..  
«مستحيل ! ..»

قالها الأب في إصرار ثم قدم عرضه لن يقدم الفتى على شيء مجنون، لكن الأب قادم في الصباح لمعرفة ما هناك .

هكذا لم يجد (عوني) مناصاً من أن يمضي ليلته في الشقة، لكنه أمضاها بطريقة متوترة بعض الشيء .. الأوار كلها مضاعة وهو جالس على أريكة الصالة العتيقة مفتوح العينين وفي يده المصحف لم تكن هناك صرخات لكنك تستطيع أن تدرك بسهولة أن خشب الأثاث كلئن حي الحشرات صاخبة فعلاً ، حتى صوت أنفاسك أعلى مما يجب ..

في الصباح جاء الأب ومعه صديق حميم طبعاً ما كان يستطيع الوصول إلى هذا العنوان من دون صديق قاهري، وكان هذا المسكين هو أناطيقاً . المهندس (جودة) المدير العام على المعاش هبط على داري ليصحبني معه إلى تلك الشقة المفروشة التي يقيم فيها ابنه .

كان (عوني) شاباً مهذباً تمت تربيته جيداً الطراز الذي تتركه في شقة مفروشة وحده في القاهرة متأكداً من أنه لن يملأها بالغانيات ورجاجات الخمر وسجائر الباجو ، وكان له صديق يدعى (علاء) من ذات المدينة يدرس الطب ويقيم معه في ذات الشقة، لكنه فصل أن يسافر يومياً لأنه لم يعتد الحياة بعيداً عن (ماما) هذا يدلك على أخلاق (علاء) هذا ، إنه خجول أقرب للفتيات ذوات الخفر، ولا شك أن الأب تضايق لدى رحيل هذا الشاب الذي كان بلا شك صمام أمان بالنسبة

لا يبه الحقيقة انه كان سيجن لو عرف أن ابنه يدخن وقد تعلم هذه العادة من (علاء) ..

في العاشرة صباحاً كنا في الشقة المفروشة، وقد راح انفتى يحكي لنا قصته الصرخات التي تدوي في بعض اللبالي من غرفته بالذات يقوم بالبحث في كل ركن لكن لا شيء .. صرخات مريضة يمكن أن تجعد الدم في عروقك بلا أية مبالغة، لكنها ككل تلك الظواهر (الفورية) لا تحدث أبداً عندما تنتظرها ..

كان الأب واضحاً . نحن في نهاية العام الدراسي ولا وقت لهذا الهراء لو أن كل عفاريت العالم السفلي يقيمون في هذه الشقة، ولو أن القبور تفتح ليلاً لتقذف سكانها في غرفة نوم الفتى، فلا وقت للفرار لابد للفتى أن ينجح أولاً . لا توجد شقق مفروشة في هذه الآونة، وانفتى لن يستطيع أن يعتاد السفر في هذا الوقت القصير قبل نهاية العام إذن ضاع العام وضاع مستقبل (عوني) وضعت أنت يا (جودة) ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

«عندما كنت في الجيش كنا نمشي قبل الفجر ثلاث ساعات في الصحراء، وكنا نسمع أطفالاً يصرخون على جانبي الطريق فلا نبالي بهذا السخف .. أنتم شباب مدلل ..

«وانتم كنتم تقنقرون للخيال ..

قلت وأنا أحاول أن أكون واسطة خير :

«اعتقد أنه موسعنا فهم ما يحدث . لكن لابد من أن نمضي ليلة معك ..

«قلت لك إن هذه الظواهر لا تأتي أبداً عندما تريدها ..

لكنني صممت على أن نجرب .. هكذا جاء المساء ونحن في الشقة

المفروشة نلتهم بعض شطائر الجبن الرومي والمخلل من (سعد) البقال الذي يقع متجره تحت الشرفة . وهو عشاء الغنى الدائم . وشرب الشاي الثقيل الذي أعده لنا . ثم جلسنا في حجرته أبوه على الفراش وأنا والغنى على مقعدين خشبيين . طبعاً من الليل بطيئاً سمجاً ثقيل الظل . الأب تمدد على الفراش ، وأنا أرحت رأسي على حافته وأنا جالس على مقعدي ، بينما (عوني) راح يطالع كتاباً ثقیلاً أتحدى أن يكون قد وعى حرقاً معافيه . وقد غادر الغرفة مرتين فبها بعد عرفت أن هذا كان ليحدث على عجلة وخلصه لفافة تنع في الشرفة بعيداً عن عيني الأب .

عد الثالثة صباحاً دوت الصرخات وياله من حظ !

تجمد الدم في عروقنا ، ونهض الأب وهو يردد بسم الله الرحمن الرحيم . بينما ظل (عوني) صامتاً وهو يرمقنا وعلى وجهه شبح «بتسمة من طراز (الم أقل لكم ؟)» .

صرخات عالية جداً . مستحيل أن يكون هذا مراحاً أو تكون هناك لعبة . لولا أن توصيل الصوت سمير جداً في هذه الشقة لوجدت كل الشارع يقف على بابنا متسللاً عن يذبح من .

وثبت مسرعاً بحثاً عن مصدر الصوت الذي تلاشي على كل حال . لا يوجد .. اتجهت إلى حزامه الثياب العتيقة وفتحتها فلم أرها إلا كيساً بلاستيكيًا ضخماً مع مجموعة من الأحذية العتيقة .

أكاد أقسم أن الصرخ يأتي من هنا لكن كيف ؟

مددت يدي إلى الكيس وعبثت بمحتواه ثم قلبته على الأرض لم يكن فيه إلا أدوات تشريح صلبة وحمضة أنمية صغيرة الحجم وبعض كتب التشريح البالية ..

قال (عوني):

«أنا جربت هذا قبلك . لا يوجد جهاز راديو منسي ولا لعبة أطفال ولا  
فأر جريح . هذه الأشياء من بقايا (علاء) عندما ترك الشقة ولم يأت  
لاستردادها قط .»

«لماذا ترك الجمجمة ؟»

«لأنه لم يعد يحتاج إليها في دراسته .. هذه الأشياء تظل في حوزة  
طالب الطب إلى أن يقرضها لطالب آخر ..»

«عدت إلى الجلوس ونظرت إلى الأب والفتى ، ثم قلت وأنا أنظر إلى  
الجمجمة

«يبدو كلامي غريباً لكن اعتقد أنني عرفت التفسير . إن ظواهر  
الجماجم الصارخة معروفة في العالم الغربي لكننا لا نعرف عنها الكثير  
لقد وصفت في أكثر أجزاء إنجلترا ، والقصة دائماً هي قصة جمجمة  
تصدر صرخات مريضة ليلاً لأن هناك من حاول نقلها من موضعها ، أو  
لأنها أبعدت عن أجسادها . هناك قصة عن سيد إنجليزي عد من الإنديز  
بعبد رقيق . وقد أوصى هذا العبد لدى موته بأن يدفن رأسه في وطنه  
في إحدى جزر الكاريبي .. لكن بالطبع لم يتم أحد بتنفيذ هذا الوعد  
النتيجة أن صرخات مريضة كانت تنطلق من القبر الذي دفن فيه العبد . ثم  
نقل أحدهم الجمجمة إلى داره . عندها بدأت الصرخات تنبعث من هذه  
الجمجمة .. هناك كذلك قصة أخرى مريضة من القرن السادس عشر عن  
جمجمة الأب (أمبروز بارلو) التي يجدها الناس تنظر لهم من أعلى الدرج  
وتصرخ . وقصة عن (ويليام كورنر) البريطاني الذي قتل عشيقته  
فشنق . حصل أحد الأطباء من هواة جمع الجماجم على هذه الجمجمة  
 واحتفظ بها بعد ما قام بصقلها . خلال أيام صارت الصرخات تدوي في  
بيته حتى اضطر للتخلص من الجمجمة . المالك الجديد لها أصابه الهلع  
من الصرخات حتى أنه قام بدفن هذه البقايا . هناك اعتراصات كثيرة



على هذه النظرية لكن لا اعتراض على مغزاها الأخلاقي من حق المرء أن يموت وهو يعرف أن أحداً لن يعبت بعظامه،

نظر لي الأب بوجهه المعتق وقال،

«هل تريد أن أصدق هذا؟»

«لا أريد أي شيء . فقط أنا أرجح أن (علاء) حصل على هذه الجمجمة عن طريق أحد اللحادين . طبعاً ما يفعله كثير من هؤلاء هو سرقة المقابر هناك قصص مريفة في إنجلترا عن لحادين قتل ستة عشر شخصاً فقط ليوفروا عظاماً طيبة لطلاب الطب . ما حدث هو أن اللحاد سرق جمجمة ما كان ينبغي لها أن تسرق . جمجمة تكرر الاتصال عن جسدها...»

قال الأب وهو يقف حافي القدمين ينظر للبلاط المتسح

«بيني وبينك . لا أصدق حرفاً .. لكنني متفق على أن عظام الميت يجب أن تكرم . هذه الجمجمة يجب أن نحظى بدفن لائق .»

نظرت إلى (عوني) مبتسماً وقلت،

«هكذا سوف تحل مشكلتك . سوف نأخذ هذه الجمجمة ونعيدها إلى (علاء) كي يدفنها...»

«ولماذا لا تدفنها نحن؟»

«أعتقد أنها يجب أن تعود لدفنها الأصلي . هذا هو تصوري للموقف...»

قال (عوني) وهو يرتجف،

«هل تعتقد أن خلاصي من هذه الجمجمة يحل المشكلة ؟ . بعد هذا أدام في شقة أعرف أنه كانت فيها جمجمة صارخة ؟»

قال الأب وقد أحقق وجهه:

«ستفعل ذلك أيها المدلل وتنجح وتحصل على تقدير عالٍ . عندما كنت في الحيش كنا نعشي قبل الفجر ثلاث ساعات في الصحراء، وكنا نسمع أطفالاً يصرخون على حائبي الطريق فلأبالي بهذا السخف . أنتم شباب رقيق ..»

ينوي أن يحكي القصة للمرة الألف ..

في النهاية أعطيت العتي وعداً بأن أجد له من يقيم معه في هذه الشقة وأنصرفنا راضين عما عرفناه ..

عندما عاد الأب أحبر (علاء) صديق أبيه بالقصة كلها، ولكن طالب الطب الشاب لم يكن يعرف مصدر الجمجمة لأنه ورثها من صائب طب آخر كالعادة . ربما لو تتبععت السلسلة لقبيلت عشرة أسماء . هكذا خرج الأب و(علاء) إلى المقابر ونفحاً لحاداً بعض المدل كي يدفن لهما هذه الجمجمة دفناً لائقاً . المفاجأة الأكثر إثارة هي أن السفر المتكرر أرهق (علاء) لذا قرر أن يعود للإقامة في تلك الشقة في الأشهر الباقية على امتحان آخر العام . هكذا حلت المشكلة مرتين

نسيت كل شيء عن القصة إلى أن دق الهاتف عدي ذات ليلة فرفعت السماعة لأجد (عوني) يقول لي:

«عمو (محفوظ) .. قد عادت الصرخات ..»

فركت عيني في ذهول .. ثم عدت أسأله:

«هل عرفت مصدرها ؟»

«نعم . لقد فتح (علاء) الخزانة ليجد الجمجمة ذاتها هناك !! إنه مصاب بانتهيار عصبي الآن ..»



فكرت حيناً ثم قلت وقد تفكرت.

«في بعض الفصول - ومنها قصة جمجمه (كوردر) هذه - قيل إن  
الجماجم عادت القربة وعادت حتى أنهم اضطروا في بعض الأحيان  
إلى سحق الجمجمة للخلاص منها»

جاء صوته المفقأ في الهاتف:

«ولماذا لم تخبرني بهذا؟»

«لأنني سميت بعض التفاصيل إن عقلي ليس دفتراً لو كان هذا قد  
خطر لك - اسمع يا بني - لا أرى داعياً لكل هذا الصراخ - حاول أن تجد  
طريقة سحق هذه الجمجمة وبعدها سوف يعم السلام الأرض وينعم  
الجميع بحياتهم .. والأمر أرجو أن تتركني أنا.. من فضلك»

\*\*\*\*\*

www.lillas.com/vb3  
RAYAHEEN

ماذا يحدث في شفتنا؟

عندما عار مهندس الإلكترونيات (أحمد الشرشابي) إلى شقة (العجمي) لم يستطع أن يصدق ما يراه .

وقف مذهولاً وعن حلقه روجته (هفت) وولادة المراهقين ، فلوان (روبان) رآهم تحت أربعة تماثيل رائعة وعرضها متحف اللوفر تحت اسم (الدهول) ..

هم أولاء مرهقون من السفر والحقائب في أيديهم ، لكنهم ينظرون في لهفة ودهشة إلى الفوضى العامة التي جعلت الشقة الجميلة ساحة معركة المقاعد مقلوبة البساط مطوي الستائر ممرقة هناك أثر دام على الأرض يذكر بأسد حر فريسته الممزقة عمر طريق من عمار ودم علامات على الحدران ، لكنها ليست علامات عشوائية بل هي رسوم تم رسمها بدقة بقلم من فحم ..

العريب في الأمر أن الشقة معلقة جيداً لم تقتحم شرفتها ولم يفتح الباب هناك من فتحها بعدية وأحدث كل هذه الآثار ثم عادرها وأعلق لناب

قلبت الزوجة وهي تشمر عن ساقها وساعديها

«يجب أن انظف هذا كله .. تمحووا جائئاً»

لكنه معها من ذلك لابد أن يرى رجال الشرطة المشهد

فتش عن كل شيء ثمين أو قابل للسرقة فوجده اللص الذي لا يسرق جواهر الكاسيت الثمين ولا التلفزيون خفيف الحمل هو لص أمين أكثر من اللارم أو أحرق صحيح أن شاشة التلفزيون كانت ملطخة بالسواد لكن هذا كل شيء

جاء رجال الشرطة والتقطوا صوراً وسألوه إن كان يتهم أحداً ، قدموا بفحص كل شيء . لا توجد سرقة نعتقد أن متسكعاً تسلسل للشقة وأمضى فيها عدة أيام هذه الأشياء تحدث مع شقيق المصايف التي لا يستعملها سكانها إلا بضعة أيام كل عام ..

لكن كيف نخل من دون عنف ؟

«فكر جيداً هناك من حصل على المفتاح واستخرج نسخة منه .»

هذا سهل قوله لكن (أحمد الشرشابي) لم يكن ممن يفقدون المفاتيح

هذه مفتاحان معلقان في مكتبه بشقته في القاهرة وهما لا يغادران المكتب إلا إلى جيبه. الويدان أصغر سناً من مغامرة كهذه. لكن رجال الشرطة لا يصدقون هذه الأمور. شعارهم هو (لا يمكن أن تكون حذراً أكثر مما يجب) كما يقول العربيون. كل إنسان يعتقد أنه واع مثقف جداً لكن العكس صحيح. هناك عشرات القصص المماثلة، وهناك دائماً أحداث يسرق المفاتيح منك لتكون له شقته الخاصة في العجمي من دون علمك.

ليس لي أخ على كل حالش

هكذا وقف في الشرفة يذبح ويرمق أمواج البحر، بينما (معت) في الحفيرة تنصف الشقة بمعاونة الولدين. ماذا حدث؟ ومتى؟ هل هناك جريمة قتل دارت هنا؟ من حديد يعبر السؤال عن كيفية دخول القاتل؟ هكذا مد يده إلى جهاز الهاتف يطلب رأيي..

كان جوابي بعد سماع القصة عملياً جداً أنت لم تعرف أبداً أن تتفوق على رجال الشرطة. لم يسرق شيء، ولم يتأذى أحد، لذا اصحك وار تنسى الموضوع وتسدل قفل الباب وتؤمن الشرفة وتستمتع بإحارتك. «أستمع» هل تعتقد أنه بقي لي استمعا؟

هكذا مرت الإجازة. لكنه كان قلقاً ومالغول لم يستمع لحظة إنه لافتقر إلى الأمن. اشعور بأنك عار تماماً مكشوف تماماً، وأن البيت ليس حصناً والمفاتيح لا تضمن شيئاً.

عادت الأسرة إلى القاهرة وعادت تمارس حياتها العادية، لكن (أحمد الشرشابي) أمضى أسبوعاً يفكر، ثم انطلق إلى العجمي في (كبسة) معجونة لا يعرف السبب ولا ما دفعه لذلك، لكنه أحسن صنفاً لقد كانت الشقة في ذات الحالة التي وجدها فيها من قبل. نفس القوصى المريعة فيما عدا أن آثار الحر على الأرض كانت أعنف. مرة الحمام عليها ثلاث قطرات دم..

عندما اتصل بي كان في أسوأ حال، وقال في هستريا

«هذه الشقة مسكونة. لا يوجد تفسير آخر..»

قلت في هدوء من ليست يده في النار



«هناك تفسير عقلاني ونحن واجدوه من دون شك .. إن هذا الذي يحدث يذكرني بكايوس قديم في طفولتي ترى ماذا يحدث في شقتنا بعد تركها لفترة ؟» لو وضعنا كاميرا هناك لتصور فعذاستوى ؟ ما الذي يحدث في الشقة الخالية المظلمة في هذا الوقت ؟»

كانت فكرة مرعبة وأعتقد أنها أثرت فيه لقد صمت قليلاً فلم أسمع إلا أنعاسه ثم قال .

«دائرة تلفزيونية مغلقة تسجل كل شيء .. هذا هو الحل . أنا مهندس الإلكترونيات ويجب أن أعرف كيف أفعل ذلك ..»

«هل تعزح ؟ .. أي شريط يتسع لعام من التسجيل أو بضعة أيام ؟»

«بل بضعة أيام .. ثانياً سوف أضع خلايا كهروضوئية متناثرة . إذا قطعها شيء .. بدأ التسجيل لمدة ربع ساعة .. هناك جهاز صغير يجعل هاتفى المحمول يرن إذا عبث شخص ما بهذه الخلايا . أي أنني سأتلقي إشارة على جهاز المحمول تبطنني أن هناك من يتحرك في الشقة .. هكذا أسافر إلى الاسكندرية فوراً ، وأرى ما سجله الشريط ..»

«ما زلت أرى أن بيع الشقة أسهل ..»

«ليس قبل أن أفهم ما يحدث ..»

ووضع السماعة .. كان بارعاً لذا عرفت أنه سيؤدي العمل بإتقان (شغل المعلم لنفسه) كما يقولون .. وعرفت أنه عاد إلى القاهرة وعاد يمارس عمله .. أعتقد أن القصة انتهت عند هذا الحد

لا لم تنته .. لقد اتصلت بي زوجته ذات صباح كئيب تخبرني بأنه سافر إلى الاسكندرية ليلة أمس ، لكنه لم يعد ولا يرد على الهاتف .. قالت إنه تلقى إشارة من هاتفه المحمول تبطنه أن هناك من تسلل للشقة .. وقد وعدها بأن يحصر معه البواب ورجال الشرطة قبل أن يقتحم الشقة ، فهو لا يسعى لعب دور (رامبو) .. أحدث معها عدوان الشقة بدقة ووعدتها بأن أتصرف طبعاً .. لا نية لي في أن أذهب إلى العجيمي من أجل هاتف معطل

اتصلت بصديقي الاسكندراني (حلمي) وأخبرته بالقصة . الجزء

الأخير منها. ووصفت له عنوان الشقة أنت تقيم في (الدخلة)، فهل  
يوسعك أيها الصديق العزيز المحلص أن تذهب إلى هناك وتسال البواب  
عنه وتدق جرس الباب حتى يفتح لك؟ تذكر أن هناك زوجة قلقة .

«سأفعل لكن اتصل بي أنت لأن رصيد الموبايل ...»

«مفهوم . مفهوم .. فقط تحرك ..»

بعد ساعة اتصلت بـ (حلمي) فرد على الفور ..

«أما الآن أقرر بابه . يبدو أنه لا أحد بالشقة لقد مررت على البواب  
فقال لي إن المهندس (أحمد) دخل شقته معه ورجل شرطة ليلة أمس لم  
يكن هناك شيء لكن الشقة كانت في حالة قوصى مروعة قال إن  
المهندس كان متعجلاً للتخلص منه ومن رجل الشرطة . كان يريد التواجد  
وحده بسبب ما هكذا تركاه بعد ما أكد لهما أنه بخير . لكنه لم يغادر  
الشقة حتى اللحظة . انتظر إلى الباب موارب في الواقع وليس مغلقاً .  
أعتقد أنني سأدخل ..»

«إن كن حذراً من فضلك ..»

على الفور دوى صوت يشبه جرس الإنذار . وتساءل (حلمي) في  
ذعر عن مصدر الصوت فقلت:

«جهاز المحمول الخاص به . إنه يطلق إشارة إنذار لو تسلل أحدهم  
للشقة مثلك . أنت تجتاز دائرة كهروصوتية . المهم هل ترى شيئاً ؟  
معنى وجود المحمول أنه هنا»

قال وهو يلهث رعباً:

«إنه هنا بالفعل على الأريكة والذعر في عينه إنه متصلب وأعتقد  
أنه ميت ..»

استلعت ريتي .. ثم سألته

«آثار عنف؟»

«لا آثار رعب هناك جهاز تلفزيون أمامه يخيل إلي أنه كان  
يشاهد فيلم فيديو عندما أصابته نوبة قلبية ..»



«اسمع .. قد يبدو كلامي غريباً لكني أريد أن تعيد شريط الفيديو قليلاً  
إلى الوراء وتصف لي ما تراه ..»

«فعلاً هذا أعرب **مطلب سمعته** رجل متوف وتطلب مني أن **نحظة**  
**هاهونا** هذه لقطات ثابتة من أعلى تظهر هذه الصلاة في ضوء خافت لا يوجد  
شيء سأتحرك للأمام بالشريط قليلاً لكن رباه... ارحمني يا رب!!!!!!  
ودوت الصرخة ثم سمعت شيئاً يرتطم بالأرض وبعدها انقطعت  
المكالمة .. حاولت الطلب من جديد وقلبي يثب بين ضلوعي، فلم أسمع، لا  
الفتاة تقول بطريقتها المهدمة الورد (هذا الهاتف قد يكون مطلقاً)

هرعت إلى غرفة نومي فارتديت ثيائي، وسرعان ما كنت أنطلق  
بسيارتي، التي ملأتها بالبيرين - إلى الاسكندرية  
(حلمي) من أعر أصدقائي ولن أسمع نفسي بوحدة له شيء . كنت  
عارفاً في الأفكار ماذا حدث ؟ هل هاجمه أحد ؟  
وصلت إلى العجيمي مرفقاً منهكاً ..

اتجهت إلى العنوان الذي صرت أحفظه عن ظهر قلب  
لم يكن البواب هناك فصعدت الدرج مسرعاً أخيراً وحدث الشقة  
كان الباب موارياً بالفعل . والطبع لم أبال بطرقه فدخلت كانت الرائحة  
منفرة بحق رائحة الدم المسفوح التي أعرفها من قفص السمور في  
حديقة الحيوان ..

ثمة شيء تحرك . ثمة شيء تحرك بسرعة خارجاً من مجال بصري  
.. ثم سمعت صوت الإنذار الغريب الذي سمعته على الهاتف بحث  
بعمي فرايت تلك الحلايا الكهروضوئية في كل مكان . خلف المرهية  
جوار الباب وراء لوحة على الجدار نظرت لأعلى فرايت عدسة  
الكاميرا الصغيرة المتلصصة التي تذكرك بعدسات السوبر مركت التي  
تذكرك لو زين لك الشيطان شيئاً ..

على كل حال دلفت إلى الصلاة، لتقابلني العن فوصي رأيتها في  
حياتي . كأن حرائيت كانت تتسابق هنا ورأيت مشهداً عجيباً على



الأريكة كان (أحمد) راقداً مفتوح العينين متسجعا صورة للرعب الميت في  
أصدق صورهم . جواره على الأريكة جهاز الهاتف يصدر تلك  
لضوضاء الغريبة التي جعلته يأتي من القاهرة في تلك الليلة

ونظرت إلى المنضدة المقلابة فرأيت جهاز التلفزيون مغلقاً طبعاً يغلق  
دائماً عند انقطاع الإشارة لفجرة . نفس الشيء مع الفيديو لكن هناك  
علامات سوداء واضحة على شاشة التلفزيون علامات لا يمكن مشاهدة  
الصورة في وجودها ومعنى هذا أنها وصفت بعد مكالمة (حلمي) الأخيرة

اين (حلمي) نفسه " هوذا على الأرض وجواره هاتفه المحمول الذي  
سقط وتشبه إلى ألف قطعة . عيناها متسعتان والرعب على كل قسمة من  
وجهه .. نفس العلامات ..

لا أعرف ما الذي قتلها لكنه مربع بما يكفي  
دق جرس هاتفي فأجملت . جاء صوت (همت) المذعورة تسألني  
" هيه د. (محفوظ) هل نجحت في الاتصال به ؟"  
لم أكن أريد المزيد من الضغط العصبي ، لذا قلت في كياسة  
" أنا في الطريق سوف أبلغك بكل شيء . سلام .

مهما كان الأمر فهذا الشريط يحمل السر . السر الذي رآه (أحمد  
الشرشبي) ورآه (حلمي) يجب أن أعرف . مهما اتسع خيالي فلا  
أتصور أن يكون الأمر رهيباً إلى هذا الحد .

نظفت الشاشة بمنديل ورقي ، واتجهت إلى جهاز الريموت وأدبرت  
شريط الفيديو للحلف ثم شغلته ..

كانت هناك لقطة وحيدة من أعلى للصالة . لا شيء يتحرك . هذا مؤكد  
.. إضاءة خافتة رهيبة لكن لا شيء يتحرك .

لكن إذ أدقق أرى شيئاً ما . الآن تتصح الحقيقة أكثر فأكثر . ودقات  
قلبي تتسارع ..

رباه !.. أنا لا أصدق هذا الذي أراه .. لا أصدق !!

\*\*\*\*\*

www.lillias.com/vb3  
TRAYAHREENA

الرقص بين الأحجار

تنظر إلى السماء المكشوفة التي اكتسبت لون الرحام . ترفع يديها  
ترجع رأسها للخلف . معمص عينيها . يمشي في تودة كأنها راقصة  
باليه . بضع خطوات . ثم تبدأ الرقص . رقصاً لم أراه من قبل ولا يمت  
لعالمنا بصله . كأنها تصفي للحن خفي آت من وراء الأباد والأبعاد .  
ترقص تنتشي تضحك ثم تتوقف وتطرلي في ثبات



من جديد أستعيد ذكرياتي مع جمعية البحوث الروحانية البريطانية .  
ومع د (جيمس ماتيسون) يقامته القصيرة وعصبيته وعيبيه البافذتين .  
كان هذا عندما كنت أدرس في إنجلترا لم انصم بجمعية قط كما تعرف  
لكني عرفت مجموعة لا بأس بها من الأصدقاء الرائعين حقاً

كان هناك (هاري كليف) وكانت هناك (إلسقري) . وهي شابة  
بريطانية جداً تدرس علم النفس ، وقيل إن لديها هاقات نفسية خارقة .  
وقد اعتقدت لفترة إنني أهميم بها حياً ثم قدرت أن هذا يعود للشعقة لا  
أكثر . معظم المجموعة كانوا من أساتذة الجامعة أو اندارسين . بعضهم  
كان مقتنعاً بما يفعل . والبعض الآخر كان يهرب بعقلية متعادلة .

حكيت لك قصتي مع الأختين اللتين كانتا تحدثان صوت دقات . لكنني  
اليوم أحكي عن ريارتي لجنوب البلاد . بالتحديد في (ولتشاير) على بعد  
18 كيلومتراً شمالي (سالزبوري) ...

كنا هناك في السهل تحت السماء الرمادية منذ طفولتي تجع هذه  
السماء الرمادية أمعاني تنفعل . البرد . صوت الريح ثم ذلك الشكل  
الحجري العجيب ..

لم يكن المكان منعزلاً في الواقع كان أقرب إلى لسيرك بكل هؤلاء  
السياح . وحيث وجد السياح تجد تلك الخيام وسيارات العار و(الأكشاك)

التي تمنع التنكارات والماء والمرطبات لهذا صدر عام 1978 قانون يمنع  
الخدمة من الدخول إلى مركز الموقع الأثري، لأن هذا الأثر العظيم موشك  
على التحول إلى هبات يبدو أن هوايه الكتابة على الآثار أو سرقة قطع  
منها ليست مصرية فحسب لكننا بالطبع كما مستشين من هذا المنع لأن  
بنينا علماء .

أنا قادم من بلاد الأهرام من بلاد أبي الهول أعتقد أن كل حجر  
يخفي تحته أثراً عظيماً عمره أربعة آلاف عام، لهذا لم أكن مستعداً لأن  
أتحسس لهذه التشكيلة العجيبة من الصخور وقد بدا لي حماس هؤلاء  
القوم سخيفاً .

قال لي (ماتيسون) وهو يشير إلى الكاميرا المعلقة من عني

«هل حقاً لم تحرك الستونهيج Stonehenge شهيتك لالتقاط بعض  
الصور؟»

«حاضر . .»

وأخرجت الكاميرا التي ليس فيها فيلم ورحلت التقط عشرات الصور  
لهذه الصخور .. كليك .. كليك .. كليك

ثم أن (ماتيسون) نظر إلى (السقري) وسألها

«أنت لم تأتي هنا قط . أليس كذلك ؟»

«نعم هذه أول مرة أرى فيها هذه الأحجار رأي العين إن انتقالي  
عسير كما تعرف.»

هذه الصخور يمتد عمرها إلى العام 2000 قبل الميلاد من حولها ترى  
ذلك الحندق الدائري الذي يوصلها عن باقي معالم الوادي أشكال  
حجرية غريبة شيدتها الإنسان في هذه العصور العابرة لأقربها لدهتك  
تمسور أنها حرف باللاتيني مقلوماً . في البدء كان الحندق وبه 56 حفرة

للدفن . اكتشفها عالم يدعى (أوبري)، لذا أطلقوا عليها اسم (حجر أوبري) ثم ظهرت تلك الصخور المقرصة في دائرة مودوحة ثم ظهرت تلك الصخور العرصية التي تربط التكوينات

إن الـ Stonehenge لغز آخر من الغاز انكون . فصل محبب في اي كتاب يحكي عن الأسرار العاصمة . الأهرام أهرام الأرتك الستونهيج كهوف تصيلي .. رجل التلوج المخيف .. الخ ..

عندما دنا الظلام قال (ماتيسون) للفتاة أن تتقدم إلى وسط الدائرة طلب منها أن تركز وأن تتخيل ماذا كان يحدث هنا في عصور غابرة

كانت هذه هي التجربة لقد كانت (الستري) تتمتع بقدرات نفسية غامضة، وكانت تستطيع أن تعرف أشياء كثيرة عن الجسم الذي تلمسه . اغمضت (الستري) عينيها ولمست بأناملها أحد الأحجار .. ثم همست

«أراهم جميعاً هنا . إنه الليل والقمر يتوسط السماء . أرى الرجال يتقدمون إلى هنا أراهم يقتادون عذراء جميلة إلى الصخرة العرضية إنها ترقد فوقها الكاهن يحمل سكيناً . يتعالى الإيشار يهوي على عنقها .... الدم يسيل .. يلوث الصخر ..»

كان أداؤها يتعالى وصدرها يعلو ويهبط شأن من هو موشك على حالة هستيرية .

بعد هذا حياء والاطفال إنهم يكررون ما قاموا به . لا ليس الأطفال .. لا لا

ودفت وحبها بين يديها وراحت تبكي . نظرت إلى المروفسور فوحده بفكر في عمق، ثم أعلن أن علينا أن نهي التجربة فاراحد العلماء في حماس

«لقد نجحنا ! لقد عرفت (الستري) بحاستها لغز هذه الأحجار .





كانت الأضحيات تقدم هنا في العصور الغامرة كان الدرويديون  
يمارسون ديانتهم هنا

والدرويديون هم سكان إنجلترا القدامى من قبائل (الكلت) لم يتكلم  
(ماتيسون) بل بدأ عليه نوع من الهم ..

وفي لوبي الخان الذي نبئت فيه ، قال لي :

«تجربة فاشلة ..»

«ولم ؟ الفتاة حكّت قصه غاية في الاكتمال ..»

«هذه هي المشكلة قصة متكاملة أكثر من اللازم لم نقل شيئاً إلا ما  
قاله عالم آثار من القرن السابع عشر اسمه (ستوكلي) لقد درس هذه  
الصحور ثم قال إنها كانت مكان أهوال لا توصف كانت تحدث في  
منتصف الليل في عصر الدرويديين . طبعاً هذا كلام فارغ لأن  
الدرويديين لم يظهروا في إنجلترا إلا قبل ميلاد المسيح بمائتي عام ..»  
«وهذا يعني ..»

«يعني إنها لم تر شيئاً إن عقلها الباطن يعج بقصص من هذا النوع  
وهي قد رأت ما في عقلها الباطن لا أكثر ..»

ثم أضاف وهو يصب لنفسه بعض الشراب :

«ما زال هذا الستون هيج لغزاً لماذا شيدوه ؟ من فعل هذا ؟ بآية  
معصرة تمكنوا من رفع هذه الأحجار الضخمة ؟ نفس ما يقال عن الهرم  
الأكبر مع فارق الحجم طبعاً المشكلة أن من يدرسون هذا الأثر فريقان  
فريق من علماء الآثار الذين يجهلون كل شيء عن علم الفلك ، وفريق من  
علماء الفلك الذين يجهلون كل شيء عن علم الآثار علماء الفلك وعلى  
رأسهم (جيرالد هوكسج) - يؤمنون أن هذه الأحجار أجهزة رصد غاية في  
التعقيد وقد أطلقوا عليها اسم (الكمبيوتر الحجري) . هذا الكمبيوتر له



وظائف دسمة وسياسة دسمة لدى الأقدمين لكن هذه النظرية يدحضها علماء الآثار لو كان ستونهنج مرصداً لكان من الواجب ألا تحيط به أية أشجار. بينما برهنت الحفريات على أن المنطقة كانت غابة كثيفة في الماضي البعيد ..

نمت في عرمتي يوماً عميقاً دلاً أحلام. لكن إلهاتف أيقظني عند منتصف الليل كان هذا (ماتيسون) يقول لي

«(السقري) ليست في غرفتها ..»

«كيف ؟ .. إن هذا مستحيل»

«الأدهى أنه لا يوجد مكان تذهب إليه هنا قار لي موطف الاستقصاء إنها عادت الفندق في ثياب غريبة يقتادها شاب أشقر طويل الشعر .. هل تعرف فيم أفكر ؟ .. أفكر في الستونهنج »

كانت هذه الكلمات كافية كي أرتدي ثيابي وألحق به في اللوبي .

وفي الليل البارد مشينا نلهث . لقد بدأ المطر ينهمر لكنه ليس كثيفاً لحسن الحظ

من بعيد يرى الستونهنج الوحوش الصخرية الغامضة التي تجثم هناك منذ أربعين قرناً تعرف كل شيء ولا تتكلم أبداً . لكن هناك شيئاً غير معتاد في المكان لا أعرف ما هو لكنه موجود فجأة تصلب (ماتيسون) ..

كانت هناك تقف بين الأحجار العملاقة كأنها دمية بين الغيلان بالفعل كانت تلبس ثياباً غريبة أقرب إلى جلباب أسود طويل وكانت مرقص مرقص بلا لحن سمعته. لكنه رقص موقع جداً حتى أنك توشك على سماع اللحن الذي تسمعه هي ..



كانت (الستري) ترقص ترقص ترفع يديها . ترجع رأسها  
للخلف . تغمض عينيها تمشي في تودة كأنها راقصة ناليه بضع  
خطوات .. ثم تعاود الرقص ... تنقشي .. تضحك ..

إنها تشير نحونا حيث توارينا بين الأطلال .. تشير لنا لا شك في هذا  
قلت -

«لقد رأونا ' أعتقد أنني أعرف من هو القربان الأول لهم '»  
وبهضت لأفر . هنا سمعت (ماتيسون) يقول بصوت عال  
«كان من الواجب أن تأتي هنا ليلاً . تأتي بكامل ارادتك . هذه هي  
التقاليد ..»

«عم تتكلم ؟»

«لقد كان (ستوكلي) على حق، وكذلك (هوكنج) الحقيقة أن طقوساً  
مريعة كانت تحدث هنا، لكنها أعقد مما تتصور . وهي تمت لعهد يسبق  
الدرويديين بآلاف السنين . لقد عادت هذه الطقوس للحياة على أيدينا  
الم تفهم بعد يا أحمق أي مازق وقعت فيه ؟»

وفي اللحظة التالية كان يتشبث بساقي وهو يصرخ منادياً هؤلاء  
القوم، ومن بعيد نوى صياح (الستري)  
«عليكم به ..»

ركلت وجهه في جنون . هو صئيل الحجم يسهل أن تتخلص منه، ثم  
أطلقت ساقي للريح بينما هؤلاء القوم يزومون ويصخبون وهم يقطعون  
المسافة التي تفصلهم عني . أركض تحت هذه النصب الحجرية المخيفة  
وقلبي يتواثب بين الضلوع ..

أركض أركض وفي النهاية بلغت الخان وقلبي يوشك على أن  
يكف عن العمل نهائياً .



«ستطعت أن اعلق باب حجرتي علي ثم أدت الطبيعة عملها وفقدت وعيي وفقدت الوعي صار معاساً حتى الصباح

عندما فتحت باب حجرتي وجدت (ماتيسون) واقفاً إلى جوار (الستري) وهما عارقان في الضحك . وقال في خبث

«لقد كان منظرك مسلياً أمس . مجموعة معتلين وحو موج . هذا كان كفيلاً يجعلك تركض كالأرانب . لقد كانت دعاية عملية فاسية لا أكثر .»

«كنتما مقنعين أكثر من اللازم ..»

«لو لم تكن مقنعين لما كانت الدعاية بهذه البراعة ..»

هناتهما على هذه التمثيلية ، ثم طلعت أن يمهلاني بعض الوقت حتى أغسل وجهي وأستعد للإفطار على أنني فور انصرافهما أعددت حقيبتني على عجل ، وغادرت الحان من دون كلمة واحدة ، ومن دون أن أعرج على قاعة الطعام ..

كانا يمزحان . إذ مستعد لفهم هذا فقط لو فسر لي أحدكم شيئين أولاً متى نبئت هذه الغابة الكثيفة من الأشجار التي رأيتها ليلة أمس حول الأحجار ؟ . أقسم أنها لم تكن موجودة صباح أمس عندما كنا هناك ، وهي التي منحنتني ذلك الإحساس الغريب بأن هناك شيئاً مختلفاً .

الشيء الثاني هو رقص (الستري) البارع كيف ترقص (الستري) وهي مشلولة لا تتنقل إلا على مقعد متحرك ؟

♦♦♦♦

www.lillias.com/vb3  
RAYAHEEN

ساحر الماء



قريمتي تعرف حيناً للشيخ (عبد الرزاق) ..

منذ طفولتي كان الشيخ (عبد الرزاق) موجوداً ، ومن الواضح أنه  
سيظل هناك أبداً حتى بعد ما تموت نحن ، . هذا انطراز من المسنين لا  
يموتون بسهولة . إنهم قد عقدوا مع الموت صداقة وحلفاً منذ عقود .

هناك كنت تراه . جوار جدار الكتاب المداعي ، يجلس مبهمكاً في  
خياطة شيء ما .. يضم حبات مسبحة ما . جواره ذلك الكيس الحيشي  
الذي لا يعرف أحد أبداً ما يحتويه ، لكثك على الأقل ترى غلبة المعسل الذي  
يلوكة طوال الوقت . وجواره العصا المشقوقة الشهيرة التي تشبه حرف  
اللاتيني ..

باختصار كان الشيخ (عبد الرزاق) يجعل كل المواصفات التي يعتبرها  
الريفيون (بركة) . لم يكن أحد يعرف متى يظهر ولا متى يختفي فقط  
تراه جوارك يردد

« قيوووووم »

بصوت معطوط طويل غنائي ثم يروح يردد

« الله .. الله »

مألئاً بها فمه متلداً بحرف اللام المعجمة

في المقابر كنت تراه . في المآتب كنت تراه . عندما تهرع القابلة لتفث  
أم عباس التي جاءها المخاض كانت تراه على الباب

حتى في هذه السن الصغيرة كنت أشعر بأنه شخصية أدبية ساحرة  
هات (يحيى حقي) و(يوسف إدريس) و(مارك توين) و(ماكسيم  
جوركي) وامنش بهم في قريتنا . سوف يتوقفون جميعاً أمام الشيخ (عبد  
الرازق) لأن عينهم الحساسة لن تتركه .

إلا أن أهمية الشيخ (عبد الرزاق) كانت تتضح بشكل خاص عندما



يرعب أحدهم في البحث عن شيء ضاع منه عندها كانوا يجلبونه  
ويقفون في احترام بينما يتقدم هو نحو المنطقة التي عليه أن يفحصها .  
يفرد قامته ويردد بعض الأدعية العاصمة ثم يرمع عصاه ممسكاً  
بفرعها، تاركاً طرفها الآخر يتدلى قريباً من الأرض يمشي بضع  
خطوات مترددة . قدماه المشققتان تضربان العبار ضرباً شعثاه  
ترتجفان كأنما التيار الكهربائي يسري فيهما

فحاة تهتز العصا ..

فجأ يتوقف حيث هو ويراقب الاهتزاز ليتأكد إن كان أصيلاً أم لا  
يتدلى الطرف الحر نحو الأرض يتوقف ويقول في وقار

« هذا »

ثم ينقص على العبار يحفره باظفاره التي توشك أن تكون مخالب .  
وسرعان ما تقبدي لأعيننا لفافة ما أو الشيء الذي فقده صاحبه .

كان الفلاحون يهللون ويجزلون له العطاء، وسرعان ما يركض صبي  
إلى البقال (عرت) ليبتاع بعض علب المعسل وكيلوجرامين من السكر  
وبعض الشاي ..

من حين لآخر كانت القرى المجاورة ترسل في استدعاء هذا (الخبير  
الغبي) للبحث عن شيء ما . وكان ينجح دوماً . على أنه كان يقوم من  
حين لآخر بالبحث عن أماكن المياه إذا أراد أحدهم دق (طمعبة) في هذا  
المكان بالذات ..

كانت عصاه لا تخطئ .. وكان مصدر فخر دائم وتهيب في قريته

كان هذا في الماضي غير أنني لم أعد أسأل القرية كما تعرف تركتها  
وتعلمت في العالم الواسع، لكنني لم أرل أنكر الرجل وأندش بشدة  
لقدراته تلك ..

في العالم الغريب رأيت فيما بعد ذات المشهد كثيراً . الرجل الذي

يحمل عصا مثقوقة كلسان ثعبان يفتش بها عن بئر ماء عرفت أن هذا نوع من السحر معروف ومشهور جداً عندهم لكنني قدرت على كل حال أن الصدفة تلعب دوراً لا بأس به في هذا كله

في تلك الأمسية كنت في بارد (مصطفى) استاذ علم النفس هلم أنت تذكره بالتأكيد لقد كانت لي معه قصة أو قصتان في هذا العال بالذات .

كنا نتكلم عن القدرات الحارقة، وحكيت له عن هذا العجوز . ظل يصغي لي في اهتمام وعباء تتسعان في كل ثانية فلما فرغت سألتني  
«هل هو ما زال حياً ؟»

«على قدر علمي نعم ..»

كان د (مصطفى) واسع الثقافة .. وله اهتمام بالغ بعلوم الأنثروبولوجي، كما كان مهتماً بالحضارات القديمة باعتبارها تمثل نوعاً من العقل المأطن عندنا . إن دراساته عن (فرويد) و(يانج) وميلارد العصاب جعلته مهتماً بهذه الأمور بشدة ..

نهض إلى مكتبته العامة فالتقى كتاباً سمياً تصفحه ثم قال

«أنت تتحدث عن سحر الماء أو الـ dowsing هي هذه الطريقة السحرية يستعمل أحدهم عصا أو قضيباً للبحث عن الماء تحت الأرض أو المعادن المغيسة . هنا يستعمل ممارس هذا السحر أساليب حفية للوصول إلى أجسام مادية هناك طريقة أخرى هي استخدام الحرائط هؤلاء تصنع أمامهم خارطة وهم يحركون السدول فوقها حتى يبدأ الاهتزاز .. تكون هذه علامة على وجود ما يبحثون عنه هناك ..»

أنتسعت في سري وقد تخيلت الشيخ (عند الرارق) يرفع بتدولاً فوق خارطة سوف يعتبرك مجبوراً أو رقيقاً لو طلبت منه شيئاً كهذا

أردف د. (مصطفى)

«من يؤمنون بهذه الظاهرة يتحدثون عن القوى الكهرومغناطيسية التي تحدثها المياه تحت الأرض . هذه القوى تنسرب لعضلاتهم فتجعل العصا تهبط . هذا قد يفسر البحث عن الماء لكنه لا يفسر البحث عن الكنوز أو البحث على الخرائط .. أما من لا يؤمنون بهذه الظاهرة فيقولون إنها حركة عضلية أو فكر- حركية ideomotor action تتم بواسطة عقل الساحر أي إنه مقتنع بما يفعله ولا يعتمد خداعك، لكن عضلاته تفعل ذلك ..»

قلت في شك :

«لكن هذا لا يمنع من أنهم يجدون أشياء فعلاً»

«ليس تمامًا .. عام 1949 أجريت في أمريكا تجربة شاملة على عدد من هؤلاء السحرة حوالي 27 منهم . وقد فشلوا فشلاً ذريعاً في العثور على الماء في حقل .. بينما استطاع عالم جيولوجيا أن يجد الماء في 16 موضعاً في الحقل ذاته . هذا يلخص مقولة كذب المنجمون ولو صدقوا لكن هناك تجربة أخرى هي تجربة (شوين) التي تمت في ألمانيا عام 1987 أجريت على 500 ساحر ماء .. اسم التجربة (شوين) ومعناها (الجرن) والسبب أنها تمت في جرن قرب ميونيخ .. وقد بينت أن هناك جانباً من الصدق في القصة أنت تقدم لي الآن ساحر ماء مصرياً ومن قريتك (محفوظ) .. يجب أن أرى هذا الرجل ..»

قلت في غيظ

«أنت لا تتوقع مني أن أجدك لقريتي في هذا الوقت مآلداث أنا مشغول .. ولست متأكدًا من أن الرجل حي .. ثم ..»

«الآن أنت تعرف ما أريده منك ' لقد وفرت علي عاء السؤال '»

«كدا وجدت أنني منطلق بالسيارة إلى قريتي في ظروف عربية حوار عام أصلع متحمس ..»



عند العصر وجدنا الشيخ (عبد الرزاق) كما هو حوار جدار الكتاب  
المتداعي الرطب يعصغ البغ ويرد بصوت معطوط طويل غنائي  
«قيوووووم !... الله .. الله»

مالئاً بها فمه متلذذاً بحرف اللام المفخمة ..

لم يكن قد تقدم في السن .. كيف يتقدم في السن من يبدو منذ  
مراهقته كأنه في التسعين؟ ..

كار (مصطفى) قد أعد الاختبار من قبل كما يلي نحن نملك قيراطين  
قرب الساقية القديمة تجول هناك قليلاً وعد الحشرات معتمداً على  
باطور غرسناه هناك .. ثم نزع ساعته الذهبية وحفر لها حفرة، ثم دفنها  
فيها بعد ما لفها في كيس بلاستيكي ..

صحت محتجاً أن هذه مخاطرة . الساعة ثمينة بالفعل لكن  
(مصطفى) قال لي في ثقة.

«إما أن يعدها فتعود لي وإما لا يجدها فتظل حيث هي لاستخرجها  
أنا .. لاحظ أنه لا أحد يعرف مكانها سوانا»

عندما فتح الشيخ عينيهِ الرماديتين، وحينئذ بدا أنه يتذكر أبي .  
دسست في يده علمتين من المعسل وهي اللغة الوحيدة التي يجيدها وقلت  
له إننا بحاجة له . هذا صديقي من القاهرة . د مصطفى  
سأله بصوت ولهن .

«دكتور؟.. هل معك علاجات للمفاصل؟»

قلت ضاحكاً:

«ليس دكتوراً بالمعنى الذي فهمته . فقط نحن في حاجة إليك  
لتساعدنا في العثور على ساعته الذهبية التي فقدناها في أرضنا .. إنها  
باهظة الثمن فعلاً»

هكذا بهض معنا الشيخ حاملاً عصاه الشخصية وسألني عن اسم أبي  
ألف مرة . فكنت أجيب وأؤكد له إنه مات . سرعان ما ينسى هذا بعد  
ثلاث دقائق ..

أحيراً وقفنا في أرضنا . قلت له إن هذا هو المكان وإن له الحلوان لو  
وجد الساعة ..

راح يردد أدعيته الغامضة ثم رفع عصاه بتلك الطريقة التي رأيتها ألف  
مرة وراح يدور في الحقل منتظراً الإشارة .. أو ربما منتظراً أن يتولى  
عقله الباطن الموضوع ..

مرت عشر دقائق وهو يروح ويجيء . لم يقترب قط من موضع  
الساعة ..

نظر لي (مصطفى) نظرة ذات معنى . واضح أنه سيفشل .

أحيراً دار الشيخ حول جدار متداع في ركن الأرض . بقايا غرفة كان  
خفير يقيم فيها يوماً ما، ووقف هناك . لقد هبط طرف العصا في هذا  
الموضع .. كان هذا واضحاً ..

صاح بصوته الواهن :

«هنا يا ابن ... قلت لي ما اسم أبيك ؟»

لم أرد . فقط مشيت إلى حيث كان يقف وحيث كانت العصا تشير .  
وقفت في هدوء .

«لا أعتقد أن عصاك صدقت هذه المرة يا عم الشيخ .»

«عصاي لا تكذب .»

قالها في لوعة وحرارة . فجئثت على ركبتني وأزحت بعض الغبار  
طبعاً ليس هذا هو المكان ولا يمت له بصلة . فغط أردت التأكد من أنه لا  
يوجد شيء ثمين آخر هنا ..



كان الرجل مصرًا في عباد علي أن هذا هو المكان، بينما أصورت أنا  
عليه لا يوجد شيء . بما مني (مصطفى) وقال همسًا  
«الأمور واضحة لقد فشل مثل سحرة (مين) لكنني أريد أن تجربته  
في شيء آخر غنا ..»

قلت للشيخ إننا سمرجل، لكنه راح يؤكد أنه لن ينصرف قبل أن يحد  
الشيء وينال الحلوان قلت لمصطفى همسًا  
«يبدو أنه لا جدوى من استرداد الساعة الآن . هي في أمان على كل  
حال ..»

وابتعدا تاركين الرجل يواصل التنقيب في الأرض  
كانت ليلة هائلة بات فيها (مصطفى) في دارنا وأكل كثيرًا جدًا، مما  
يدل على أن العلم لم يأخذ كل شيء منه ..

في الصباح الباكر قال لي إنه رغب في استرداد الساعة واضح أنه  
سيرحل وقد اكتفى من البحث العلمي بكل ما أكله من بعد وفطير مشلتت  
هكذا ذهبنا إلى الأرض . وعمدنا الخطوات إلى أن وجدنا مكان  
الساعة .. استخرجها من كيسها ولبسها، ثم سألتني عن موعد تناول  
الإفطار . فهو لا ينوي العودة إلى القاهرة (على لحم بطنه) .  
قلت له

«ما زلت لا أفهم سبب فشل الشيخ (عبد الرزق)، ولا لماذا أشارت  
عصاه إلى ذلك الجدار القديم»  
قال ضاحكًا.

«رما وجدت كنزًا تحت الجدار ..»

مشيت نحو الجدار المتداعي ووقعت أرقبه قليلًا ثم تصلبت . لقد  
رأيت القدمين المشققين من ورائه درت حوله لأجد الشيخ (عبد الرزق)



نائماً على ظهره .. لا لم يكن نائماً .. كانت عيناه تشحصان إلى السماء .  
ولم يكن يتنفس

هاهو ذا الكيس الخيشي إياه حوارده الكيس الذي كانوا يقولون إنه  
مليء بالكنوز ..

عندما لحق بي (مصطفى) شهق في رعب وتساءل هل هو ؟ . فقلت  
له نعم .

ثم أضفت وأنا أغمض عيني الرجل .

لم تكذب العصب كثيراً . عندما أشار طرفها إلى هذا الموضع باديات  
كان يقول إن هذا هو الموضع الأخير . نهاية رحلة الشيخ . لقد مات  
وحده في هذه الحقل وهو يفتش عن ساعتك ..

قال د . مصطفى في ضيق

« رحمه الله .. لكن العصا لم تنتمأ بشيء » لقد وابتته المية لأن أجله  
هان ..

قلت وأنا أنهض

دخل تنبأت العصا بموضع موته ، أم أن الموت جاءه في الموضع الذي  
أشارت له العصا ؟ هذا سؤال سفسطائي ملتف حول نفسه ولن يعرف  
إجابته أبداً . فقط أعرف أنني لا أحب سحر الماء هذا . وأتمنى لو لم أصغ  
إليه . هل استرديت ساعتك ؟ إذن تعال بخبر أهل القرية بوفاة الشيخ  
(عبد الرازق) ساحر الماء الذي فشل في مهمته الأخيرة .

\*\*\*\*\*



www.lilias.com/vb3  
RAYAHEEN

غير المدعو

«لا ياكتور (مسعود) .. صدقتي لن أطلب عليك ..»

أعرف أنك مشغول أعرف أن وقتك لا يسمح أنت من هؤلاء القوم الذين يتلذذون بأن يشعروا الآخرين بأنهم غير مهمين .. أذكر ما كتبته د (عادل صادق) أستاذ الطب النفسي الشهير عن أن الناس يمارسون لعبة (أنا بحير- أنت لست بخير) طيلة الوقت ومن ضمن أساليب هذه الطريقة أن يتظاهر المرء بالامشغال طيلة الوقت كأن الآخرين نامهمون يملكون كل الوقت

لكنني أرجوك أن تصغي لي بعض الوقت، فأنا مدعور وقلق ومتشكك

حتى بدأت القصة ٤. ربما منذ شهر أو شهرين

أنت تعرف أنني كنت بحاجة إلى تلك الجراحة التي تأخرت طويلاً كنت أوجل ذلك اليوم على أمل أن أجد نفسي شفيت تلقائياً، ثم صار الأمر لا يُطاق هكذا دخلت المستشفى الخاص الذي تملكه وبدأت أستعد لذلك اليوم أنت تعرف أن فصيلة دمي عربية وغير شائعة، لذا طلبوا مني أن أستعد لتردم من ذات الفصيلة، وقد استطعت تدبيره على كل حال

أحضرت اللتر الثمين وتكدوا من أنه حال من داء الإيدز والتهاب الكبد (سي)، وفي ليلة الجراحة جلست وزوجتي مهمومين ينتظر أخبارتها بما تفعله غداً إن لم أعد للحياة بعد الجراحة، وهو احتمال وارد جداً

في الصباح ذهبت لحجرة الجراحة حيث الكل يركض ذات اليمين واليسار، ولا أحد يعناني فقط رائحة الكبريت هذه تصايقي . كنت هناك تلبس ثياب الجراحة وقد وضعت ذلك المنظار الأبق الذي يغثني عن وضع العويصات، وبدوت وقتها كأحد سادة الجراحة في كتب الطب . قلت لي متلك الطريقة المحول،

«مستعد؟ .. جميل .. جميل ..»

وأشرت إلى مساعدك د (عصمت) كي يعد كل شيء، ثم دحنت إلى عرفة الانتظار د. (عصمت) طبيب شاب معتق الوجه دوماً يحيل بطريقة غريبة، له رقعة شعر قبيحة المنظر في عنقه . ومنذ عرفته لم أشعر براحة لمراهها حانت معرضة مذعورة تقول

«الدم الذي أحضره ليس في العلاج ..»

عماداً ؟ هل أخذه أحد ؟

« هذا واضح ! لقد سرق من الملائحة ولا أحد يحد تفسيراً .. »

ساد صمت رهيب ، ثم نظرت لي د ( عصمت ) وقال في شيء من الحجل

« معذرة . لا تقدر على إجراء هذه الجراحة الكبرى من دون دم

احتياجي على الأقل حاول تدبير نصف لتر لو عد مقبل ،

ثم نصرف . نظرت له وهو يتعد وقلت للممرضة

« مهذب هو د . ( عصمت ) .. »

نظرت حولها ثم قالت في شيء من الحرج والرعب

« لا أدري . لا أستريح له . إنه لا يحضر إلا الجراحات الليلية لونه

غريب جداً .. له رائحة كريهة .. »

لم ألحظ شيئاً غريباً ، ولكن صمراً . من أين تأتي رائحة الكبريت هذه

؟ شعرت لمعرضة أنها تكلمت أكثر من اللازم ففرت شعرت بأنها أرادت

التخلص من ضغط عصبي بأي شكل ومع أي واحد ..

هكذا بدا شكلي شديد البلاء وأنا أغامر غرفة الجراحة إلى حيث تنتظر

زوجتي القلقة .. قالت في لهفة .

حما شاء الله .. لم أعرف أنه بارع لهذا الحد ..

قلت في غيظ .

« لو كان من أجرى لي الجراحة فريق مكون من ( الزهراوي ) و ( هالستد ) و

( لستر ) و ( مجدي يعقوب ) ، لما انتهوا بهذه السرعة لقد سرق أحدهم الدم .. »

هكذا غادرت المستشفى وخصصت معامرة أخرى للحصول على دم من أحد

المتطوعين في العباسية كان فتى تبدو عليه علامات الإيمان كلها ، ويتكلم

بصريقة ( اللنبي ) في الإعلام غير أن ( اللسي ) كان يبقي إضحائك . هذا

الفتى كان جاداً ، اسمه ( بي سائب ) وقد أكد لي الجميع إنهم لا يعرفون له

اسماً آخر . تمكنت من جعله يتبرع بنصف لتر ، لكنني أوصيت المختبر

بالتأكد من أن دمه نظيف مع هؤلاء المدمنين يصير كل شيء ممكناً

من جديد تحديد يوم الجراحة ومن جديد استعدادت ، ومن جديد قابلت د

( عصمت ) أمام غرفة الجراحة ضحك لي مشجعاً لكنني لم أتحب نظراته قط

فجأة شعرت بحو عام من الارتباك . سمعتك تصرخ يا دكتور  
(مسعود)

«أنتم تمزحون» لو كانت التسلية مدعكم فاعلموا أن وقتي لا يسمح  
بهذا!»

وسعت من يقول

«هناك أكياس كثيرة سرقت من الثلاجة لا نعرف كيف ولا متى هذه  
مسئولية المختبر . على كل حال الدم الذي جلمه هذا المريض سرق قبل أن  
يفحص . .»

ومن جديد عاد د. (عصمت) يقول لي مواسياً

«فعلأ لا نعرف سبب هذا الحظ السيئ على كل حال (كل تأخيرة ولها  
حيرة) . .»

لكني كنت على وشك الانفجار من فرط هذا التلاعب بوقتي وأعصابي  
ومالي . هكذا تشاجرت ولعنت الجميع، ثم جمعت حاجياتي وغادرت  
المستشفى مع زوجتي .. لا اعتقد أنك تلومني يا د. (مسعود) أنت نفسك  
كنت في حالة ثورة غير عادية ..

على الباب اعتذر لي موظف الاستقبال وقال

«في المختبر أصابهم الذعر الفنيون والمرصات يتحدثن عن رؤية  
وطواط في المختبر قبل حدوث كل حادثة سرقة من هذا النوع .. هذا هراء  
طبعاً . لقد مسحنا المستشفى بعناية فلم نجد شيئاً هذه بناية استشارية  
حديثة لا يمكن أن ترى فيها شيئاً كهذا ..»

نسيت كل شيء عن هذا الموصوع وغادرت المستشفى إلى غير رجعة  
وصممت على أن أجري الجراحة في مكان آخر مع طبيب آخر أنا آسف  
طبعاً

على أنني بالصدفة قابلت تلك الممرضة التي كلمتني عن د. عصمت  
قابلتها بعد أسبوع في سوبر ماركت، ويبدو أنها تذكرتني أنا المريض  
النحس الذي يسرق دمه في كل مرة . قالت لي عندما سألتها عنك وعن د.  
(عصمت) .

«د. (عصمت) مريض جداً . لا أحد يعرف ما أصابه، لكنه في المستشفى





منذ عاشرتھا أنت شاحب تماماً .. ويعاني حالة فقر دم متقدمة ..

كانت تبدو مسرورة لهذا .. ولم ألمها بالقلق ..

على أنني بدأت رحلتي البحث عن دم من أجل الجراحة القلبية . ذهبت  
لذلك المقهى في العباسية وسألت عن (بي سالب) فعال لي القهوجي

إنه مريض يا بك يبدو أنه الإيدز والعياذ بالله ! إنه في مستشفى  
الحميات الآن ..

ارتجفت قليلاً .. هذا هو الدم الذي كنت سألتقاه في الجراحة . لحسن  
الحظ أنه سُرِقَ ورب صارَ نافعة .. صحيح أن المحوص كانت ستنت ذلك  
قبل الجراحة على كل حال، لكن الفكرة داتها مروعة . تذكرت هؤلاء اليوساء  
الذين كان ينقل لهم الدم قبل أن يعرف الطب مرض الإيدز . وفي الوقت ذاته  
كان المرحس موجوداً . هؤلاء كان نقل الدم لهم حكماً بالإعدام .

هنا خطر لي فكرة مرعبة . هناك طبيب غريب الأطوار لا يعمل إلا ليلاً  
يدعى (عصمت) . هذا الطبيب شاحب جداً . طبيب تصدر عنه رائحة كريهة  
كرائحة الكبريت، وله رقعة شعر غريبة في عنقه . هذا الطبيب يتكرر سرقات  
الدم من ثلاجة المستشفى فقط عندما يكون موجوداً . وطواط في المختبر  
قبر سرقة ادم . سرقت عييات الدم الخاصة بـ (بي سالب) هذا، وبعدها  
مرض د (عصمت) مرضاً لا يعرف أحد كنهه . لم يعرف أحد أن (بي سالب)  
مصاب بالإيدز إلا متأخراً جداً . فما معنى هذا؟

ماذا لو شرب مصاص الدماء دماء رجل مصاب بالإيدز ؟ . مرضية  
ثورية حقاً . كان مصاصو الدماء سعداء الحظ قبل ظهور الإيدز أما اليوم  
فهم في مشكلة من المنطقي أن يعرض ويبدو أن المرض لا يتصرف مثل  
الوباء العادي الذي يدمر الجسد ببطء على مدى عدة أعوام . يبدو أن  
الاستجابة سريعة جداً هذه المرة ..

هل تتابعني يا دكتور (مسعود) ؟ أعرف أنني أهذي . أعرف أنني أخرف  
.. لكنني طلبت منك منذ البداية أن تتحملني ..

لقد قرأت الكثير عن مصاصي الدماء بعد هذا . عرفت أن أساطيرهم تبدأ  
منذ عصر الفراعنة مع (سحمت) المحيفة التي لها رأس لبوءة . بعد هذا نجد  
مصاصي الدماء بقوة في الأدبيات الباطنية والأشورية . لاميا لاماستو

ليليث العبرية . الأخوات إمبوسني الهامة عند العرب كلهن شيء  
داته ففي كل الثقافات السامية سوف تجد ذلك النموذج إنها موجودة في  
الأساطير العالمية . الآشورية .. العربية .. العبرية ..

لفظة Vampire دأب أصل سلافي إن أهم أساطير عص الدم موجودة عند  
السلافيين . تذكر أن دراكيولا روماني هناك أنقسام كيسي مهم حدث عام  
1054 عندما اعتنق الصرب والروس والبغاويون العقيدة الأرثوذكسية، بينما  
اعتنق التشيك والدولنديون الكاثوليكية كانت هناك مشكلة الحث التي لا  
تتبع في التربة هذه الحث اعتبرها الكاثوليك حث قديسين بينما لأسباب  
واضحة اعتبرها الأرثوذكس حث مصاصي دماء لكن لفظة Vampire دخلت  
إنجلترا وفرنسا عندما اشتهرت قصتان محيقتان عن (بلوجيوفيتز) و(أربولد  
ناول) باحث فرنسي محترم هو (أوجستين كالميه) كتب عن مصاصي  
الدماء عام 1746 وأقر أنهم موجودون. هكذا صارت كلمة (مصاص دماء) على  
كل لسان . عام 1816 قدم (جون بوليدوري) قصة (مصاص دماء) التي  
كرست فكرة مصاص الدماء الأرستقراطي في الأدهن وقد استوحى  
الشخصية من الشاعر البريطاني لورد (بيرون)

الجابريل GANGREL نوع من مصاصي الدماء يفصلون الأماكن  
المقفرة، ولهم قدرة فائقة على تعبير الشكل إلى نخب أو وطواط إنهم  
يحبون معايشة الحيوانات الضارية لأن هذا يناسب طبيعتهم أكثر مع  
الوقت ينمو لهم شيء حيواني مثل عين القطة أو القراء أو أدن البوطاط هـ  
ينكر هذا بشيء ؟

قالوا في العرب أنه يسهل عليك معرفة مصاص الدماء لأنه يكون الطفل  
السابع لأخوة من نفس الجنس عندما يموت وتفتح قبره تجد قدمه  
موضوعة في ركن البابوت ..

في الهند يؤمنون أن البطيخ الذي يترك في البيت حتى يفسد يبدأ في  
الحركة ويتحول لكائن يمتص الدم قرأت عن الأساساوسام في غانا  
الداشنامار في أرمينيا الذي يمتص الدماء من أقدام المسافرين ليلاً في  
البنابيا (اللوجات) في اسمراليا (يارا ما بها هو) ، في بلغاريا (أوبور)  
في الصين (شياج شيه) يخرج من حثه معقحر ويبدو بشرياً لكنك تعرفه  
عندما لا يتمكن من عبور الماء الغرايكولاكاس في اليونان الذي يأتي لدارك

ويناديك بالاسم طالباً الدخول..

هل كل هذه أساطير؟..

لهذا اتصلت بـ ياد (مسعود) طالباً هذا اللقاء من الغريب أنك لم تطلب مني أن آتي لك. قلت إنك ستأتي لي في داري مساء اليوم. هذا شرف عظيم ولا يتسق مع أشغفك الدائم. طلبت كذلك أن أكون وحدي في الدار لأن ما يستلزمه سيقلق زوجتي. هكذا رنبت أن تذهب زوجتي والأولاد إلى بيت حماتي

من غريب كذلك أنت وقفت على بابي وسألتني في اهتمام

هل تدعوني إلى الدخول؟

طبعاً.. طبعاً..

متأكد؟

سري هذا التهذيب المبالغ فيه وسمحت لك الآن أحكي لك هذه القصة وأقول بكل وضوح أنا أشك في مساعدتك (عصمت). كل شيء في هذا الفتى يوحي بأنه سارق الدم. ومن المؤسف أنه لا يسرقه لبيع بل لأغراض أخرى.. ما رأيك؟

نظر لي د (مسعود) وابتسم في غموض وقال

قد يكون (عصمت) مجرد ضحية باتسة. فكر في هذا مرتين.

لا أفهم..

أنت قرأت الكثير عن مصاصي الدماء. لكن ألم تفراقط عن أنهم لا يدخلون دارك إلا إذا دعوتهم؟. فقط أردت أن أقول لا توجد قواعد في موضوع الخوارق هذه. لا يجب أن يحمل (الحانجريل) رقعة فراء أو عين قط. ثم راح يضحك. يضحك. وصدره يهتر. هنا رحت أتذكر القصة من جديد. لماذا أصر على أن أدعوه لداري؟. أمر غريب بالنسبة لرجل مهم كهذا مشغول كهذا..

في لحظة كنت على الباب وفي اللحظة التالية كنت في الشارع رغم أننا نسكن في الطابق الرابع. ورحلت أحري وأجري. ويبدو أنني سأطر أجري ما تبقى لي من عمر.

\*\*\*\*

www.lillias.com/vb3  
^RAYAHEEN^

مسورة!

قادت في حياتي - كما تعرفون - عددًا لا بأس به من عربيي الأَطوار  
جزء من هذا يعود لأسبي فضولي جدًا مولع بمعرفة كل شيء أجهه، أو  
بعبارة أخرى مولع بأن أضع أصبع قدمي في أي ماء لأعرف إن كان  
ساخنًا أم باردًا - الجزء الثاني يعود لأنني أنا نفسي عريب الأطوار  
الطيور على أشكالها تقع في كل مكان ورمال

(ممدوح الفار) كان غريب الأطوار بالتأكيد - لا أعني أنه كان يعيش  
عاريًا بكسرولة على رأسه (وليته معل) لكنه كان معجبًا بأمور غريبة  
علم قراءة الأبراج، الجان، تحصيل الأرواح الوجيها .

أما عن ملامحه فلا تهيك في شيء - نقل إنه من طرار (أصلع -  
سحيل - فارغ الطول - مدعور على الدوام - يصدق كل شيء) .. وهو متزوج  
لكنه منفصل عن زوجته - يحب أن يصف هذا - (الطلاق النفسي) كان  
استاذًا للفلسفة في الكلية التي أعمل بها ولن أعطي تفاصيل أكثر حتى لا  
تضمن من هو .. ( )

كلما تذكرت هذه القصة تذكرت تلك الآلام في ظهري والتي لم يستطع  
الأطباء أن يجدوا لها حلاً - سبب تذكري لها ستعرفه حالاً

كانت هناك يوماً جلسة تحضير أرواح يحضرها يوم الخميس .. وقد  
طلب مني أكثر من مرة أن أنضم له هناك فكنت أعتذر - بصراحة كانت  
تحربني مع تحضير الأرواح محبطة، وفي كل مرة كنت أجدها مجرد  
أكذوبة مفقودة - لم يعد بوسعي أن أصيب وقتي أكثر من هذا

على أنه ألح علي في هذه المرة بالذات - والسبب

«سنحضر روحاً فريدة من نوعها تستحق أن تشهد زيارتها - تذكر  
إن صديقنا المشترك (عزمي) سيكون هناك»

قلت في برود

«لا نقل إليك ستحضر روح (هنتر) أو (بيرون)»

«لا هذا ولا ذاك . لكني لن أعطيك أى تلميح مالم تأت .»

«إذن لن أعرف أبداً .. هل تعرف الصيب ؟»

«لا ..»

«لأنني لن آتي مهما حاولت ..»

كنت بائساً قاطعاً مما جعله يتعامل بنوع من العنور المعناظ معي .

مر يوم الخميس إياه . ولم ألقه إلا بعد ثلاثة أيام مسالته عن الجلسة فقال  
إنها كانت ناجحة . لا مشكلة هنا لأن الجلسات لا تقبل أبداً في رأيه

مرت الأيام واتصل بي يطلبني لتجربة معينة، فذهبت له في داره .. لأن  
ما يقدمه كلام فرغ غالباً لكنه مسل دائماً . . الدار خالية تعميها الفوضى  
كما هي العادة لكن لديه مكتبة تثير حسد مكتبة الكونجرس ذاتها . حياة  
عزاب كتيبة فعلاً من الطرار الذي تجد فيه الملاحه في الحمام والمنشفة  
فوق استغريون . مصرب التنس القديم يستعمل كمصفاة للمكرونة كما  
يفعلون جميعاً ..

قال لي وهو يجلس أمامي

«ما زالت تلك الآلام في ظهرك طبعاً ؟»

«أوشك أن اعتبرها ضرورة للحياة ..»

جنب مقعداً وجلس أمامي حتى تلامست الركبتان، ثم مد يده والتقط  
أصبعين من كلي . مشهد عاطفي مؤثر حتى توقعت أن أسمع موسيقا  
(دعاء الكروان) لذا أجعلت وجذبت كلي لكنه قال بلهجة هائلة

«ثق بي .. ونظر في عيني»

رحت أنظر في عيني المذعورتين المتسعيتين . بينما راح يمرر أنامله في  
رفق من ذراعي إلى كتفي مراراً وتكراراً . وضع يده تحت حافة صلوعي  
وساء صمت طويل ..





قلت له في تملعل مرتاب:

«ماذا بك؟»

قال آمراً:

«ش ش ش ش ..! اخرس من فضلك»

فخرست ..

في النهاية قال لي:

«هل تشعر بها؟»

«ما هي؟»

«تلك التشعجات الخفيفة .. في ظهرك»

الحق اني بدأت فعلاً اشعر بشيء كهذا لكن ما معناه؟

قال في هدوء

«لقد زال ألم ظهرك»

رحت اتحسس ظهري هذا صحيح لا اشعر ألماً ، لكن ما أقوى

الإيحاء! إن المعالجين الروحيين يفعلون هذا وأكثر

قال لي:

«الامر ليس سحراً فقط انا أحاول ان أعطيك بعضاً من معناتيسيتي

الحيوية الذاتية **الصحة** هي تدفق حر للحياة عبر القنوات في أجسادنا،

وعندما تفسد هذه القنوات يحدث المرض .. هناك حاجة إلى الدبو من

جسم حيواني معناتيسي ..»

بدالي هذا الكلام مألوفاً . هناك كلام شبيه بهذا يقال عن الإبر

الصينية .. لكن الإبر الصينية علم تمت دراسته جيداً أما هذا الكلام فأقرب

إلى الفلسفة

قلت له .

«من علمك هذا الكلام ؟»

«لا أدري .. لكنه مهم إلى درجة لا توصف»

فارقته وأما أعرف ما سيحدث حتماً . سوف تعود الآلام كما كانت ..  
وهو ما يحدث لكل من يتعامل مع المعالجين الروحيين سواء كانوا الخبير  
الغليبيبي (ماكمارا) أو الشيع (عطوة) في قرينك . هي البداية يعمرك  
الدهول والانبهار وتعتقد أنك شفيت . بعد أسبوع تدرك أنك خدعت .

عدت أمارس حياتي إلى أن اتصلت بي زوجته بعد أسبوعين . كان  
لديها رقم هاتفي طبعاً . سألتني عنه وعن حالته العقلية، فقلت إنه ليس  
أكثر خيالاً من اعتاد .

قالت لي بصوت حائف

«إنه يأكل كميات هائلة من الطعام وقد ارداد بدانة . وقد أنزل خصلة  
شعر على جبينه كأنها (قصة)»

كنت أعرف انهما منفصلان تقريباً، فلماذا لا تتركه في حاله ؟ . إن هي  
إلا حالة مراهقة متأخرة ثم انه يحيل جداً وسوف تقيده بعض البدانة



قالت لي في توتر:

«زارني الأسبوع الماضي وهو يحمل بعض البعالة متلحقاً، وأصر على  
أن أكل وجبة كبيرة من رقائق القمح باللبن أنا لا أحبها وهو لم يأكل  
معي فقط شعرت ببعاس عميق عندما صاحوت من يومي فحاة . هل  
تعرف ما كان يفعله ؟ . كان يثبت على جسدي عدداً من قطع المغناطيس  
الصغيرة قطع في حجم الطفر وقد أصابني الهلع من هذا الحثون  
فصروخت فيه وطردته»

«كان عليك الانتظار حتى يفسر الأمر»

علم يفسر .. لكبي أشك في رقلق القمع هذه ..

قلت لها في شيء من الحديث

لأن رقلق القمع من المصادر الثرية جداً لبرادة الحديد . إنها سامة فعلاً لكن الآباء المخابيل يصرون على شرائها لأطفالهم، ومعنى هذا أن زوجك أطعمك في تلك الليلة كمية وافرة من برادة الحديد، ثم راح بثبت مغناطيس على جسدك؟

حولاداً يفعل هذا؟ ..

وكيف لي أن أعرف؟ إن للناس هوايات غريبة .. ربما كان تثبيت المغناطيس على جسد امرأة ابتلعت حديدًا أمر مسـل .

شمة شيء مألوف في هذا كله ..

في مكان ما في زمن ما قرأت عن تجربة مماثلة لهذه . لكن أين ومتى؟ وعندنا انفردت بنفسي في مكتبي، رحت أقلب الموسوعات ثم بحثت عن عنوان (المغناطيسية الحيوانية) . هذا هو

على الفور يطفو على السطح اسم (مسمر) الألماني (فرانتس مسمر) الذي ولد عام 1734، والذي اعتبره البعض عقرياً واعتبره البعض بصائناً لكن لفظة (مسمر Mesmerism) دخلت كل اللغات الغربية بمعنى (العائب عن الوعي شجبه المفهوم مغناطيسيًا) ولا غرابة في هذا لأن أبحاثه هي التي قادت إلى التنويم المغناطيسي كعلم بعد ذلك

كان (مسمر) يحرب نقل طاقته المغناطيسية للناس . وبعد محاولات على أفراد قام بعمل جهاز عملاق يدرك بأجهزة الحاسب الآلي العملاقة Mainframe يمكن لعدد كبير من الناس أن يجلسوا حوله، وأن يلمسوه بأيديهم لتصلهم طاقة (مسمر) ..

جرب (مسمر) عمل نوع من المد الصناعي على امرأة بأن أطعمها

الحديد ثم ثبت المغناطيس على جسدها، وقد شعرت المرأة بتحسين حالتها النفسية بعد ذلك .. هل تتذكر شيئاً مشابهاً ؟

هل تعرف كيف يبدو (مسمر) ؟ إنه بدين له حمله شعر تنحدر على جبينه

شعرت بقشعريرة في ظهري وأنا أقرأ هذه البيانات في الدهابة هزعت إلى الهاتف وظلت (عزمي) الذي أعرف أنه كان في تلك الجلسة التي لم أحضرها ..

«(عزمي) ماذا تم في تلك الجلسة التي دعيت لها منذ أسبوعين ؟»  
فكر حيناً ثم قال،

«لا أنكر انشغالي كان (ممدوح) هناك وقد استدعى روح نصاب ألماني اسمه (مسمر) .. لا .. (مسمر) ..»  
«(مسمر) ؟»

«نعم نعم أنت بارع في تذكر الاسماء . كان (ممدوح) قد قرأ عنه وأراد أن يجرب استدعائه لا أعرف أكثر ما حدث لأن المحادثة كانت بالألمانية التي يجيدها (ممدوح) .. لقد أثار هذا (المسمر) هلعنا لأننا اتهمناه بأنه نصاب قال إنه لن يفارقنا وسوف يلازمنا للأبد قال إنه سيرينا إن كان نصاباً محق طلبنا من الروح الانصراف فلم تعط أية علامة ..»

لأن بدأت علامات الاستفهام تتكاثر القصة توشك على أن تكتمل فصولها وتصبح مفهومة ..

مفهومة لكنني لا ابتلعها على الإطلاق ! ..

هكذا قررت أن أروى (ممدوح) في اليوم التالي

فتح لي الباب وبالفعل كان شكله قد تغير جداً خلصت شاعراً بالحرع ولم أنس أن لاحظ تلك الصورة الكبيرة المعلقة في الصالة صورة وحة

رأيت في مقال المغناطيسية الحيوانية ...

سألني عن ظهري فقلت إنه بحير . ثم قررت أن أبدا :

«عن أين جاءت أفكار المغناطيسية هذه ؟»

«قلت لك إنني لا أدري ...»

«هل ينكر هذا بأبحاث (مسمر) ؟»

نظر لي للحظة . ثم بدأ يصحك . يضحك . يهتز وتتسع عيناه أكثر

هنا قررت أن أهجم

«كان (مسمر) مخدولاً . وقد قيل إنه سرق رسالة الماجستير التي

قدمها عن علاقة حركة الأفلاك بـ«نفسية الإنسان» ...»

نظر لي نظرة نارية . ثم هتف بالالمانية وبصوت حفيظ

«أنا هو (مسمر) وسوف تدفع ثمن إهانتك!»

روح (مسمر) في جسد صديقي وأنا معه وحدنا في شقته . كم أن

هذا يثير البهجة ! . لا أعرف كيف نهضت . ولا كيف جريت إلى الباب .

ولا كيف رحلت أثب درجات السلم إلى أسفل

لقد بلغت الأمور درجة لا تصدق ...

عندما سمع د (مصطفى) الطبيب النفسي قصتي صحت كثيراً جداً .

وقال لي :

«كل هذا هو الإيحاء . إن تحرمة تحضير الأرواح تحدث هزة نفسية

كما قال (ياج) . وهذه الهزة كشفت عن العصاب الكامن في نأحله .»

«هل يضايقك أن تتكلم العربية ؟»

«أنا أفعل ذلك»

«هل تتكلم الفرويدية ؟»



قال في صدر

عليكن هذا الصفط العصبي أدى إلى أن يعتقد أن روح (مسمر) حلت  
به فعلاً ولا تنس أن المصابين بالعصاب يملكون طاقة نفسية هائلة مما  
يسمح لهم بالتأثير في الآخرين أغلب المشعوذين الذين يخدعون الناس  
فيهم شيء من الحبال . هكذا يعتقد كل إنسان لسه (مخدوع) أنه شفي ،  
«والحل»

«هاته لي . لو استطعت . وسوف أحاول علاجه ،

قلت وأنا انهض وأتعطى :

دعني الأقل كان الإحياء ذا نفع في حالتي لقد شفي ظهري تماماً  
قل ما تريد عن المعاطيسية الحيوانية . لكني أؤكد لك أنني  
أووووووو .»

«ما لك ؟»

قلت وأنا ارتمي على المقعد

«إن أسحب كل ما قلته فقط ابحث لي في صيدليتك عن مسكن قوي  
وعن دهان لآلام الظهر بسرعة وحياة والدك»

\*\*\*\*\*





www.lilias.com/vb3  
RAYAHEEN

حكايات لا يربطها شيء

(سلوى) و(عمرو) ..

هي في السابعة عشرة طالبة حيولوحيا . سمراء رقيقة تحب  
أعاني (كاظم الساهر) ، وتخرج أحياناً في رحلات كليتها . تلبس حذاء  
رياضياً وسروالاً من نوع (الجينز) وتعطي شعرها . هو في العشرين  
من عمره . تخرج في كلية الألسن .. له مظهر رياضي برعم انه يؤكد  
انه لم يلعب أية لعبة في حياته ..

هو يحبها كثيراً هكذا قال لأصدقائه . هكذا قال لي .. والسبب في  
هذا الاعتراف انه يمت لي بصلة قرابة

قلت له في حكمة كثيفة

«الحب ينتهي يوماً بالفراق أو الزواج . ثق ان هذه اللحظات لن  
تدوم لذا حاول ان تنعم بها ..

قال لي في تفاؤل:

«لا تؤاخذني ياد (محفوظ) . انتم من جيل فشل في الحصول  
على ما تمناه . ظللتم تراقبون الكون في اشتهاً وشغف وخوف حتى  
رحل عنكم . اما نحن فنعرف ان الحياة قصيرة .»

تمنيت ان يكون على حق ، لكن الحقيقة المفرعة التي لم أخبره بها هو  
اننا جميعاً قلنا ذات الكلمات لمن سبقونا

حبيبتي السمراء الرقيقة كانت تحب (عبد الحليم حافظ) ، وكانت  
تلبس مثلما تلبس (فاتن حمامة) في افلام الخمسينات . تلك التورة  
التي تشعرك بانك ترى سطة لا فتاة .. حبيبتي كانت تقرأ أشعار شاعر  
شاب موهوب اسمه (صلاح جاهين) وكانت تحب (عبد الباصر) .

حببتي تزن الآن قنطاراً، ولديها خمسة أولاد وجهها تعس مليء  
بالإحباط والقرف فلا شيء يبعث البسمة في وجهها إلا انخفاض  
سعر الطعام ولا شيء يجعلها تبكي إلا البصل . زوجها مدير عام في  
الرقابة الإدارية . روجتي أنا لا تختلف كثيراً

هذه هي الحياة . ما إن نتذوقها حتى نجدها قد ذابت في فمنا

(سلوى) و(عمرو) متعائلان أما أنا فحكيم بعيد العطر ..

ثم بدأ (عمرو) يتبدل صار صموتاً أقرب إلى الاكتئاب . ونبل  
كثيراً .

أهله فكروا في أشياء كثيرة تبدأ بالمرض وتنتهي بالإدمان لكنهم  
لم يستطيعوا أن يبرهنوا عن شيء من هذا ..

قالوا إنه الفشل في الحب، لكنهم وجدوا أن (سلوى) قلقة وملهوفة  
مثلهم .. لقد تغير (عمرو) كثيراً جداً فلماذا تغير ؟

إلى أن جاء اليوم الذي تأخر فيه كثيراً جداً في غرفته لم يصح من  
النوم حتى الواحدة ظهراً قرر أهله أن يقتحموا الباب المغلق .

هناك حلف الباب وجدره . كأنه كان يحاول فتح الباب عندما سقط  
أرضاً .. عنقه ملتو بطريقة غير مألوفة وقد تصلبت قسماً وجهه  
يبدو أن موته لم يكن سهلاً أو هيناً .. الطبيب لم يستطع فهم سبب  
الوفاة .. فقط لاحظ نرفاً بسيطاً من إبهام قدمه اليمنى وبداله كأن  
أحدهم حاول انتزاع الظفر من مكانه ...

(عمرو) محظوظ على الأقل لم يعيش ليرى اللحظة التي تنتهي  
فيها قصص الحب العظيمة ..



نطرد (هوفمايشتر) إلى الشاب الراقد على السرير وتهدد . لو كان يتقاضى ماركًا عن كل مرة يرى فيها مخبولاً لصار اليوم مليونيراً

كان الشاب نحيلاً له وجه طويل مع سالفين ضخمين متفوشين، حتى يذكرك بوجوه المذعوبين في أفلام الرعب . وكنت به عيان زرقاوان مخيفتان . وكلما أحد شهباً عميقاً ابيضت عيناه أكثر

سأله د. (هوفمايشتر):

«مصر على هذا الموضوع ؟»

قال الفتى

«نعم .. أنا أتلاشى يا دكتور .. لم يعد لدي وجود مادي . أنا أتحول إلى طيف لم يعد لي ثقل مادي ولا ظل .»

كان الطبيب يعرف هذا العرض وقد سمع هذه الشكوى مراراً لكن العلاج موضوع آخر

«ومصر على أن هذا حدث لك منذ زيارتك لمصر ؟»

«نعم . نعم . كنت هناك مع صديقين لي في نوع من سياحة الفقراء .. لم يكن معنا مال كافٍ، ولكننا تمكننا من رؤية الكثير هناك ثم تعرفت هذا الشاب المصري المذهب الذي يحيد الألمانية وقد قبل أن يكون دليلنا ..»

«ثم مات ..»

«نعم . نعم عرفنا أنه مات بلا تفسير أصابنا هذا مكتئاب شديد لم يكن هناك الكثير مما يمكن عمله . عدنا إلى الوطن، وعدنا بمارس حياتنا العادية .. ثم بدأت لاحظ هذا التعبير في شخصيني»

صعد الطبيب على زر جهاز التسجيل ليغلقه. ثم قال في صبر:

«المشكلة في المرض النفسي أن كل واحد يفترض أن حالته فريدة من نوعها. أنا سمعت شكاوى ألف مرة من قبل، ورأيتي الخاص أنها حالة عارضة تلت رؤيتك لشاب مليء بالحياة يموت. سوف أحاول علاجك ويعلم الله أن هذا لن يكون سهلاً، لكنه ممكن. المهم أن توقن أنه ممكن.»  
بهض الفتى في ثقل. وقف أمام المرأة الكبيرة التي يضعها الطبيب في مكتبه. كان ظهره لها فلم ير انعكاس وجه الطبيب ولا عيبيه المتسعين..

كان الطبيب يقول لنفسه:

«يقول إنه فقد وجوده المادي. الآن أنا أرى في المرأة وجهي بوضوح تام. لكنني لا أرى انعكاسه برغم أنه يقف في مجالها بالضبط.» يبدو أن هناك مجنوناً واحداً في هذه القصة. هو أنا؟

\*\*\*\*

3.

ترقص (أكيجي) كما لم ترقص من قبل. عندما تحتسي الساكي تتحرر من كل القيود. وقد كان (جوشيمما) يراقبها كالمذهول وهي تتلوى في الضوء الأحمر القادم من لا مكان. الأرض تهتز بالنفحات فتسري في جسدها ليهتز بدوره..

قالت به وهي تلصق رأسها بجبينه:

«أنا أحبك.»

لشد ما تغيرت بعد تلك السباحة التي قامت بها إلى ألمانيا. كان يتوقع أن يفقدها للأبد، لكنها عادت أشد حرارة. خفيفة كأنه لا وزن لها.



ثم ذلك الوشم الذي تضعه على كتفها . عندما دقق النظر فيه شعر بأنه  
وُضع هناك بالذات ليدياري شيئاً آخر . شيئاً أقرب إلى حرق كهربائي سألها  
عنه لكنه وصفت إصبعها على شعته بحركة ذات دلالة معبها أن يخرس .

عندما ترقص (أكيجي) يتلون ليل (طوكيو) بلون الخمر

عينها تلمعان في الظلام . عندما سألها عن ذلك قالت له إنها تلك  
العدسات المتصقة الفوسفورية عدسات فوسفورية ؟ إن الموهبة لن  
تنتهي أبداً ..

(أكيجي) ترقص وتاكل في نهم . (أكيجي) تمام طيلة النهار وتصحو  
ليلاً . (أكيجي) تهيم بك حباً . (أكيجي) تريد أن تختلي بك هذه الليلة فهل  
ترفض ؟

(أكيجي) تغيرت كثيراً، لكن أباك كان يقول من يصيب وقته في  
الأسئلة عندما تتفتح أرواح الفرح هو شخص أحق ..

وانت لست أحق .. ولن تكون ...

#### 4.

يقول (فيودوروف) لرفاقه:

«هي طوكيو يستحيل أن يجد المرء نفسه وحيداً .»

في (كييف) عندما تنهمر الثلوج وعندما يتجمد بخار الماء على ياقة  
معطف الفراء، تشعر بأنك وحيد حقاً . لكن في طوكيو يستحيل أن تكون  
وحيداً ..

تسأله (ناناليا) في مرج:

«هل تشعر بقدوم لأنك عدت ؟»

ينظر لها باسمًا ويقول:



«مستحير في النهاية هناك (باتاليا كوبرين) واحدة.»

عندما وضع يده على كتفها بدت لها خفيفة جداً كأنه لا وزن لها . لشد ما هزل تعرف أن الطعام الياباني مثير للاشعزاز لكن ليس إلى هنا الحد..

تسأله.

«لم تهمل لوفاة ذلك الفتى الذي كان صديقك؟»

يهز رأسه كأنما يطرد النكري عنه.

«بلى .. قلنا أحذني مصيبة إن كنت أكذب .. شاب مفعم بالحياة يجدونه ميتاً خلف باب غرفته بلا أدنى سبب . فقط هناك دم عزيز ينزف من إصبع قدمه الكبير ..»

قال (الكسييف)

«هذا شيء شيطاني في تراث الكنيسة أن الشيطان يغادر الجسد من هذا الموضع . طبعاً بعد ما يتلو القس صلاة طرد الأرواح الشريرة ..»

قال (فيودوروف) في خبث:

«الفتى ياهاشي يا عزيزي . هناك يعبدون موذا وأشياء من هذا القبيل اعتقد أنه لم يرقساً ولا كنيسة في حياته»

«قلت لي ما اسمه؟»

«(جوشيم) . ولا تسألني عن الاسم الكامل لأنني لا أملك ذاكرة من

حديده

\*\*\*\*

يتمتع د (مارورسكي) بحاجمين كثيرين يعطيانه منظرًا قوطيًا عتيقًا  
يتناقض مع كونه من ألمع علماء (ناسا)..

إنه حارس في قاعة المحاضرات وخلفه شاشة عملاقة عليها صورة  
لكوكب الأرض كما تظهره الأقمار الصناعية . الكوكب المشاعب الفزق  
الذي يبدو مسالمًا وديعًا عندما تراه من بعيد . هناك عدد من علماء (ناسا)  
لا يقل عن عشرين يتابعون محاضراته باهتمام بالغ .

يسأله أحد العلماء

«تونجوسكا من جديد؟»

يقول:

«لم أزع هذا . لا أزع أن حادثة نيرك تونجوسكا تكررت . عندما  
سقط النيرك العملاق من الفضاء ليلمس الأرض في سيبيريا ثم لم يعد له  
وجود ولم يجد أحد أثره . لا . القصة هنا تختلف نوعًا . هذا نيرك  
صغير رصدناه يقترب من ساحل البحر المتوسط منذ شهر..»

وأشار إلى جنوب أوروبا وقال

«ربما هنا..»

وأشار إلى شمال أفريقيا وأردف:

«أو هنا..»

قال أحد العلماء:

«لقد صار بوسعنا أن نرصد النيرك بدقة بالغة . فلا تقل لي إن  
أحداثياتكم تقريبية..»



قال (ماورسكي):

«لأسف هذا صحيح هناك شهود يزعمون سقوطه هنا» وأشار إلى بقعة في مصر على ساحل البحر الأحمر وقال

«لقد ذهبوا إلى هناك في الظلام بحثًا عنه يزعمون أنهم وجدوه مفرغًا . كأن شيئًا كان بداخله ثم غادره . وعندما اشرقت شمس الصباح عادوا لنفس الموضع فلم يجدوا أي شيء . طبقًا لنحز لا نصدق هذا البراء ، فقد ائتمنا هديان الشهود والقصص المتناقضة ولهذا لا قبل قصة البحر الأحمر بشكل مطلق».

ثم أشار إلى دائرة كبيرة تحيط بشرق البحر المتوسط وقال

«يجب أن تراجع الإحداثيات وتعرف أين ذهب حقًا هذا هو عملكم وسبب ظلمي اجتماعكم هنا»

سأله أحدهم

«وماذا لو كان كلام الشهود صحيحًا» . ماذا لو كان التيزك يحوي شيئًا غادره وفرة؟

نظر له (ماورسكي) في غموض ثم قال:

«عندها تكون أفضل مشكلة نقابلها هنا في ناسا»

\*\*\*\*

-6-

تقول لي (سوي) وهي تمتص ما بقي في كوبها من عصير ليمون

«هذا هو سبب بقائي ساهرة ليلتها . كنا في ذلك الفندق في (القصير) كما رتبنا لنا الكلية . أنت تعرف أننا خرج في رحلات كثيرة إلى البحر الأحمر . نمت العتبات جميعًا ووقفت في الشرفة وحدي أنظر لليل

فجأة رأيت ذلك الشيء يهوي من السماء .. لا أدري أية شجاعة جعلتني  
أبقى مصلبة كما أنا بينما تلك الأشياء العربية تحدث .

نظرت لها في ثبات وبعضية سالتها.

«أية أشياء؟»

امتصت الليمون وزاعت عيها وبعد تفكير طويل قالت

«لا أدري»

«أنت مفيدة حقاً ..»

«صدقني لا أعرف ما رأيت . فقط كان غريباً جداً . وعندما افقت بعد  
قليل كنت في فراشي أنظر إلى السقف . أشعر بأنني خفيفة جداً . كأنني  
تحررت من أي ارتباط مادي لي ..»

ثم أشارت إلى كتفها وقالت:

«هناك حرق غريب الشكل هنا . لا أعرف مصدره .. فقط أخبرتك  
(عمرو) - رحمه الله - بهذا وكان رأيه كرايك . أنا مجرد حمقاء هستيرية .  
لا أعرف لماذا قال هذا ..»

«ربما لأنك مجرد حمقاء هستيرية»

مدت يدها تحت المنضدة وراحت تبحث مما وهناك وفي النهاية فوجئت  
بقدمها العارية تصرب ساقي . لقد برعت حذاءها الرياضي لتريني شيئاً ما .  
قالت وهي تضحك:

«لا أعرف إن كان لهذا أهمية ما أم هو ضرب آخر من ضروب حماقتي  
.. إن أصبح قديمي الكبير صار متورماً دامياً . كان به كائناتاً حبيساً يحاول  
التحرر . أحياناً أشعر بأن الظفر يحاول أن يفتح كبوابة مغلقة ليخرج  
منها شيء ما .. ما رأيك؟»

نظرت لقدمها الكبيرة وقلت لنفسي إنها سعراء رقيقة، لكن قدمها لم  
تظفر بشيء من هذا الجمال إصبع به شيء يحاول التحرر<sup>٥</sup> إن  
السحب البشري لن يتوقف عند حد...

\*\*\*\*\*

www.lillias.com/vb3  
RAYAHEEN

ت. د. م



عندما كنت في لندن، هي تلك الفترة الثرية التي قضيتها مع د (جيمس ماتيسون) ومع جمعية البحوث الروحانية البريطانية، مررت بتجارب عديدة هي التي دفعتمني إلى أن أكتب هذه الأوراق . لو لم تدون ما رأيت وسمعت وعرفت لما شعرتك أحد، ولما عرف أحد أنك كنت هنا . ما قيمة سقراط لو لم يدون أفلاطون محادثاته ؟ . هل كنا سنعرف أن هذا الرجل مشى يوماً على قراب اثينا ؟ ..

أنا لست سقراط .. لكنني أكرهه إلا يعرف أحد أنني كنت هنا وأمني عشت ربحاً من الزمن، ولا أنني عرفت الكثير من الأمور المثيرة .

كان لقلتي الأول مع أحد العائدين من الموت في المستشفى الملكي المجاني في (إدبره) اصطحابي د. (جيمس ماتيسون) إلى هناك بسيارته الصغيرة التي تتحرك بمعجزة، ومشينا في معرطويل إلى أن بلغنا الغرفة رقم (207).

غرفة جميلة هي يغمرها ضوء الشمس وهناك مزهريّة بها أزهار طازجة على منضدة فوق الفراش صليب كبير عند رأس المريضة ..

في الفراش نفسه تجلس مسر (إلين مكالستر) . امرأة في الأربعين من عمرها على قدر من الحمال والوقار، حتى وإن كانت مريضة . كانت تكلمنا وهي تلتهم إفطارها وأسلاك الأقطاب تبرز من تحت قميص نومها . والشاشة جوار الفراش لا تكف عن تسجيل نبضات ذلك القلب الذي قرر أن يكف عن العمل منذ يومين ..

وضع د (ماتيسون) ما جلبه من أزهار جوار الفراش، وأخرج مفكرة وقلمًا، ثم نظر لها ورفع حاجبيه بما معناه (تكلمي)

قالت بلكنتها الأسكتلندية المضحكة نوعاً

«طلبت أن أقابلك . عرفت أنك الوحيد الذي يفهم ما أحكيه بينما سيسخر الآخرون مني ..»

ابتسم ولم يتكلم فأردفت وهي تدس ملعقة (الجيلي) في فمها

«كانت هناك تلك الاضطرابات في النفس تأتي وتروح . اعتدت هذا  
إنني مدخنة . اشرب جالوبات من القهوة وعملي لا يخلو من توتر . إنني  
سكرتيرة تحرير في صحيفة ، وهذه المهنة هي التوتر ذاته .. أكثرنا يموت  
بنوبات قلبية على كل حال ..

«كنت أقف في المطبخ أعد لنفسني بعض القهوة . وزوجي في قاعة  
الجلوس لا أدري ما حدث ، لكنني قلت لنفسني إنني أفرطت في التدخين .  
إن مشروبات قلبي غير منتظمة . غير منتظمة على الإطلاق ثم لم  
استكمل الحاضرة لأنني سقطت في عالم الظلام ..

«لنيم بعد عرفت أن زوجي سميع صوت الارتطام فهرع إلى المطبخ  
ليجدني على الأرض وقد غطت الرغبة شفتي اتصل بالإسعاف كالسرع  
، وسرعان ما جاء هؤلاء ليجدوا أن قلبي قد توقف اضطروا لإجراء عملية  
إعاش قلبي تنفسي على أرض المطبخ .. ثم حملوني حملاً إلى السيارة

«في المستشفى توقف قلبي من جديد فاضطروا إلى توجيه صدمات  
كهربية له لم أدر بشيء من هذا لكنني شعرت بشيء غريب ..

«كنت أرتفع أرتفع في سماء الغرفة . أسمع أزيزاً في أنفي وأشعر  
براحة نفسية غير مسبوقه . أنا أرى جسدي أراني راقدة على محفة  
والأطباء محتشدين حولي وهم يضعون تلك الأقطاب على صدري  
يوم ! . أنتفض ويرتفع رأسي ثم يهوى من جديد من الغريب أن هذا بدا  
باعثاً على التسلية لي ..

«كان هناك ظلام ثم رأيت ذلك البفق الطويل كأنفاق القطارات . في  
نهايتها كان نور ساطع يناديني .. شعرت أنني أصبح فيه .. أرى وجوهاً لم  
أرها منذ دهر .. ثمة رجال ينظرون لي باسعين ..

«هجأة شعرت أنني أعود إلى جسدي فجأة شعرت بأن ذلك الشعور اللذيذ يزول، وهأنذا على المحفة من جديد لكنني أفتح عيني وأسعل وأسعل  
«قال أحدهم لقد عانيت .<sup>1</sup> وسرعان ما كانوا يضخون محلولاً ما في عروقي ويقلونني إلى العناية المركزة .»

ثم قالت في اعتزاز وهي ترتجف .

«لقد ذهبت إلى هناك وعدت . أنا مخطوطة . منذ هذه اللحظة لن أخاف الموت . سوف أنتظر العودة إلى ذلك النفق الطويل الجميل ...»

ربت الرجل على كتفها وقال كلاماً كثيراً عن أنه يرى هذه تجربة مثيرة . ولكم يود لو مارسها لكنه أكد لها أصالة ما عاشته .

خرج من المستشفى بخطواته العجول، فرحت أركض لاهثاً للحق به وسألته:

«ما كان معنى هذا بالله عليك ؟»

قال وهو مستغرق في السير الحثيث

«إنها تحكي نموذجاً كلاسيكياً لحالة NDE . أي (تجربة الدنو من الموت) . هذا هو ما يقوله الجميع وإن لم يكن بهذا الوضوح . هناك لمسة من تجربة أخرى هي (تجربة الخروج من الجسد) .»

على منضدة الإفطار في مطعم اسكتلندي صغير راح يشرح لي .

«في 12٪ من المرضى الذين يمرضون بحالة توقف للقلب ، تكون هناك هذه الذكرى المبهمة عن الخروج من الجسد .»

ثم راح يعد على أصابعه .

«هناك صوت الأريز . هناك ذلك الشعور العام بالسرور والسلام . هناك النفق . دائماً النفق الذي يوجد الضوء في آخره . ضوء سامع



يعمي العيون . التحديق . ثم يعود المريض للحياة فيمر بنزعة صوعية .  
يشعر بحقيقة العالم الآخر والاقتراب من خالفه على أنه بعد فترة يمر  
بحالات اكتئاب قد تنتهي بالانتحار .

«إذن فتجربة الموت بهيئة حقًا لو كان وصفهم دقيقًا .»

«ليس تمامًا هناك من حكوا عن ظلام وعمليات تعذيب على أيدي  
شياطين أو أقرام . يرى المتدينون إن هذا هو الدليل على وجود جنة  
ونار . أهم عالم درس هذه الظواهر اسمه (ريمون مودي) وهو يرى أن  
هذه التجارب قد حلت السؤال الأبدي الذي عذب البشر ما أنا يوحد هناك»

قلت له في حذر

«أنا أو من بالجنة والنار طبعًا، لكن هل هذه الخبرات دليل على  
وجودهما فعلاً؟»

قال باسمًا:

«هذا هو بيت القصيد . لو كان هؤلاء وأهمين فهذا لا يمس الدين في  
شيء . فقط يمس مفهوم الـ NDE»

«هل تؤمن أنت بهذا الـ NDE؟»

«أنا متعادل كما قلت لك ألف مرة أنا أجمع الأدلة وأمندها هناك  
علماء كثيرون لا يعتقدون بصحة هذه الظاهرة . لقد وصف كثيرون  
ذات الرؤى أثناء جراحات المخ والأعصاب لدى تنبيه الفص الصدغي .  
ووصفوها عندما يعقصر الدم الواصل إلى الدماغ . هناك عقارات  
تسبب ذات الرؤى وأهمها (الكيتامين) كما يقول د (يانسن) هي أبحاثه  
كل جندي أمريكي تم تخديره بعادة (كيتامين) أثناء حرب فيتنام مر  
بتجربة معتلة هناك عالم اسمه (بلاكهور) قال إن سبب هذا الشعور  
العارم بالراحة والسلام هو إفراز مادة (الاندورفين) في المخ . هذه



المادة مخدرة وتسبب حالة عامة من الانبساط والملخ المشري يحتفظ بها للحظات النهاية الأليمة كي يوفر على صاحبه عذاباً لا يقع منه كثيرون اتهموا مادة DMT التي يقرزها الجسم الصنوبري هي المخ بأنها مسئولة عن هذه الرؤى ..

ثم أضاف وهو يفتح باب سيارته -

«إن نسبة 12 / ليست نسبة عالية إذا خيل لك هذا .. لو كان هؤلاء فعلاً يقتربون من العالم الآخر، فلماذا لا يمر الجميع بذات الظروف ؟ .. وإذا كانت هذه مجرد ظاهرة كيميائية فلماذا لم يرها كل من عانى توقف القلب للحظات ؟»

ثم أبار المحرك وقال في شيء من الحدث

«على أن في قصة هذه السيدة شيئاً مريباً إنها رأت كل ما رآه من مروا بالتجربة الجملة . لا يحكي كل الناس ذات التفاصيل مجتمعة، لكنها رأت كل شيء .. هذا يعطي انطباعاً بأنها لا تحكي ما رآته لكنها تحكي عشرات الخبرات السابقة التي قرأت عنها ..

دهل تعني أنها تكتب ؟»

قال باسمًا

«الملخ المشري معقد أكثر مما تتصور يا صديقي . هناك ما يدعى (الذاكرة الزائفة) .. ربما هي لم تر شيئاً لكنها الآن تعتقد صادقة إنها رأت كل هذا لقد تكفل عقلها بتلفيق ملف كامل لخبرات لا وجود لها وهي تتق أن هذا الملف حقيقي . ثم لا تنس حقيقة أخرى ..

وأردف:

«لم يستخدم الأطباء أية أقطاب كهربية على قلبها كما رأت أثناء خروجها من الجسد . لقد استعادت وعيها قبل أن يفعلوا هذا ..



كنت أنا غارقاً في أفكارى الخاصة .. NDE لو ترجمت لصارت ت. د. م  
(تجربة الدتو من الموت) .. كانت لي جدة لاقت ربها منذ أعوام ، وكنت أنا  
أقف جوار فراشها لحظة الاحتضار .. سمعتها تقول : «أغلقوا النوافذ .. إن  
هذا النور يعميني ...» ثم بدأت تلقي تحياتها على سيدنا الخضر وعلى  
زوجها المتوفى منذ أعوام .. بالنسبة لنساء الأسرة كان هذا دليلاً لا  
يدحض على أن الجدة في طريقها إلى الجنة .. ماذا لو سمعن عن رأي د.  
(بلاك مور) في الأمر ؟ .. هذه ليست سوى (ت. د. م) سببها نقص وصول  
الاكسجين إلى مخ الجدة ؟ ..

كنا الآن نتهب الأرض نهباً وسط أراض ريفية ، وكان د. (ماتيسون) لا  
يكف عن الفثرة ....

فجأة سمعته يهتف :

«لكنها لا تعمل !»

ما هي التي لا تعمل ؟

نظرت أول ما نظرت إلى اليمين حيث جلس خلف المقود .. اليمين ؟ ..  
نعم .. لا تنس أننا في بريطانيا .. كان يدوس بقدمه على الفرملة في جنون  
ممارساً ما يسمح به الميكانيكية عندنا (مكاركة) .. رفعت عيني إلى الطريق  
لأرى تلك الشاحنة المرعبة القادمة نحونا كالموت وجهاً لوجه وسائقها لا  
يكف عن إطلاق سريته ..

بالطبع لم يكن الوقت كافياً لشئ ..

أدار جاري المقود بسرعة فأنحدرت السيارة إلى جانب الطريق وراحت  
تتخرج وسط الأشجار .. راح يلف المقود بسرعة جنونية وهذا زاد الأمر سوءاً ..

هنا تأتي اللحظة التي ترى فيها أن السماء صارت تحتك وأنت بلا وزن  
تقريباً ... دورة .. بورتان .. ثم الارتطام الأخير بالأرض .. رائحة البترزين



وانت تتدلى من حزام الأمان ورأسك فوق سقف العربة .. لقد انقلبت  
السيارة الصغيرة كحبة لعب بها طفل عابث ..

أما الشاحنة فلا أثر لها .. كأنها كانت في كابوس ....

فككت الحزام لأسقط على رأسي، ثم عالجت الباب لأخرج منه  
وزحفت على ركبتي بضعة أمتار .. أنا سليم .. كل شيء يؤلمني لكنني  
سليم ..

درت حول السيارة لأعالج الباب الآخر حتى أخرجت د. (ماتيسون) ..  
لا تخافوا .. لم يمت ولن يموت لكني لم أعرف هذا في تلك اللحظات ..

كان مغمض العينين والدم يغطي وجهه .. وتلمست نبضه الواهن  
فأدركت أن الأمر خطر فعلاً .. ثمة رجل ضخم يقف على بعد أمتار منا  
وقد بدت عليه الحيرة .. صحت فيه، وأنا أريح رأس الدكتور على الكلا:

«أطلب الإسعاف فوراً ..»

هرع ليطلب النجدة بينما رحت أنظف وجه الدكتور (ماتيسون)  
بمعدلي .. لأبد أنني سليم ما دمت أفعل هذا كله ..

هنا فتح عينه وبصوت واهن قال:

«لا أراك .. كل هذا النور الساطع !... هل هناك كشفاف مسلط على  
وجهي ؟...»

ثم بلل شفته بلسانه وهمس:

«النفق .. إنني أطلق متجهاً لنهاية النفق ..»

ومن جديد غاب عن الوجود .. قلت في سري: ما هي الحقيقة ؟ هل  
أنت بالفعل يا دكتور على أعتاب الأبدية، تمارس حرقياً الـ (ت. د. م)  
وتقول ما قاله الآخرون ؟

أم أنت ببساطة تعاني حالة من نقص الدم الواصل إلى الدماغ ؟ ..  
تعاني أعراض تنبيه الفص الصدغي ، مع الكثير من مادة الإندورفين التي  
تعطيك هذا الشعور الزائف بالسلام .. ربما أنت تتخيل .. ربما ترددت  
كلمات المرأة التي سمعتها منذ نصف ساعة في ذاكرتك .. ربما هي  
خبرائك تخرج للسطح الآن .. لكن هل تسامحتني لو لم أصدقك ؟ .. أنت  
من بذر بذور الشك في نفسي تجاه تلك القصص .. هل نسيت هذا ؟ ...  
أنت اعطيتني النصل الذي سيدميك كثيراً فيما بعد ..

لا أعرف الإجابة .. المهم أن أحافظ عليك .. أن أبقىك حياً إلى أن تصل  
سيارة الإسعاف ..

من بعيد اسمع السرينة المميزة ، وأقول لنفسي إنه سيعيش ...  
سيعيش ..

يوماً ما سأواجه أنا تجربتي الخاصة مع (ت. د. م) ، ولسوف أعرف  
وقتها الحقيقة .. لكن ما يضايقني هو أنني لن أعرف أنني عرفت ، ولن  
أعود إلى عالم الأحياء لأقص عليهم ما رأيته بنفسني .. حتى لو عدت فلن  
يصدقوني ...

المهم الآن أن نفلذك يا دكتور .. ولنترك الأسئلة الميتافيزيقية إلى وقتها  
المناسب .

\*\*\*\*\*



# الفهرس

|     |                           |
|-----|---------------------------|
| ٥   | المقدمة .....             |
| ٧   | تأثير الفراشة .....       |
| ١٥  | أسرة لطيفة .....          |
| ٢٥  | دقات .....                |
| ٣٥  | انها تأتي ليلا .....      |
| ٤٥  | سابكي كثيرا .....         |
| ٥٥  | المحكمة .....             |
| ٦١  | هدية الأرواح .....        |
| ٧١  | العشاء .....              |
| ٨١  | حكايات الظلال .....       |
| ٩١  | أوتوستوب .....            |
| ١٠١ | الشمعة والقناع .....      |
| ١١١ | كتاب ديزان .....          |
| ١٢١ | الموتى لا ينهضون .....    |
| ١٣١ | جانوم .....               |
| ١٣٩ | استبصار .....             |
| ١٤٩ | لماذا فعل ذلك؟ .....      |
| ١٥٩ | فتيش .....                |
| ١٦٩ | صرخات في الظلام .....     |
| ١٧٩ | ماذا يحدث في شقتنا؟ ..... |
| ١٨٧ | الرقص بين الأحجار .....   |
| ١٩٧ | ساحر الماء .....          |
| ٢٠٧ | نحير المدعو .....         |
| ٢١٥ | مسفرة .....               |
| ٢٢٥ | حكايات يربطها شيء .....   |
| ٢٣٧ | ت. د. م .....             |